نهى داود
أدب جريمة
دماء على السجادة الحمراء
رواية
الدار المصرية اللبنانية
سادر الكتب

إهـــــداء

إلى روح ميس «نهاد طموم».. معلمة اللغة العربية التي أهدتني حب اللغة، وأثرت قاموسي بمرادفاتها الغنية، وعلمتني كيف أستمتع بقواعد النحو وأتذوق أثر علامات الترقيم على النص وفي نفس القارئ.

فليرحمك الله ويسكنك فسيح جناته،

وليجعل إخلاصك في تعليمنا وتربيتنا حسنة جارية لك وفي ميزان حسناتك إلى يوم الدين.

ابنتك نهى

شخصيات العمل

1- فاروق المعايرجي- مصور

2- جو نبيل- صحفي

3- مصطفى مارلي- مصور وصحفي

4- أنجي رستم- ممثلة صاعدة

5- الرائد بلال الشناوي- محقق

6- العسكري عبدالمعبود- أمين شرطة

7- المقدم محمد نزار- محقق

8- شاكر الغندور- منتج سينمائي

9- أمينة عاشور- مرافقة أنجي

10- مروان عناني -مخرج شاب

11- فتحي السيد -مدير الأمن بالمهرجان

12- رضوى محمد علي -زوجة المقدم محمد نزار

13- كريم شاكر -مؤلف موسيقي (ابن القتيل)

14- سفيان يعسوب -مطرب تونسي شهير

15- فؤاد خيري -كاتب روائي

16- سهيلة الرفاعي -مذيعة (زوجة القتيل)

17- ولاء أحمد ياسين -منظمة بالمهرجان

18- بوسي السماك -ممثلة

19- ميرال الطوخي -ممثلة

20- السيدة سامية -والدة فاروق المعايرجي

21- السيدة نجوى -والدة المقدم محمد نزار

22- د. منصور صادق -طبيب نفسي (خال رضوى)

****

(1)

منذ 47 سنة

يناير 1973

استيقظ على صوت نهنهة خافتة قطعها سعال خشن، ثم تناهى إلى مسامعه صوت صرير الباب الصفيح للعشة يُفتح ويغلق بلا وداع. أم تراه شعر بلثمة رقيقة مبللة بالدموع على وجنته؟

حاول فتح عينيه. أَبَت اليمنى فدعكها وهو يدقق النظر عبر فلقات عوارض السقف الخشبية المتهالكة.. قابله ضوء هزيل يومض بالأزرق والأحمر. إنها اللافتة الإعلانية العملاقة التي تقف مهيمنة على الجسر القريب من العشش. لا يزالون في جوف الليل إذن.

اعتدل في فراشه ونظر صوب مصدر النهنهة: أبوه العجوز يبكي في صمت.. والفرشة بجواره خالية، والصندوق الورقي الذي يحتفظ بحاجيات أمه المعدودات مقلوب على جنبه وفارغ!

تلقّت الطفل ذو العشر سنوات حوله وقد بدأ الرعب يدب في قلبه.. تساءل بنبرة مرتعشة حاول أن يؤجل ما فيها من بكاء:

- أمي.. أين ذهبت؟

- تركتنا.

أجابه أبوه باختصار مُخِلّ.

استرجع الصغير الليالي الفائتة التي تصنّع فيها النوم وهو يتنصت

على شجارهما اليومي ثم هتف:

- أنت السبب.. لماذا رفضت طلبها أن تعمل غازية في المولد؟

اتسعت عينا عم شحاتة فنكّس الطفل رأسه معقبًا في خفوت:

- لقد سمعتكما...

- لا يهم ذلك.. لا تهم الأسباب.. نحن بمفردنا الآن، وهي.. قد ذهبت.

- ألن تعود؟ أمي..

- لم يبلغني أن أيًّا مَن رَحَلَ قد عاد يا بني.

بدأ يبكي وهو يقول:

- كانت حلوة.. كانت تستحق كل شيء جميل في الحياة، الملابس وطلاء الشفاه والحذاء الذهبي الذي طلبته.

- الرضا لمن يرضى يا بني.

أغمض عينيه محاولًا حبس دموعهما من الانهمار. تذكر عينيها الخضراوَيْن الحانيتين، وبشرتها البيضاء البضّة، واللثمة الأخيرة المبللة بالدموع...

دب بقدميه في الأرض صارخًا في غضب:

- وأنا لن أرضى.

ثم أردف:

- سأبحث عنها حتى أجدها..

- لن تجدها يا بني.. لقد رحلت إلى الأبد.

- سأظل أبحث عنها، إما أجدها وإما.. أموت وأنا أبحث...

ومات وهو يبحث.

***

(2)

«ونمحي الآلام»

«يارا هنا...»

«انظري لأعلى»

«يمين يا يارا.. يمين»

فتاة جديدة تدخل الكادر كل لحظة.

كليك... كليك...

*

وقف فاروق قبالة منطقة عرض السجادة الحمراء بساحة المهرجان السينمائي مساء ليلة الجمعة الأخيرة من أكتوبر 2020 قبل موعد حفل الختام بقليل يلتقط اللقطة تلو الأخرى لحسناوات السينما المصرية والعربية اللاتي يتبخترن أمام الكاميرات.

كليك.. كليك

خنقته الكمامة الطبية فرفعها للحظات يلتمس القليل من هواء البحر المنعش، بينما سالت قطرات عرقه في مسارات عدة متخللة فروة رأسه إلى الأمام لتبلل جبهته وإلى الخلف ليشعر بها تنحدر من قفاه إلى أسفل ظهره. لعن نفسه في سره أن ارتدى سترته الكتانية على قميصه القطني. أراد أن يبدو فاتنًا في عينَي فتاته التي ولا شك ستظهر بعد لحظات في أَوْج زينتها، لكن الثمن كان أطنانًا من

العرق جعلت شعره الطويل يلتصق بجمجمته ليبدو ككتكوت مبتلّ بدلًا من إطلالة «الدنجوان» التي خطط لها. فبرغم اعتدال الجو على ساحل البحر الأحمر في هذا الوقت من السنة إلا أن حرارة الأجساد المتلاصقة من الصحفيين والمصورين مع سخونة كشافات الإضاءة الضخمة جعلت رائحة العرق لا تطاق وسخونة الأنفاس تلفح وجوه الواقفين خلف السياج الفاصل بينهم وبين السجادة الحمراء، حيث النسيم العليل ورائحة العطور الثمينة تنبعث بقوة من الموجودين.

كان قد وصل إلى ساحة المهرجان في وقت مبكر من المساء كما يحب كي يختار الموضع الأفضل لحامل كاميرته الثلاثي من حيث الإضاءة وزوايا التصوير.. يحب التقاط الصور الفنية التي تبرز الجمال الخاص لكل امرأة. كان شغوفًا بالجمال.. بخلاف زميله في الجريدة «يوسف» الشهير بـ «جو» والواقف بجواره باحثًا عن اللقطات المثيرة للجدل كي يشعل مواقع التواصل الاجتماعي، ولو لسويعات قبل أن تزيحها من على عرش النميمة صورة جديدة أو خبر مثير.

قبل بدء عرض السجادة الحمراء بدقائق، مر بهما «مصطفى»، أو «مارلي» كما يطلقون عليه بسبب خصلات شعره المضفرة الكثيفة التي جعلته شبيهًا ببوب مارلي والتي جعلت فاروق يتعرف عليه بسهولة رغم الكمامة الطبية التي أخفت نصف وجهه.

- مارلي.. تعال.. يوجد موقع مناسب لك.

ناداه «جو» بنبرة ذات مغزى...

- تعلم أن مكاني ليس بجوارك.

أجابه مصطفى ضاحكًا وهو يغمز بعينه، وجسده الضخم يترجرج بسبب خطواته المسرعة. علم فاروق وجو جيدًا مكان مصطفى المفضل للتصوير... بالأعلى.. في ركن هادئ بشرفة الدور الثاني المقابلة لأحد أهم أروقة ساحة المهرجان، الرواق الذي تفد منه نجمات الفن قبل أن ينعطفن يمينًا للمرور على السجادة الحمراء.

لم ينشد مصطفى أبدًا صورًا احترافية، بل استهدف دومًا الصور الغريبة والمثيرة للجدل. يبيع منها أحيانًا للغرماء الذين يبحثون عن لقطات تصلح لتشويه الخصم، ويحتفظ بباقي اللقطات لمزاجه الخاص.

كليك..كليك..

فتاة جديدة تدخل الكادر. يصرخ بها صوت يحاول التقاط لقطة مثالية من زاوية وقوفه قائلًا:

«خطوة للأمام مريم»

- اسمها مريم؟

- نعم، تونسية.

يصرخ بها آخر:

«لليسار يا مريم.. انظري لليسار»

مريم.. وجه جديد على الساحة الفنية. تفننت مريم لإظهار ما

خفي بثوب قصير برّاق لعلها تحصد أكبر قدر من اللقطات تقتنص بها ولو مساحة صغيرة من نمائم صفحات وسائل التواصل الاجتماعي؛ فتلفت لها أنظار المخرجين والمنتجين.

بعد سنوات من تغطية المهرجانات السينمائية، أدرك فاروق حقيقة غريبة: اختيار الفساتين، خاصة لحفلَي الافتتاح والختام لم يكن مرتبطًا فقط بذوق الفنانة أو أحدث صيحات الموضة، بل كان هناك عنصر ثالث للاختيار: إثارة الجدل!

فاختيار فستان يكشف منطقة جديدة للمشاهدين، أو ارتداء منامة الجد المخططة والزاخرة بذكريات الطفولة، أو الظهور بثوب مستعمل تم شراؤه من «سوق الغلابة» يكون أحيانًا الطريق الأقصر للحصول على ضجة وتسليط الأضواء وأبواق الإعلام على صاحبة الثوب. يلجأ لهذه الطريقة عادة صنفان من الفنانات؛ الممثلات الصاعدات اللواتي يردن اختصار الطريق بانتشار سريع لأوجههنّ على صفحات الجرائد والمواقع الإلكترونية، ونجمات الصف الثاني اللواتي انحسرت عنهن الأضواء فيبحثن عن فرصة وتواجد جديد!

وسط صعب، ومنافسة شرسة، وفرص ظهور محدودة..

كليك... كليك...

«هنا يا إنجي»

«أنجي بفتح الألف، وإلا فلن تلتفت إليك»

«أنجي... ارفعي الكمامة»

- فاروق.. حبيبة قلبك وصلت!

قالها «جو» وهو يلكز فاروق في جنبه بعظمة كوعه الناتئة. جزّ فاروق على أسنانه ندمًا أنه اعترف لجو في لحظة صفا وضعف جمعتهما بمقر الجريدة في القاهرة عن إعجابه الصامت بأنجي. ثم سرعان ما نحّى مشاعر الندم جانبًا ليسمح للانبهار باحتلال جوانحه وهو يتأمل في جمال فتاته التي تهادت على السجادة الحمراء بخطوات دقَّ على إيقاعها قلبه الولهان.

ظهرت أنجي بثوب بنفسجي عزَّزَ لون عينيها الزرقاوَيْن، وفجّر ظلالهما الأرجوانية الكامنة لتزداد سحرًا وعمقًا، وقدأحاطت بعينيها أهداب سوداء طويلة تنسدل كالستار في رقة على وجنتيها المرتفعتين كلما طرفت بعينيها، بينما رفعت شعرها الداكن عاليًا لتنسدل منه خصلات رقيقة تتأرجح حول وجهها مع حركتها. تدرّج فستانها من اللون البنفسجي الزاهي للصدر وحتى الأسود للذيل المطرز الذي زحف على البساط من خلفها في موجات قصيرة متتالية أضافت لحركتها بهاءً ملكيًا يليق بقوامها الطويل الرشيق. أكملت مظهرها بقفازات من المخمل الأسود حتى المرفقين، لمعت فوقها قطع الألماس بالخاتم والسوار المصاحب له، وارتدت في قدميها صندلًا أسودَ ذا سيور متداخلة وكعب عالٍ زادها طولًا فوق طولها.

وقفت أنجي في بقعة مناسبة مكنت فاروق من التقاط عشرات الصور المثالية لها.وضعت كفّها على وسطها الدقيق، ومالت بنصفها الأعلى إلى الأمام توزّع ابتساماتها للعدسات هنا وهناك. تارة ترفع

ذقنها لأعلى متصنعة الجدية، وتارة تنظر إلى اليمين ضاحكة في غنج. هتف أحدهم يحثّها:

«اغضبي يا أنجي»

قطبت جبهتها وزمّت شفتيها وحدّقت بعينيها العميقتين إلى العدسات فاندلعت أصوات الكاميرات وإضاءات الفلاش بشكل محموم تقتنص اللقطة. تكررت الوضعيات واللقطات حتى أقبلت من الممر على يسارها فنانة شهيرة وقفت لحظة تنتظر دورها على السجادة الحمراء. ألهبت حركات أنجي حماس المصورين وجعلتهم يطالبون بمزيد من التعبيرات التمثيلية التي أدتها هي لهم باقتدار. فاقتربت الفنانة بخطوات ضيقة، وقد بدا أنها حبست أنفاسها بفعل مشدّ الجسم الظاهر للعيان أسفل قماش فستانها الحريري الأصفر، وأشارت لإحدى المنظمات بغضب، فاضطرت المنظمة إلى توجيه أنجي بإشارة خفية كي تترك المجال على السجادة للفنانة المنتظرة. أومأت أنجي برأسها، وقرّبت أناملها من شفتيها الورديتين، وأرسلت إلى الواقفين قبلة في الهواء أصاب سهمها قلب فاروق قبل أن تثير عاصفة من الصفير، فضحكت وهي تمد خطاها خارج الكادر ساحبة وراءها ذيل ثوبها الأسود المطرز، وقلب فاروق المعلق به.

تابع فاروق بعينيه في هيام فتاته وهي تبتعد غير عابئ باللقطات التي سيفوّتها لصاحبة الفستان الأصفر حينما لاحظ شيئًا غريبًا! أثر غامض تركه ذيل ثوب أنجي على السجادة الحمراء. ترك فاروق كاميرته على حاملها وتحرك. ناداه جو:

- أين ستذهب؟ «هانيا يونس» قادمة.

لم يأبه فاروق بندائه، واندفع خلف أثر ثوب فتاته، فوجده يمتد متقطعًا على الرخام الأبيض بعد انتهاء البساط. في البداية، ظن أنه اتساخ عادي فالأثر الذي تركه على السجادة الحمراء كان باهتًا لا يشي بلون محدد. ولكن حينما انتقل إلى الرخام الأبيض أثار لونه البني المحمرّ فضول فاروق!

وقف فاروق في مكانه للحظة يتساءل عما عليه أن يفعل، هل يذهب خلف أنجي ويخبرها بما أصاب ثوبها؟ بالتأكيد ذهبت إلى المسرح الكبير حيث سيبدأ حفل ختام المهرجان بعد دقائق.. أم يعود إلى كاميرته علّه يدرك لقطة أخيرة لهانيا يونس قبل أن تبتعد. اختار فاروق اختيارًا ثالثًا فرضه عليه فضوله: أن يتتبع الأثر البني ليكتشف مصدره!

*

رنا فاروق نحو الأثر الذي تركه ذيل الثوب على هيئة خطوط بنية خفيفة على الرخام الأبيض وتأمله للحظة قبل أن ينطلق. عاد إلى منطقة السجادة الحمراء فسمع جلبة أنبأته أن فستان هانيا يونس كان ناريًا ولكنه لم يتوقف. أراد اكتشاف الأمر سريعًا والعودة إلى المسرح قبل بدء الأغنية الافتتاحية لحفل الختام. فمنذ أن عرف أن مطربته المفضلة آمال مثلوثي هي من ستحيي الحفل وهو يعد نفسه للحظة التي سيرخي فيها عضلاته، ويغمض عينيه، ويلقي برأسه للوراء محلقًا مع صوتها الملائكي إلى عنان السماء.

*

تتبع فاروق آثار ذيل الفستان التي ازدادت كثافة ووضوحًا حتى وصل إلى الرواق الرئيسي الذي يفضي إلى السجادة الحمراء. انعطف يسارًا فيه ليجد أن الآثار تنتهي عند باب أول غرفة فيه. توقف فاروق أمام الباب لحظة يصارع فضوله، الرواق كان خاليًا ونظرة واحدة لن تضر. تناهى إلى سمعه عبر مكبرات الصوت كلمات مقدمة الحفل تعلن عن فقراته ثم فجأة تعالى صفير حاد أعقبه انقطاع للصوت. تساءل فاروق إن كان ذلك يعني حرمانه من قيثارة آمال الليلة، ولكن سرعان ما عاد صوت مقدمة الحفل يجلجل في الأروقة من حوله فاطمأن قلبه. مد يده وأدار مقبض الباب ببطء ولدهشته استجاب وانفتح.

مد فاروق رأسه إلى الداخل فهاجمه مزيج مُقْبِض من الروائح؛ رائحة حادة للخمر، ورائحة نفاذة لسجائر غير مألوفة له، وعطر ثقيل، تتخلله رائحة مزعجة لم يتبيّن كنهها..

وجد الغرفة خالية فدخل، كانت معتمة إلى حد كبير لا يضيئها سوى شعاع هزيل من مصباح جانبي وقف منتصبًا في ركنها البعيد. انتظر لحظة حتى اعتادت عيناه الإضاءة الخافتة ثم لاحظ وجود منضدة كبيرة متوسطة الارتفاع تحتل وسط الغرفة وتعرقل الحركة فيها، ثم رأى على بعد خطوة منه وأمام المنضدة، بقعة قاتمة تنسحب حافتها الأقرب إليه إلى الخارج فبدت له المصدر المحتمل لاتساخ ذيل ثوب فتاته.

تناهت إلى مسامعه أنغام موسيقى الفالس الحالمة معلنة افتتاح حفل الختام بأغنية الفنانة التونسية آمال مثلوثي:

«لو كنت نغمض عينيا... تاخذني الأحلام من إيديا»

عض فاروق على شفتيه غيظًا، فلولا فضوله اللعين لكان هناك مسترخيًا، متأملًا، يهيم مع حنجرتها الذهبية بمزاج رائق، في لحظة نادرة انتظرها لأيام.

في نفاد صبر مفاجئ أخرج هاتفه وفتح ضوء الكشاف كي يتبين كنه البقعة التي التمعت تحت شعاع الضوء بلونها الأحمر القاني فاتسعت عيناه وتسارعت ضربات قلبه وهو ينحني نحوها. شعور مفاجئ جعله يلتفت يسارًا ويتفقد تحت المنضدة فوجد وجهه في وجه بدين لديه وحمة رمادية أعلى حاجبه وقد انفتحت عيناه عن آخرهما وغاب عنهما بريق الحياة..

انسابت الدماء من جرح في رقبة الرجل في هدوء مكونة بركة صغيرة، بينما تعالت دقات البيانو في إلحاح، وصوت آمال الرخيم يدوّي مخترقًا عباب السماء:

«ونمحي الآلاااااام...»

ثم صمتت آمال.. وعلا صوت التصفيق.

***

(3)

منذ 32 سنة

فبراير 1988

وقف الأستاذ عبد المهيمن مدرس اللغة العربية بمدرسة السيدة صفية الإعدادية بنات يراقب السيارة الفارهة التي اقتحمت بجرأة حارتهم التي تكاد تتسع لها، وقائدها يطلق نفيرًا متقطعًا. توقفت السيارة في منتصف الحارة دون أن يبذل قائدها أي مجهود في محاذاتها بالطوب المتعرج المسمى مجازًا بالرصيف. انفتح الباب ببطء ثم ظهرت مقدمة حذاء أسود لامع دفع الباب لينفتح.

اقترب الأستاذ عبد المهيمن بخطوات لا إرادية من عم عبده البقال الذي كان يراقب المشهد بدوره من أمام دكانه المتواضع. وقفا متجاورين يجمعهما الفضول نحو زائر الحارة الغامض الذي سرعان ما ترجل من السيارة وخلع عن عينيه النظارة الشمسية باهظة الثمن التي كان يرتديها لتظهر شامة وجهه المميزة فهتف عم عبده مستعجبًا:

- معقول! سبحان مغير الأحوال.

خلع الأستاذ عبد المهيمن نظارته بدوره ومسح زجاجها بطرف قميصه قبل أن يضعها على عينيه ثانية آملًا أن يتعرف على الزائر الغامض، استسلم بعد لحظة سائلًا رفيقه:

- من هذا؟

- ألا تعرفه؟ إنه شيكو.

- ابن عم شحاتة العربجي! معقولة! وما كل هذه الأبهة التي تلفه؟ أين أسماله البالية التي ذهب لونها، ونعله المخروم، ووجهه المتسخ على الدوام؟

سأل الأستاذ عبد المهيمن وهو يتابع بنظره الرجل المترجل من السيارة وهو يدخل أحد بيوت الحارة الذي اشتهر بوجود فتاتين جميلتين ابنتا رجل على باب الله.

- ألم تعلم؟ لقد شارك ضابطًا متقاعدًا.

- شاركه في «سوبر ماركت»؟ ولكن من أين له بالمال لمشاركته؟

أجابه عم عبده ساخرًا:

- «سوبرماركت»! وهل يحقق «السوبر ماركت» كل هذا المكسب؟ لا طبعًا.. لقد شاركه في دار أيتام.

- ماذا؟

سأل الأستاذ عبدالمهيمن في عدم فهم، فكرَّرَ عم عبده عبارته هذه المرة بنبرة ذات مغزى ومصحوبة بغمزة عين:

- أقول لك دار أيتام... في الحوامدية.. فهمتني؟

***

(4)

الجثة..

«ليلة جديدة من الملل الخالص»...

هكذا أسر الرائد بلال لنفسه وهو يهش عن وجهه ذبابة لزجة استوطنت هي وقبيلتها غرفة مكتبه بقسم شرطة إحدى المدن الساحلية بمحافظة البحر الأحمر.

في هذه اللحظة انفتح باب الغرفة، ودخل عليه العسكري عبدالمعبود، رأى في وجهه الخامل عادة أمارات تشي بأنه يحمل أخبارًا مثيرة، وقد صدق حدسه:

اكتشاف جثة في المهرجان السينمائي المقام في منتجع سياحي قريب. والجثة مصابة بعدة طعنات نافذة في الرقبة يرجح أنها سبب الوفاة.

قرأ الإشارة أكثر من مرة قبل أن ينتابه حماس مفاجئ.. أخيرًا سيقوم بالتحقيق في قضية قتل!

دس مسدسه سريعًا في جرابه وسحب سترته الرمادية التي لا يستغني عنها حتى في أكثر الأيام قيظًا كي تضيف طلة رسمية وبضع سنوات لجسده النحيف ووجهه ذي البشرة البيضاء والملامح المنمنمة التي ورثها عن أمه الرقيقة والذي لم ينجح الشارب المنمق واللحية القصيرة التي أطلقها مؤخرًا في محو طابعه الطفولي.

*

استقل بلال السيارة جوار عبدالمعبود أمين الشرطة العتيد، وأخرج من جيبه كمامتين، لبس واحدة وأعطى الأخرى لعبدالمعبود الذي أخذها منه بتأفف ومد يده ليضعها في «تابلوه» السيارة فحدجه بلال بنظرة يعرفها؛ فانصاع وارتداها في حنق ناظرًا لبلال نظرة «هل أنت راضٍ؟»، أومأ بلال برأسه ثم نظر إلى الأمام مبتسمًا وأغمض عينيه وسمح لنفسه أن يسرح فيما هو آتٍ متخيلًا باستمتاع كيف سيقتحم المكان ويصرخ بأوامره بصرامة:

«اجمع لي يا بني هذه الكاميرات وافرض لي طوقًا أمنيًّا..

أين الجثة؟ أريد معاينتها.

من الذي اكتشفها؟ ائتني به حالًا..»

ثم يراقب الجميع وهم يهرعون لتنفيذ أوامره في رهبة بينما فرائص القاتل ترتعد خوفًا من الضابط الهمام الذي سيضعه خلف القضبان قبل أن تشرق شمس اليوم الجديد.

*

بعد ما يزيد قليلًا عن الساعة، اختنق فيها بلال برائحة سجائر عبدالمعبود وحكاياته المكررة، وصلا ساحة المهرجان.. لفتت نظره الشرائط الصفراء التي أحاطت بالمكان كطوق أمني لا تخطئه العين. استاء بلال قليلًا أن رجال الأمن بالمهرجان قد استبقوا دوره، ولكن لا بأس، ما زالت هناك أوامر يستطيع الصراخ بها.

- اجمع لي يا بني هذه الكاميرات ولا تترك أحدًا يخرج.. هل وصل

فريق البحث الجنائي؟ أريد معاينة الجثة ومسرح الجريمة.

لم يصرخ بلال بالعبارة السابقة، بل وقف مدهوشًا أمام قائلها: رجل في أواخر الثلاثينات، له قامة فارعة وبنية قوية، ووجه حليق وفك مربع يوحي بقوة الشكيمة وشعر أسود خشن قصير انحسر قليلًا عن مقدمة رأسه. يرتدي قميصًا أسودَ وسروالًا كلاسيكيًّا بذات اللون، وحذاءً رسميًّا لامعًا مدببًا و.. يتدلى مسدس ضخم من الحافظة الجلدية المشبوكة بحزامه. انحنى عبدالمعبود على رئيسه وكشف عن أسنانه الصفراء هامسًا:

- يبدو أنهم أرسلوا فريق تحقيق من مصر. لا فرصة لك هذه المرة يا سيادة الرائد.

هل اشتم رائحة شماتة مبطنة في نبرة عبدالمعبود؟ لا يهم.. ما يهم: هل هو محقّ؟ كيف وصل فريق تحقيق من القاهرة قبل أن يصل هو من المدينة المجاورة! لا بد أن في الأمر لَبْسًا ما. تقدم بلال نحو الرجل ذي الرداء الأسود معرفًا نفسه:

- الرائد بلال الشناوي معاون مباحث قسم الـ..

قاطعه الرجل وهو يشد على يده بقبضة حديدية:

- المقدم محمد نزار من مباحث القاهرة.

وأمام نظرة بلال الحائرة أردف بنصف ابتسامة باردة:

- كنت في إجازة هنا مع أسرتي تنتهي بالصدفة اليوم. وصلني الاستدعاء منذ نصف ساعة. كما تعلم فإن جثة في ليلة ختام

المهرجان لهو حدث جلل تتحرك له الجهات الأمنية على الفور، خاصة إذا تبين أنه شخصية مشهورة..

ازدرد بلال ريقه وبحث عن صوته حتى قال بنبرة مبحوحة:

- هل.. هل عاينت الجثة؟

- كنا بانتظار انتهاء عمل فريق البحث الجنائي، هيا بنا.

قالها المقدم محمد نزار وهو يخبط بكفه العريض ظهر بلال الذي انحنى تحت وطأة الضربة، قبل أن يمد الخطى خلف المقدم ورجل بدين ضخم يلتمع العرق على جبهته وعلى شاربه الأسود اللامع المصبوغ بعناية. رجل يعرفه بلال جيدًا باسم اللواء «فتحي السيد» رئيس أمن المهرجان الذي خرج من الخدمة كلواء أمن دولة سابق منذ عدة سنوات تنقل فيها بين رئاسة أمن فنادق الخمس نجوم والمحافل الاجتماعية والفنية.

*

انطلق المقدم محمد نزار وراء مدير الأمن نحو مسرح الجريمة. كان قد لاحظ الشحوب الذي اعترى الرائد بلال عند رؤيته ولكنه لم يأبه لذلك، فهذه قد تكون فرصته الأخيرة لوضع الأمور في نصابها إذا ما صحَّت التكهنات حول هوية القتيل. نحَّى عنه أفكاره، يجب أن يكون في كامل يقظته وقدرته على الملاحظة. وقف أمام الباب حيث أشار مدير الأمن اللاهث من أثر المجهود. تلفت نزار حوله ثم أومأ برأسه إلى كاميرا المراقبة المثبتة أعلى أحد الأعمدة المواجهة لباب الغرفة قائلًا:

- أريد تفريغ هذه الكاميرا على الفور.. وباقي الكاميرات القريبة بالطبع.

أومأ مدير الأمن برأسه بينما ازدرد بلال ريقه ولم يعقب إثر دوره المستمر في الانكماش. فتح مدير الأمن باب الغرفة فدخل نزار ومن خلفه بلال، بينما وقف اللواء فتحي بالخارج. مسح نزار الغرفة بعينيه مسجلًا بذاكرته الفوتوغرافية تفاصيلها؛ مرآة بيضاوية ذات إطار مذهّب معلقة على الحائط الأيمن، وأسفل منها رف عريض لأدوات التزيين عليه مشط بلاستيكي وقنينة عطر تبدو فارغة. وفي منتصف الغرفة قبعت منضدة متوسطة الارتفاع، علم نزار أن الجثة لا تزال تحتها ولكنه أجلها للنهاية. نظر إلى الحائط الأيسر، حيث استندت إليه أريكة جلدية وثيرة تكفي لشخصين، وأعلاها مرآة مستطيلة كبيرة مثبتة على الحائط. نظر نزار إلى مصدر الضوء الهزيل بركن الحجرة الأيمن وتأمل المصباح لهنيهة قبل أن ينظر إلى الركن الأيسر، حيث انتصبت نبتة صناعية خضراء كبيرة، وبينهما مطفأة سجائر مقلوبة على الأرض تناثرت حولها الأعقاب المختلفة. بحث بعينيه عن أية عناصر أخرى في مسرح الجريمة قد تكون ذات دلالة، فلم ير شيئًا ذا قيمة، ولكن ما أزعجه على وجه الخصوص: غياب أية أداة قد تصلح كسلاح للجريمة!

عاد بنظره إلى بقعة الدماء التي توسطت السجادة السميكة وانحنى يتفحصها دون أن يمسها قبل أن يقرر النظر أخيرًا باتجاه الجثة المنكفئة أسفل المنضدة. تفرّس في وجه القتيل ثم.. وفي أول فرصة اختلى فيها بنفسه بعدها، اتصل بزوجته التي ردت بلهفة من

انتظر المكالمة لساعات:

- ها؟

- هو..

- وماذا ستفعل؟

- سألبي نداء الواجب.

- يمكنك التنحي.. سيتفهم رؤساؤك الأمر.

- وأنهزم أمام نفسي؟ وأمام ثلاثة عشر عامًا من الصبر!

صمتت.. فأردف بنبرة لينة:

- أحتاج لدعواتك..

- هل تحب أن أتصل بخالي، يمكنه أن...

- لا.

قالها بهدوء حاسم قبل أن ينهي المكالمة ويعيد قناع الصرامة والجفاء على وجهه استعدادًا لليلته الطويلة.

*

جلس المقدم محمد نزار على المقعد الوثير خلف طاولة المكتب في الغرفة التي خصصها وأعدها سريعًا للتحقيق مدير الأمن. وضع هاتفيه أمامه وأخرج قلمًا ودفترًا ورقيًا صغيرًا من جيبه الخلفي ثم قام بثني أكمام قميصه لأعلى في بطء قبل أن يسأل اللواء فتحي:

- من الذي اكتشف الجثة؟

- مصور فوتوغرافي اسمه فاروق محمود المعايرجي.

- فاروق المعايرجي.. هكذا إذن! ائتني به.

راقب بلال الحوار الدائر في صمت يائس من على مقعده الخشبي في ركن الحجرة، بينما خرج اللواء وعاد سريعًا بشاب طويل ونحيف يبدو على محياه الإنهاك، يصل شعره الطويل إلى كتفيه ملتفًا في خصلات متموجة التصق الكثير منها بجمجمته بفعل العرق ويحمل على ذراعه سترة كتانية متجعدة.

- أنت!

هتف فاروق مندهشًا حينما رأى المحقق!

- الدنيا صغيرة كما يقولون..

علّق نزار بنصف ابتسامة قبل أن يردف:

- حينما سمعت الاسم والمهنة عرفتك على الفور.

ثم اكتسبت نبرته سخرية مبطنة وهو يومئ له بذقنه:

- شعرك لا يزال متمردًا كما هو.

ارتبك فاروق ولم يجد ردًّا فصمت للحظة، قبل أن يبدو عليه أنه تذكر شيئًا ما فمد كفّه نحو نزار قائلًا:

- البقاء لله.. آسف.. أعلم أني متأخر ولكنني..

- ليس الآن.

قاطعه نزار بصرامة بعد أن لاحظ نظرات بلال التي ينقلها بينهما في فضول فازداد ارتباك فاروق وهو يعيد يده إلى جانبه. أشار له المحقق بالجلوس وبدأ التحقيق:

- اسمك وسنك؟

- فاروق محمود المعايرجي – 28 سنة.

- كيف اكتشفت الجثة؟

- فتحت باب الغرفة فوجدتها.

- هكذا؟ وما الذي جعلك تفتح باب الغرفة؟ صديق للقتيل؟

- لا..

قالها فاروق بنبرة مترددة فلاحقه نزار:

- شريك للقاتل؟

بُهِت فاروق،

- ماذا؟ لا.. بالطبع لا..

- إذن؟ ما الذي جعلك تفتح باب تلك الغرفة في ذلك الوقت بالتحديد؟

ازدرد فاروق ريقه، أراد أن يصرف الأمر بعيدًا عن أنجي ولكن بدا له ألّا مفرّ، خاصة إن كان نزار هو المحقق. ازدرد ريقه ثانية ثم

عقد أمره وتكلم..حكى لنزار كل شيء من اللحظة التي رأى فيها ذيل الثوب المخضب بالدماء وحتى وجد عينيه في عيني القتيل الخاليتين من الحياة، ثم كيف خرج بعدها صارخًا يبحث عمن يبلغه..

حكى له كل شيء، ما عدا.. تفصيلة وحيدة أخيرة لم يبح بها إكرامًا لخاطر صاحبة العينين الزرقاوين ذواتي الظلال البنفسجية.

- هل تعرفت على القتيل في حينها؟

- لا.. لم أسأل نفسي حتى من يكون.. كل همي كان الخروج من الغرفة.

- هل رأيت أحدًا قريبًا من الغرفة أثناء دخولك أو خروجك؟

- لا لا.. كان الجميع في حفل الختام.. حتى إنني جريت لمسافة طويلة قبل أن أجد إحدى منظِّمات الحفل وأبلغها.

- هل تربطك أية علاقة بالقتيل؟

- أنا لا أعلم من هو حتى الآن.

رماه نزار بنظرة طويلة متفحصة قبل أن يقول:

- إنه المنتج السينمائي «شاكر شحاتة رجب» الشهير بـ «شاكر الغندور».

***

(5)

تحقيق أولي

صرف المقدم محمد نزار فاروق من الغرفة، ثم، واستنادًا لأقواله طلب استدعاء الفنانة «أنجي رستم» لأخذ أقوالها. دخلت عليه بعد دقائق فتاة شابة ممشوقة القوام، عيناها مغرورقتان بدموع أفسدت زينتها فلطخ الكحل الأسود وجهها. فكر نزار أن مظهرها الشاحب الباكي قد أضفى عليها جاذبية من نوع خاص، ثم تخيل رد فعل رضوى زوجته إن قرأت أفكاره فمنع ابتسامة كادت تظهر على شفتيه، وأشار إلى الفتاة كي تجلس ثم بدأ بسؤالها:

- اسمك وسنك؟

أجابته بأثر طفيف للدهشة في صوتها الرقيق:

- أنا الفنانة أنجي رستم - 27 عامًا.

- أريد معرفة تحركاتك هذه الليلة منذ الساعة..

ألقى نظرة سريعة على الدفتر أمامه ثم أردف:

- فلنقل الثامنة مساءً.

ظهرت الحيرة على وجهها للحظة، وبدا وكأنها تحاول استجماع أفكارها قبل أن تقول:

- قبل حفل الختام بقليل ذهبت إلى.. إلى شاكر في غرفته،

طفرت الدموع من عينيها فانتظرت لحظة حتى تمالكت نفسها فأضافت وهي تنشق:

- الله يرحمه..

- لماذا ذهبتِ إليه؟

- كنت أريد سؤاله على شيء بخصوص الفيلم الجديد.

- أي فيلم؟

تجدد أثر الدهشة في صوتها وهي تجيبه:

- لقد مضينا عقد فيلم جديد منذ فترة.. كل الجرائد والمواقع نشرت الخبر، ألم تقـ...

ثم إزاء نظرته الصارمة أكملت بنبرة مستسلمة:

- جلست معه قرابة العشر دقائق قبل أن تأتي مرافقتي لتنبيهي أن موعد عرض السجادة الحمراء قد اقترب.

- وهل للعرض مواعيد ثابتة؟

- بالطبع.. يبدأ قبل أي حدث مهم بقرابة الساعة، حيث نصل نحن الفنانات إلى ساحة المهرجان ونمر تباعًا على السجادة الحمراء للتصوير قبل أن تتوجه كل منا إلى وجهتها سواء لحضور عرض خاص لفيلم أو حضور إحدى الندوات المقامة على هامش المهرجان.

- جئتم الليلة لحضور حفل ختام المهرجان الذي يبدأ في تمام التاسعة، أليس كذلك؟

أومأت له برأسها وأكملت:

- خرجت من غرفة شاكرمع مرافقتي وتوجهنا إلى غرفة التزيّن بنهاية الممر، وهناك جدَّدت زينتي، ووضعت الرتوش الأخيرة، وهممت بالخروج ولكنني لم أجد حقيبة يدي الفضية الصغيرة. حاولت الاتصال بهاتفي الموجود بها لكي أحدد موقعها..

- استخدمت هاتف من؟

- الفنانة ميرال الطوخي، صديقتي.

- ثم؟

- لم يجب أحد على هاتفي فلم أعرف أين فقدتها. فكرت أنني ربما نسيتها في دورة المياه القريبة فذهبت ولكنني لم أجدها.. عدت لغرفة التزين يائسة ثم فكرت أن المكان الوحيد الذي مكثت به قليلًا بخلاف غرفة التزين والحمام هو غرفة شاكر. عدت إليها مع ميرال، طرقت الباب فلم أجد ردًّا، فتحته ببطء فرأيت حقيبتي على رف التزين. دخلت سريعًا وسحبت الحقيبة ثم خرجت وتوجهت إلى السجادة الحمراء.

- هل رأيتِ المجني عليه بالداخل؟

- المجني عليه؟

كررتها في حيرة..

- شاكر.. شاكر الغندور.

اتسعت عيناها وغطت فمها بكفها قبل أن تغمغم:

- وهل كان بالداخل.. مقتولًا؟

زفر نزار في نفاد صبر، وقلب عينيه لأعلى، فبدأت بالبكاء من جديد. تأملها وهو متسائل إن كانت دموعها صادقة.انتظر حتى هدأت ثم عاد لاستجوابها:

- كم كانت الساعة تقريبًا؟

طرفت بعينيها في حيرة قبل أن تجيب:

- ربما قبل الحفل بربع ساعة.. لست متأكدة.

كتب نزار شيئًا في الدفتر أمامه ثم عاد يسألها:

- ما طبيعة علاقتك بالمجني عليه.. شاكر الغندور؟

- علاقة جيدة.. جدًّا.. هو من اكتشفني وفتح أمامي طريق الشهرة.. كنا نستعد لفيلم جديد من إنتاجه، أنا بطلته الأولى.

- أي لا دافع لديك لقتله؟

فزعت الفتاة وهتفت:

- أنا؟ شاكر؟ كيف تجرؤ؟

- أجيبي على قدر السؤال.

حذرها في جفاء فأجابت في غضب تغالب دموعها:

- قلت لك أفضاله عليّ لا تعدّ ولا تحصى.. لقد خسرت الكثير

بموته..

قالت عبارتها الأخيرة منتحبة، فصرفها نزار بعد أن أمر بالتحفظ على ثوبها من أجل فحص الذيل كما أمر بتحديد إقامتها هي وفاروق بالمكان، ثم نظر إلى بلال للمرة الأولى قائلًا:

- أعد لي قائمة بكل الحضور الذين لهم علاقة بالمجني عليه من قريب أو من بعيد، سنستجوبهم جميعًا. سنبدأ بالعلاقات الأقرب أولًا. كما أريد تفتيش المكان بأكمله بحثًا عن سلاح الجريمة.

ثم وجه كلامه للواء فتحي:

- أريد تفريغ كاميرات المراقبة.. حالًا.

*

كان نزار مشغولًا على الهاتف يستمع لتقرير خبير البحث الجنائي عن مسرح الجريمة حينما دخل عليه اللواء فتحي وهو يمسح العرق عن وجهه. حركة بؤبؤ عينيه القلقة أنبأت نزار بوجود خطب ما، أنهى المكالمة ونظر نحو الرجل الذي اقترب من طاولة مكتبه ووضع عليها ذاكرة متنقلة صغيرة قائلًا بنبرة مهتزة:

- تفريغ كاميرات المراقبة موجود عليها...

انتظر نزار في صبر بقية العبارة فأردف اللواء السابق:

- فيما عدا الكاميرا المثبتة أمام باب مسرح الجريمة.

- ماذا تعني؟

- لقد تم محو تسجيلات هذه الكاميرا.

قفز نزار من على مقعده كالملدوغ صارخًا:

- ماذا؟

*

طرق الرائد بلال باب غرفة التحقيق ثم دخل سريعًا بعد أن أسر إليه عبدالمعبود بوجود مشادة حامية الوطيس بين رجلي الأمن الموجودين بها. وجد بلال كلًّا من المقدم محمد نزار واللواء فتحي السيد في حالة غضب شديد يتبادلان الاتهامات:

- لا تنس نفسك يا سيادة المقدم.. أنت تخاطب سيادة اللواء فتحي السيد.

- السابق.. اللواء السابق.. وحتى لو كنت لواء حاليًّا.. ما حدث هو إهمال لا يغتفر.

لم يدر بلال ماذا يفعل فألقى بقنبلته بصوت عالٍ كي يسمعاه:

- لم نجد أي أثر لسلاح الجريمة ولكننا وجدنا شيئًا غير متوقع!

سكت الرجلان المتشاجران وعمَّ الصمت فجأة، وقد توجَّها نحو بلال انتظارًا لما سيصرح به، فانتشى بالاهتمام المكتسب وأردف منتفخ الأوداج:

- وجدنا ملابس غريبة ذات قياس كبير ملقاة في حاوية قمامة قريبة من مسرح الجريمة.

- ماذا تعني بغريبة؟ أهي ملابس رجل أم امرأة؟

سأل نزار باهتمام وقد ذهب من صوته كل أثر للشجار السابق، أجابه بلال بنبرة مترددة:

- هذا ما لم نستطع تحديده.

ثم استدرك وهو يقرأ من على هاتفه:

- وجدنا قبعة سوداء عالية حوافها مطرزة بخيوط ذهبية وفضية، وسترة صفراء فاقع لونها وبنطالًا أسود.

- يجب أن نصل لصاحب هذه الملابس، أو صاحبتها..

تنحنح بلال فنظر إليه نزار مستفهمًا فقال:

- هناك شاب صحفي من ضمن الحضور ما إن رأى الملابس ونحن نستخرجها حتى هتف أنه يعلم لمن تكون. هل أستدعيه لاستجوابه؟

- بالطبع، ولكن احرص ألا تتسرب إليه أية معلومات عن التحقيق. أنت تعرف هؤلاء الصحفيين...

خرج بلال لتنفيذ الأمر، بينما استدار نزار للواء فتحي بعد أن استعاد قليلًا من هدوئه:

- مَن لديه إمكانية محو هذا الشريط بعينه؟

- موظفو الأمن بحجرة المراقبة.. و..

- مَن؟

- المهندس عبدالله الخبير التقني.

- استدعه فورًا.

هرول اللواء فتحي إلى الخارج، راقبه نزار وهو يفكر فيما أخبره به خبير الأدلة الجنائية في مكالمتهما ثم قال لنفسه:

- آثار شجار بمسرح الجريمة، وأعقاب سجائر رمادية مجهولة النوع، وظفر مكسور مطلي باللون الأحمر القاني، ترى.. من هي تعيسة الحظ صاحبته؟

***

(6)

منذ 28 سنة

يوليو 1992

وقفت نانا أمام المرآة حائرة تفكر في همّها وتتحسس بطنها الصغير الناتئ على استحياء من تحت جلبابها الحريري البنفسجي الموشى بخيوط طولية فضية اللون والذي التصق بجسدها مظهرًا مفاتنه.

سمعت صوت باب الشقة يغلق فمسحت بطرف إصبعها دمعة حاولت الفرار ثم رسمت على وجهها ابتسامة أسفل مساحيق التجميل الكثيفة التي غطته وهي تلتفت نحو الداخل من باب الغرفة هاتفة في دلال:

- الشهبندر بحاله تواضع وأتى إلينا..

اقترب منها بقامته الضخمة فمالت عليه وهي تهمس:

- أوحشتني.

- أنا متعب.

قالها ثم ارتمى عليها بجسده الضخم ودفن رأسه في صدرها كما اعتاد.. فهو برغم شراسته التي يرتجف لها أعتى الرجال، لم يكن معها سوى طفل صغير ينشد الأمان.. في حضن أم.

شعر بدقات قلبها تحت وجنته مضطربة فرفع رأسه عن حضنها

ونظر في عينيها الجميلتين اللتين يحلو له التيه فيهما، فلاحظ فيهما أثر الدموع.. وتبددت لحظة الأمان الهشة تلك..

سألها في خشونة:

- ألا زلت تبكين عليها؟ ليست أول ولا آخر بنت نصدّرها..

ندت عنها آهة خافتة وهي تقول:

- ولكنها صغيرة.. لم تتجاوز التسع سنوات يا شهبندر.. أصغر من الشيخ الذي يطلبها بأربعين عامًا وأكثر..

- ومنذ متى يهمنا فرق السن، فتاة الشهر الماضي كانت تصغر من اشتراها بخمسين عامًا..

- ولكنها كانت في الثامنة عشرة.. لا التاسعة..

- نانا.. لا أريد كلامًا كثيرًا.. هذا هو عملنا الذي نأكل من ورائه الشهد. لن أسمح لقلبك الضعيف هذا أن يفسد ما بنيناه أنا وسيادة العقيد في سنوات.

- حسنا.. سأصمت..

قالتها على مضض فظهرت على وجهه ابتسامة رضا.. شجّعتها.. فاقتربت منه حتى ملأ عطرها النفاذ أنفه وأسكره ثم رفعت إليه أهدابها ونظرت في عينيه وهي تعلم جيدًا أثر نظرتها عليه.. مدت أناملها الرقيقة ودلكت الوحمة الرمادية الصغيرة أعلى حاجبه الأيمن كما يحب، ثم سألته في غنج:

- وماذا عنا؟

أجابها متبرمًا وقد بدأ الغضب يتسلل إلى صوته من جديد:

- أنت مصرة على تكديري.. ألا تملّين يا امرأة؟ قلت لك أنا لا أصلح للزواج..

- ولكنك متزوج بالفعل من ابنة عمك.

- قدري الأسود الذي لا فكاك منه هي وابنها البليد الذي لا يشبهني في شيء وكأنه نسخة ذكرية منها بشعره البرتقالي وسحنته البيضاء المربربة وشخصيته النيئة كالفتيات.

- لذلك أحلم بطفل منك، يشبهك... نربيه بالحلال.. و...

قاطعها صارخًا:

- هل جننتِ! تريدين طفلًا مني.. ثم ماذا؟ تتركينه وتهربين جريًا وراء الفن؟ وما نغمة الحلال هذه؟ صارت تتكرر! قلت لك مرارًا الحلال لا يسمن ولا يغني من جوع..

انسِ يا نانا.. انسِ..

***

(7)

أشياء غريبة

اقترب بلال من غرفة التحقيق مصطحبًا «جو»، فوجد اللواء فتحي يسبقه إليها ومعه شاب منكمش على نفسه يمسح عرقًا غير مرئي عن جبهته بواسطة كم قميصه القطني. انتظر بلال ورفيقه على مقربة بينما دلف اللواء فتحي والشاب إلى الغرفة. جلس الشاب أمام نزار وانبرى قائلًا بنبرة مرتعشة:

- لم أفعل شيئًا، الذنب ليس ذنبي.

- اشرح لي من فضلك يا بشمهندس كيف تم محو محتويات الشريط؟

- ولكنني لست الوحيد المسموح له بالتواجد في غرفة المراقبة.

تدخل فتحي قائلًا:

- ولكنك الوحيد الذي لديه الدراية لفعل ذلك.

نظر نزار للشاب مستفهمًا فأجاب مدافعًا:

- من قال أن القاتل ليست لديه نفس الدراية؟

- ما هو المستوى التقني المطلوب لمحو الشرائط؟

- المسألة ليست كيفية محو الشريط، بقدر ما هي معرفة أي شريط يجب مسحه.

ظهرت ومضة سريعة من التقدير في عيني نزار أكسبت الشاب ثقة جعلته يردف:

- هناك مسار ملفات محدد لحفظ تسجيلات كل كاميرا. ليس من السهل على شخص من الخارج أن يعرف الشريط المطلوب محوه خاصة إن كان الوقت المتاح له محدودًا.

- متى تتوقع حدوث ذلك؟

- أنا وزملائي لا نترك غرفة المراقبة أبدًا إلا بالتبادل..

- حسنًا؟

- إلا حينما استدعانا اللواء فتحي إلى غرفة مكتبه بعد اكتشاف الجريمة.

رفع نزار رأسه إلى اللواء فتحي الذي أوضح قائلًا:

- حينما تم اكتشاف الجريمة اتخذتُ فورًا بعض الإجراءات الاحترازية مثل فرض الطوق الأمني، ومنع جميع الحضور من مغادرة ساحة المهرجان، فاستدعيت جميع رجال الأمن بمن فيهم رجال غرفة المراقبة لإبلاغهم بتلك التعليمات..

- وهل من الحكمة يا سيادة اللواء ترك غرفة المراقبة بلا مراقبة في وقت حرج كذاك الذي تلا اكتشاف الجريمة؟

سأله نزار بنبرة متهكمة فاحمرّ وجه اللواء وأجاب متحديًا:

- تلك هي الإجراءات التي ارتأيتها في حينها، إن لم تكن مناسبة

في رأيك يمكنك تصعيد الأمر لقياداتك.. ولْنَرَ.

تجاهل نزار كلام اللواء فتحي وسأل المهندس عبدالله:

- ألا توجد هناك كاميرا بالقرب من غرفة المراقبة نعرف منها من دخل أو خرج؟

- للأسف لا توجد كاميرا مباشرة، توجد كاميرتان في الممرين يمين ويسار الغرفة، ولقد راجعت تسجيلاتهما بنفسي فور اكتشاف محو الشريط فلم يظهر بهما سوى الأشخاص المسموح لهم بالتواجد في الغرفة.

- أريد تلك التسجيلات. شكرًا لك.. يمكنك الانصراف الآن.

قالها نزار ثم عاد بجسده إلى الوراء ورفع رأسه متأملًا سقف الغرفة متفكرًا.

*

طرق بلال الباب ودخل ومعه الصحفي الشاب. تأمل نزار جو من أعلى رأسه وحتى أخمص قدميه قبل أن يدعوه إلى الجلوس، كان التعب قد تمكن من الجميع وقد طالت الليلة، فأخذ جو يتثاءب بينما نظر بلال في ساعته متململًا.

- اسمك وسنك وعلاقتك بالحادث؟

- يوسف نبيل - صحفي - ليست لي علاقة مباشرة إلا كصحفي يبحث عن الحقيقة.

ابتسم نزار ابتسامة ساخرة قبل أن يعقّب:

- أخبرني بلال أنك تعرفت على الملابس.

- إنها ملابس المطرب التونسي الشهير سفيان يعسوب. القبّعة المطرزة هي علامته المميزة، والألوان الفاقعة والمقاس الكبير.. كلها تشير إليه.

صمت نزار متفكرًا فأردف جو موضحًا:

- احتلت أخبار سفيان وتصريحاته صفحات المواقع الإلكترونية أثناء المهرجان حينما اختارت إدارته المطربة التونسية آمال المثلوثي لإحياء حفل الختام. أثار ذلك حفيظة سفيان زاعمًا أنه أحق منها بتمثيل تونس لحنجرته الذهبية وشعبيته الكبيرة في مصر.

وجه نزار كلامه لبلال قائلًا:

- استدعِ سفيان يعسوب للتحقيق.

- لن تجدوه.

قالها جو مبتسمًا ثم إزاء نظرة نزار الجليدية استدرك قائلًا:

- حدثت مشادة بينه وبين ممثل إدارة المهرجان فرحل مغاضبًا قبل بدء حفل الختام بلحظات.

- غريبة! ولماذا يلقي بملابسه في القمامة؟ وما علاقة ذلك بالجريمة؟

- معروف أن شاكر الغندور هو أحد المتحكمين بالمهرجان من وراء

الستار.

- اممم...

لمعت عينا جو السوداوين وهو يهتف:

- ربما قتله سفيان انتقامًا؟ يمكنني مساعدتكم في التحقيق مقابل معلومات حصرية لجريدتي، ما رأيك؟

- تساعد مَن يا شاطر؟اصطحِبْه إلى الخارج يا سيادة الرائد..

قالها نزار بجفاء ثم إزاء جمودهما خبط بكفه طاولة المكتب وصرخ:

- إلى الخاارج.

انتفض جو من على مقعده وخرج مسرعًا يتبعه بلال وهو ينظر إلى نزار في استياء، في حين ظهر عبدالمعبود أمين الشرطة من العدم وتنحنح هامسًا لنزار:

- يا باشا.. أنت تحتاج إلى النوم وإلا ستفقد تركيزك.. وحلفاءك.

- من أنت؟

- خادمك المخلص عبدالمعبود يا باشا.. أمين شرطة القسم.

نظر نزار في ساعته فتفاجأ أن الساعة تعدت الثانية بعد منتصف الليل. خرج من غرفة التحقيق فوجد بلال يتهامس مع جو فاستدعاه بإشارة من يده وأمره حينما اقترب:

- تحفظ على الجميع حتى الغد لاستكمال الاستجوابات.

- اللواء فتحي أعطى أوامره بعودة الكثير من المشاهير إلى فنادقهم.

- ماذا؟

- لا يمكننا الإبقاء عليهم هنا وإلا سيثيرون جلبة والصحافة كلها حولنا، سنكون لقمة سائغة لهم والقيادات لن تحبذ ذلك.. ولكن لا تقلق لقد تم التأكيد على الجميع ألا يغادر أحدهم المدينة قبل إبلاغنا.

هتف نزار في غضب:

- كان يجب أولًا تفتيشهم ذاتيًا بحثًا عن سلاح الجريمة.

طمأنه بلال قائلًا:

- لقد فعلنا، بدأنا بالنساء والمشاهير ولم نجد شيئًا فسمحنا لهم بالرحيل. حاليًا يتم تفتيش الموظفين والعمال. لن يغادر أحد ساحة المهرجان إلا بعد خضوعه للتفتيش.

رمق نزار بلال بإعجاب لأول مرة منذ أن التقيا قائلًا:

- أحسنت.. ثم أشار إلى المساحات المائية المحيطة بالمكان قائلًا:

- يجب تمشيط هذه المساحات المائية مع أول ضوء في الصباح. إن خرج سلاح الجريمة من هنا ستتعقد القضية كثيرًا.

- سنفعل.

*

لم تكد سويعات الليل الباقية تنقضي حتى توجه نزار في كامل نشاطه نحو غرفة التحقيق. حيث وجد بلال قد سبقه إليها. استهله بلال قائلًا:

- بدأنا تمشيط المساحات المائية منذ ساعة، سلاح الجريمة لم يظهر بعد، ولكننا وجدنا شيئًا غريبًا في الماء.

- ملابس ثانية!

- بل ميكرفونات غارقة.

- ماذا تعني؟

سأله نزار وهو يجلس ويخرج قلمه ودفتره الصغير من جيبه،

- وجدنا عدة ميكرفونات موسومة باسم قناة تليفزيونية شهيرة رابضة تحت الماء. هل تسمح لي باستدعاء جو؟

- الصحفي اللزج؟ لماذا؟

- لديه معرفة كبيرة بالوسط الفني ومكائده، سيوفر علينا وقتًا.

بدا على نزار عدم الاقتناع فقرر بلال رمي بطاقته الأخيرة:

- سأعترف لك، أنا أحلم بترقية استثنائية تعيدني إلى مسقط رأسي بالإسكندرية، وأظن أنني سأنالها إن استطعنا حل هذه القضية في وقت قياسي ودون اللجوء إلى معاونة من المديرية بالقاهرة.

- أنا نفسي من مباحث القاهرة.. هل نسيت؟

- لم أنس، ولكنك لم تطلب فريق الدعم بعد. دعنا نتعاون بالمصادر

المتاحة لنا هنا ونحل القضية. سأنال ترقيتي المنشودة وستنال أنت واحدة بالتأكيد.

صمت نزار متفكرًا.. ربما سيناسبه هذا الطرح. سيمده بحرية أكبر في التحقيق بعيدًا عن أعين قياداته وفرق الدعم التي ما تفتأ أن تتدخل وتعقد الإجراءات.

وهو في هذه القضية بالذات.. يحتاج إلى الحرية!

ولكن.. هناك عقبة واحدة قد يحتاج من أجلها فريق الدعم:

- مهمة تحليل البيانات والصور. لدينا تسجيلات كاميرات المراقبة والصور التي التقطها المصورون. بيانات كثيرة تحتاج من يعمل عليها ويستخرج منها أية معلومات قد تكون ذات صلة بالجريمة، خاصة مع فقدان تسجيلات كاميرا المراقبة المواجهة لمسرح الجريمة، أية صورة قد تكون مهمة.

- يمكن أن نعمل عليها معًا. لدي خبرة لا بأس بها.

حرك نزار رأسه يمينًا ويسارًا في عدم اقتناع فاقترح بلال:

- ويمكننا الاستعانة بفاروق المصور الذي وجد الجثة.

- هل جننت يا سيادة الرائد، حسب القواعد الجنائية هو المشتبه به الأول.

- لاكتشافه الجثة ليس إلا، ولكننا حتى الآن لم نجد ما يدينه. لذلك من الأفضل أن نجعله قريبًا.. وخبرته في التصوير وعلاقاته بالمصورين الآخرين ستساعدنا حتمًا. سنستخدم الصحفي والمصور

لكننا لن نسمح بتسرب أية معلومات إليهم. ثق بي. هل أستدعيهما؟

صمت نزار يقلب الأمر على جوانبه وبلال ينتظر في صبر حتى قال:

- حسنًا.. موافق.. ولكن يجب أولًا حصر ما لدينا من معلومات كي نضع خطة للعمل ونحدد دور كل منهما بوضوح لضمان ألا تتسرب إليهما أية معلومات نريد إبقاءها سرية عن القضية.

لمعت عينا بلال وجلس مترقبًا خطة نزار، فقرأ الأخير من دفتره في تأنٍّ:

- أولًا.. بخصوص ملابس سفيان يعسوب التي وُجدت في حاوية القمامة، نحتاج لاستدعائه حيثما كان ونحقق معه بخصوصها. ثانيًا.. الميكرفونات الغارقة، يجب كشف علاقتها بالجريمة من عدمها.

- سنسأل عنها جو.

- والظفر النسائي الأحمر الذي وُجد في مسرح الجريمة، يجب حصر كل من لديها ظفر مشابه مكسور والتحقيق معها.

- ألن ننتظر صدور تقرير التحليل الجيني للظفر.

- يحييك ويحيينا الله.. هل تعلم كيف تتأخر تلك التقارير؟ لن ننتظره بالطبع.

- حسنًا.. ربما يفيدنا فاروق في ذلك فهو مصور ولا بد أنه قوي الملاحظة كما أتوقع أن نجد لديه صور لجميع الحاضرات.

- فاروق!

- لا تقلق.. سنأخذ منه معلومات دون أن نعطيه شيئًا.

- سأثق بحكمتك.. والآن استعجل لنا تقرير الطب الشرعي. نحتاج لتصور أوضح عن سلاح الجريمة المحتمل، والبصمات الموجودة على أعقاب السجائر، وأية آثار على الجثة قد تكون ذات فائدة للتحقيق، أيضًا نحـ...

قاطعه دخول صاخب لعبدالمعبود أمين الشرطة وهو يهتف لاهثًا:

- وجدنا سلاح الجريمة!

*

أخرج نزار قفازًا مطاطيًا من جيبه وارتداه سريعًا، ثم تناول السكين الصغير بلهفة وأخذ يقلبه بين يديه ويتفرس فيه قبل أن يظهر عليه الإحباط. فهم بلال فعقّب قائلًا:

- نظيف تمامًا..

- بل قل تم تنظيفه. أين وجدوه؟

- وجده أحد العمال في الساحة الخلفية بجوار الممر المائي.

هتف نزار في غضب:

- وكيف لم يتم تفتيشها بالأمس؟

- فريق البحث الجنائي يؤكد أنهم قاموا بتفتيشها بالأمس ولم يكن السلاح موجودًا.

- امم.. إذن هناك من تخلص من السلاح إبّان التفتيش الذاتي.

- أمتأكد أنه سلاح الجريمة؟

- عرض وطول النصل مقارب للوصف الذي ذكره لي خبير الأدلة الجنائية، سنرسل السلاح له للفحص والتأكيد. وحتى يرد التقرير سنتعامل على أنه هو سلاح الجريمة.

قال نزار وهو يقرب السلاح نحو عينيه ليقرأ اسمًا محفورًا عليه بدقة قبل أن يهتف مدهوشًا:

- أنجي رستم!

***

(8)

سلاح الجريمة

جلست أنجي رستم في مقعد التحقيق للمرة الثانية مستسلمة، وقد اختلف مظهرها كثيرًا عن الليلة السابقة، إذ رفعت شعرها الداكن إلى أعلى في ذيل حصان طويل واختفت مساحيق التجميل عن وجهها فبدا رائقًا وبريئًا برغم شحوبه الذي بدا واضحًا بالتناقض مع قميصها القطني الأبيض الناصع الذي ارتدته مع سروال من الجينز الأزرق جعلاها تبدو أنحف وأصغر سنًّا. رفع أمامها المقدم محمد نزار السكين السويسري الصغير فميزته على الفور وهتفت في لهفة:

- سكيني.. أين وجدته؟

- متى وأين كانت آخر مرة رأيته فيها؟

هزت رأسها في حيرة تحاول التذكر:

- لا أعرف.. هو موجود دومًا في حقيبة يدي.

- وهل تصحبين معك حقيبة بعينها طوال الوقت؟

أشرق وجهها وهي تقول:

- أنت محق. يمكنك أن تسأل مرافقتي فهي من ترتب لي أشيائي عادة، أعتقد أنها نقلته مساء أمس من حقيبتي النهارية البنية إلى حقيبة السهرة الفضية.

دون نزار ملاحظة ما في دفتره ثم سألها:

- لماذا تحرصين على وجود السكين معك، هل تشعرين بأنك مهددة؟

- ماذا؟ آه لا.. ليست مسألة تهديد.. أنا أتفاءل به، فهو هدية من مروان وظهرت به في فيلمي الأول.

- مروان؟

- المخرج مروان عناني.. أهداني إياه للقيام بدوري في الفيلم الذي أخرجه وقمت فيه بدور بطولة جماعية.. ألم تر صورته في الصحـ.. آه آسفة.. أنت لا تتابع أخبار الفن.

قالتها بنبرة يشوبها الإحباط فمنحها نزار نصف ابتسامة باردة جعلتها تفسر:

- إنه سكين شهير.. ظهرت صورته في المجلات والمواقع الإلكترونية مرارًا. لماذا أنتم مهتمون به؟ وأين وجدتموه؟

- لدينا شكوك قوية أنه السلاح الذي استخدم في قتل المجني عليه.

غاضت الدماء من وجه الفتاة وغمغمت:

- لا أعرف شيئًا عن ذلك.

- نحن لا نتهمك بأي شيء.. بعد! ولكن من الواضح أن شاكر قتل في وقت ما بين دخولك الأول ودخولك الثاني للغرفة. هل تستطيعين تحديد المدة الزمنية بين المرتين.

- لست أدري.. ربما عشرون دقيقة.. أو نصف ساعة على أقصى تقدير.

- قتل شاكر خلال هذه المدة.. وبهذا السكين على الأرجح. هل لديك شهود على مكان تواجدك خلال هذه الفترة؟

- نعم.. دادة أمينة مرافقتي فهي من صاحبتني من غرفة شاكر وحتى قاعة التزيّن وساعدتني في وضع اللمسات الأخيرة لزينتي. ثم ميرال الطوخي صديقتي التي كانت معي في الغرفة ورافقتني للبحث عن حقيبتي كما أخبرتكم.

عاد نزار فخربش بضع كلمات في دفتره ثم سألها:

- تركت شاكر حيًّا يرزق بالطبع؟

- نعم نعم.. كان حيًّا ويضحك في سعادة.

ألقى نزار نظرة على دفتره ثم سألها:

- قلت في التحقيق السابق أنك كنت في قاعة التزيّن مع صديقتك حينما اكتشفت فقدان الحقيبة، ذهبت لتبحثي عنها في دورة المياه ثم غرفة شاكر حيث وجدتها، هل ذهبت معك ميرال إلى دورة المياه؟

تلعثمت الفتاة:

- ماذا؟ آآ لا.. ولكنها كانت بضعة دقائق عدت بعدها إلى ميرال وذهبنا سويًّا إلى غرفة شاكر.

- حسنًا.. أين كنت منذ استجواب أمس وحتى الآن؟

- كنت في غرفة الفندق مع دادة أمينة حتى تم استدعائي منذ قليل.

اكتفى نزار بما سأله مؤقتًا وسمح لها بالذهاب، ثم طلب من بلال استدعاء مرافقة أنجي للتحقيق. عاد بلال بعد دقائق ومعه سيدة ضئيلة الجسد تبدو في عقدها السادس من العمر، وتشي ملامح وجهها المتغضنة بالطيبة والحنان، ارتدت نظارة سوداء ذات إطار بني سميك وجلبابًا بنيًّا وحجابًا أبيض كبيرًا يغطي النصف الأعلى من جسدها. تساءل نزار إن كانت كفيفة! ولكنه نحى ذلك الظن جانبًا حينما لاحظ أنها تتحرك دون مساعدة. أجلسها أمامه وبدأ بالتحقيق:

- اسمك وسنك؟

- أمينة عاشور– 56 سنة.

شعر بالانزعاج لعدم رؤية عينيها وهي تتكلم،

- يمكنك خلع نظارتك فلا توجد شمس هنا.

- ليست نظارة شمسية، لدي حساسية شديدة تجاه الضوء وقد حذرني الطبيب من خلعها.

- حسنًا لا بأس، ما علاقتك بالمدعوة أنجي رستم؟

- أنا مرافقتها، ربيتها منذ كانت صغيرة.

- ماهي تحركاتك منذ الساعة الثامنة مساء أمس؟

- كنت جالسة في غرفة التزين أنتظر الآنسة أنجي. سمعتُ إحدى زميلاتها تقول أن موعد حفل الختام قد اقترب فخفت أن تفوّت الآنسة أنجي تصوير السجادة الحمراء فذهبت لتنبيهها.

- كيف عرفت أنها في غرفة شاكر؟

- هي أخبرتني قبل أن تذهب إليه.

- هل تخبرك بتحركاتها عادة؟

ابتسمت السيدة وهي تجيبه في حنان:

- أنجي تنسى كثيرًا وتفقد إحساسها بالوقت لذلك تعتمد عليّ في تذكيرها ومتابعة مواعيدها.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

- أخبرتها بأنها تأخرت فخرجت معي مسرعة نحو غرفة التزين.

- وكيف كان حال شاكر؟

- كان يضحك وحاول استبقاءها معه لمدة أطول.

- ألم يكونا في حالة شجار؟

- لا أبدًا بالعكس، كان مبتهجًا.

- حسنًا ماذا بعد؟

- ذهبنا إلى غرفة التزين وساعدت أنجي في إتمام زينتها وكانت تستعد للخروج إلى السجادة الحمراء حينما اكتشفت فقدانها

لحقيبتها. ذَهبَت مع الآنسة ميرال للبحث عنها ولم أرها حتى نهاية حفل الختام.

- أين انتظرتِها؟

- في حجرة الفندق، فهي أخبرتني أنها ستسهر مع مروان والآخرين لأنها الليلة الأخيرة من المهرجان.

رفع نزار الكيس البلاستيكي الذي احتوى على السكين السويسري أمامها.

- هل تعرفين هذا السكين؟

قربت الكيس من وجهها وتفرست فيه لحظة ثم شحبت..

- تعرفينه إذن.. متى كانت آخر مرة شاهدته فيها؟

أشاحت بوجهها قائلة بنبرة مترددة:

- لا أتذكر.

ظهر الغضب في عيني نزار،

- إن ظننت أنك ستبعدين الشبهات عن ربيبتك بكذبك فأنت مخطئة، صدقك معنا قد يكون المنجّي لها.

صمتت السيدة قليلًا تفكر في الأمر ثم قالت:

- وضعته في وقت مبكر من مساء الأمس في حقيبة السهرة الفضية الخاصة بآنسة أنجي، فهي تتفاءل به منذ أن نجح دورها في الفيلم الأخير وتحرص على وجوده معها.

- هل تشهدين بوجود أنجي رستم طيلة الليل في غرفتها بالفندق؟

- نعم أشهد.. أنا وهي لم نغادر الغرفة منذ أن عادت بعد استجوابها أمس وحتى طلبتم استجوابها في الصباح.

- حسنًا شكرًا لك..

خرجت السيدة من الغرفة فقفز بلال جالسًا أمام نزار قائلًا بحماس:

- سألتُ «جو» عن السكين و..

قاطعه نزار بإشارة من يده قائلًا في شرود وهو يغمض عينيه:

- انتظر.. أريد أن أفكر.

صمت بلال على مضض، وانتظر بضع دقائق حتى فتح نزار عينيه وعاد للواقع قائلًا:

- هناك شيء ما بخصوص السيدة أمينة مرافقة أنجي.

بدا التعجب على وجه بلال وسأله:

- ما الأمر؟

- إنها تخفي شيئًا، ربما شيئًا رأته أو سمعته وظنت أنها بإخفائه تنقذ ربيبتها.

- أنجي القاتلة في رأيك؟

- لا يزال الأمر مبكرًا للحكم فلدينا قائمة طويلة من الحضور

لاستجوابهم أولًا، ولكن..

- ماذا؟

- السيدة أمينة تخفي شيئًا، أنا متأكد.. لا يشير ذلك بالضرورة إلى أن أنجي هي القاتلة، ولكن ربما شكّت السيدة في شيء وشعرت بواجبها لحمايتها. سنرى.. المهم ماذا كنت تقول عن السكين؟

- آه السكين.. يقول «جو» إنه مشهور بالفعل. طلب مروان صنعه خصيصًا لأنجي لأن أحد مشاهدها بالفيلم تطلّب وجود مطواة معها. ظهرت به في الفيلم، ثم بعد نجاح دورها ذكرت في أكثر من مقابلة تليفزيونية أنه كان فأل خير لها. فاروق أيضًا أكد أنها لا تتحرك من دونه.

- إذن جميع مَن في الوسط يعلم بوجود السكين في حقيبة أنجي.

أمّن بلال بهزة من رأسه، ثم أردف بنبرة ذات مغزى:

- الحقيبة التي كانت موجودة في غرفة شاكر حينما قتل. إذن؟

- إما أن تكون أنجي هي القاتلة.

- كيف ولماذا؟

تجاهل نزار أسئلة بلال وأكمل وكأنه يكلم نفسه:

- وإما أن الجريمة حدثت بدون تخطيط. الجاني تشاجر مع المجني عليه و...

قاطعه بلال:

- كانت هناك آثار شجار بالفعل.

- رأى حقيبة أنجي التي يعلم الجميع أن بها سلاحًا فوجد الفرصة سانحة له فارتكب الجريمة.

- Crime of passion

- ماذا؟

- أعني جريمة شغف، أو بمعنى أصح جريمة عاطفية. أسلوب القتل هذا عادة ما يشير إلى أن الجاني امرأة.

تجاهل نزار بلال مجددًا وأكمل:

- قَتَل شاكر وأَخَذ السلاح ومسح عنه البصمات وربما كان يمهد لإخفائه أو إعادته لأنجي بطريقة ما ولكن التفتيش الذاتي داهمه فتخلص منه.

- لا يمكن أن تكون أنجي هي القاتلة.

رفع نزار رأسه بفضول نحو بلال منتظرًا تفسير نفيه فأردف:

- لقد عيّنت فرد حراسة صاحب أنجي أمس بعد الاستجواب وحتى غرفتها بالفندق وظل مرابضًا أمام الغرفة حتى استدعيناها الآن. وشهد أنه لم يغادر أحد الغرفة حتى الصباح. لم تكن لديها فرصة للتخلص من السلاح.

- أحسنت يا بلال.. هذا يضيق نطاق البحث ولو قليلًا.

- ويبرئ أنجي..

- إلا إذا كان لديها شريك.

- هل تفكر بذلك حقًّا؟

- كل شيء وارد.. شككتُ أن تكون مرافقتها العجوز هي من تخلصت من السلاح نيابة عنها، ولكن كلامك عن وجود الحارس أمام الغرفة ينفي ذلك. هل لاحظت أن أظافر أنجي مطلية باللون الأحمر القاني مثل الظفر الذي وجد في مسرح الجريمة؟

- لاحظت، ولاحظت أيضًا أن أظافرها كلها طويلة لا ينقص أحدها.

- ربما تكون لصقت بديلًا.

- ربما.. هل سننتظر نتيجة التحليل الجيني للظفر؟ أم نطلب عرض أنجي على الطب الشرعي.

- هذه خطوة سابقة لأوانها.. لا يزال أمامنا الكثير لاستبيانه.

- صحيح.. ملابس سفيان يعسوب، والميكروفونات الغارقة. هل أستدعي جو؟

- لقد صدعتني بسيرة جو، حسنًا استدعه هو وفاروق، فلنر ماذا لديهما.. وأريد أيضًا قائمة الأسماء التي طلبتها منك.

- الخاصة بضيوف المهرجان الذين لهم علاقة بشاكر؟ أرسلتها لك على «الواتساب» ألم ترها؟

- «الواتساب»! حسنًا..

***

(9)

أسئلة وإجابات

انتهز نزار فرصة خروج بلال للاختـلاء بنفسه قليلًا.. أفكار متنافرة تتصارع في رأسه تحتاج لترتيب وتنظيم قبل استئناف استجواب المشتبه بهم.لا يزال المشهد ملتبسًا عليه، تفاصيل كثيرة غريبة وغير منسجمة، وكأن هناك من يتعمد دسها للتشويش عليه. ليس أمامه سوى اتباع منهجيته المعهودة، وفيها يأتي المجرم أولًا، ذلك الشخص الجريء واسع الحيلة الذي اقترف جريمة في مكان عام يعج بالناس ثم توارى كأنه لم يوجد، ثم وصل إلى شريط كاميرا المراقبة الصحيح ومسحه في وقت قياسي. مسألة تمييز الشريط الصحيح ومحوه هي النقطة التي حيرت نزار أكثر من غيرها، كيف لم يره أحد وهو يتجول بحرية ويصعد إلى غرفة المراقبة؟ كيف عرف الشريط المطلوب؟ هناك شيء لا يتفق مع المنطق. أخرج نزار دفتره الصغير وفتح صفحة جديدة ليدون فيها المهام التي تطرأ على ذهنه راسمًا بها خارطة الطريق لحل القضية:

1- مشاهدة تسجيلات الكاميرات القريبة من غرفة المراقبة.

الأمر الثاني الذي حيره هو اختفاء السكين من مسرح الجريمة ثم ظهوره في مكان آخر تم تفتيشه من قبل! حاول أن يتخيل سلوك المجرم، «جريمة عاطفية» كما وصفها بلال، أما هو فيفضل تسميتها بجريمة غضب. هل تشير بالفعل إلى امرأة؟ مع الظفر الأحمر المكسور والقتل بالسكين. لقد دلّت الآثار البادية على مسرح الجريمة

أن القاتل تشاجر مع شاكر لسبب ما.. أضاف مهمة جديدة في دفتره:

2- البحث عن دوافع الشجار مع شاكر لدى الموجودين بالمهرجان.

القاتل تشاجر مع شاكر وقتله، ثم ماذا؟ خرج من الباب هكذا ببساطة أثناء انشغال الجميع بحفل الختام، ثم؟ تماهى أو تماهت مع الجموع؟ كيف لم يلاحظها أحد من منظمي الحفل؟ هل يتركون مواقعهم لمشاهدة الحفل؟ كتب:

3- استجواب منظمي المهرجان القريبة مواقعهم من مسرح الجريمة.

ماذا عن سلاح الجريمة؟ هل أخذه الجاني معه من مسرح الجريمة تمهيدًا للتخلص منه؟ ثم سمع بأمر التفتيش الذاتي فتجوّل مبتعدًا حتى تخلص منه. كتب في دفتره:

4- تفريغ كاميرات المراقبة المحيطة بالمكان الذي وُجِدَ به سلاح الجريمة.

5- استجواب الشخص الذي وجد السلاح.

تذكر بغتة الملابس الغريبة التي وجدوها في القمامة. لام نفسه على عدم التحقيق في الأمر حتى الآن خاصة بعدما اشتم رائحة دافِع ما على أثر ما صرح به جو من احتمالية وجود عداء بين سفيان وشاكر بسبب اختيار آمال المثلوثي لإحياء حفل ختام المهرجان بدلًا من سفيان. كتب:

6- استدعاء المطرب سفيان يعسوب للاستجواب.

نظر إلى دفتره والمهام التي بدأت تنتظم فيه وطمأن نفسه أنه

سيعمل كما اعتاد بمنهجية، خطوة تلو الأخرى حتى يصل إلى القاتل..

ولو بعد حين!

*

أغلق نزار دفتره وعاد بظهره في مقعده إلى الوراء. حان الآن موعد الانتقال بعقله وقلبه للجزء الأصعب عليه في القضية: التفكير في المجني عليه...

من كان شاكر؟ ومن هم أعداؤه المحتملون؟ ابتسم لنفسه في مرارة فهو يعرف جيدًا واحدًا على الأقل يأتي على رأس القائمة.. ويعلم أيضًا أن الواجب الذي اعتاد أداءه بشكل روتيني في أي قضية، لن يكون سهلًا هذه المرة.. سيستدعي آلامًا من الماضي تم دفنها وإهالة التراب عليها بصعوبة ومعاناة عبر سنوات. هل يجدر به التنحي عن القضية كما نصحته رضوى؟ كلا.. لم يعتد الاستسلام.. خاصة والمعركة هذه المرة مع نفسه. ولكنها هي نفسه من يخشى أن تقوم عليه وتحيد به عن الحق الذي أقسم لحمايته، فيقع الاستسلام الحقيقي والهزيمة النكراء.

قطع عليه حبل أفكاره صوت طرق على الباب. دس مشاعره إلى أسفل وارتدى وجه «البوكر» المعتاد قبل أن يسمح للطارق بالدخول.دلف بلال ومعه المصور فاروق والصحفي جو الذي هتف على الفور في مرح:

- كيف يمكننا مساعدتك؟

نظر إليه نزار في استخفاف قائلًا:

- مساعدتي؟ لا تنس نفسك يا بني، أنت مجرد صحفي من الدرجة الثانية.

جفل جو وتنحنح بلال فأردف نزار في جفاء وهو يشير بيديه:

- اجلسا.. أنت هنا.. وأنت هناك. سنبدأ بك.. لقد وجدنا ميكروفونات غارقة بفعل فاعل في أحد الممرات المائية.

سأل جو في حذر:

- تابعة لأي قناة؟

- قناة «الدار».

- إنها القناة التي تعمل بها زوجة شاكر، المذيعة الشهيرة «سهيلة الرفاعي»، وذلك يفسر ما حدث بالطبع..

- قتل المجني عليه؟

- لا.. بل عدم تغطية قناة «الدار» لحفل الختام على الهواء، وعرض بدلًا منه فقرات مكررة من لقاءات ضيوف المهرجان في أيامه الأولى.

سأل نزار محاولًا ربط الخيوط:

- ماذا تعرف عن علاقة شاكر بزوجته؟ وما علاقتها بميكروفونات القناة الغارقة؟

- فيما يخص علاقة شاكر وسهيلة فهناك الكثير على المحك. سهيلة

تصغر شاكر بأكثر من خمسة عشر عامًا.. تزوجا منذ ثلاثة أعوام، وبالنسبة لشاكر فهي مدة طويلة بالفعل، زيجاته عادة لا تطول عن السنة ثم طلاق سريع وزوجة جديدة. يُقال إن زواجهما استمر تلك الفترة بسبب استمرار تحقيق المصالح للطرفين. سهيلة مذيعة لامعة ومحبوبة، والأهم: أبوها وزير سابق وأمها كانت كبيرة المذيعات بالتليفزيون سابقًا مما متع سهيلة بعلاقات كثيرة في الوسطين السياسي والإعلامي. قامت سهيلة بتلميع شاكر والأعمال الفنية التي تنتجها شركته. كما كانت همزة الوصل بينه وبين بعض الشخصيات الهامة، وفي المقابل أنتج لها هو برنامجها الشهير «الحياة مع سهيلة» والذي اعتادت فيه استضافة نجوم السينما المحليين والعالميين.

قاطعه نزار:

- حسنًا.. ما علاقة كل ذلك بالميكروفونات الغارقة؟

ضم له جو أصابع يمناه بعلامة الصبر مجيبًا:

- سأخبرك، ولكنني لم أنته بعد من علاقة الزوجين.. منذ عدة أشهر تم تسريب معلومة للصحافة أن شاكر على علاقة بممثلة شابة.

- علاقة غير شرعية؟

أجاب جو عن سؤال بلال بنظرة عابثة وهو يقول:

- شاكر معروف بعلاقاته ونزواته.. زوجة شرعية بالتوازي مع عشيقة. سهيلة لم تكن تمانع ذلك شريطة أن يظل أمر العشيقة طي الكتمان. وحينما تسرب الأمر، نشبت مشادة حادة بينه وبين سهيلة

في إحدى الحفلات وطلبت منه الطلاق على مرأى ومسمع من الجميع.

- حسنًا؟

- لو طلقها شاكر لم تكن لترث شيئًا.. أما الآن..

قال جو عبارته الأخيرة بنبرة ذات مغزى وتركها معلقة.. تفكر نزار للحظة قبل أن يسأله:

- وعلاقة الأمر بالميكروفونات الغارقة؟

- ألا ترى؟

أجاب نزار كاظمًا غيظه:

- لا أرى شيئًا.

- سهيلة هي المذيعة التي كان يفترض بها نقل حفل الختام على الهواء.. أما مع غرق الميكروفونات المفاجئ.. فلن يكون لديها عمل تؤديه في ذلك الوقت. توقعي هو أنها أغرقت الميكروفونات عامدة كي تستطيع قتل شاكر والحصول على أمواله كميراث شرعي. شاكر ملياردير كما تعرف.

تدخل بلال قائلًا:

- ولم لا يكون القاتل قد أغرق الميكروفونات كي يجعل الشبهات تحيط بسهيلة؟

- احتمال لا بأس به، خاصة أن علاقة الزوجين المتوترة كانت

معروفة للجميع.

فتح نزار دفتره وكتب:

7- استدعاء سهيلة الرفاعي للتحقيق.

ثم توجه إلى فاروق قائلًا:

- أريد منك فحص جميع الصور التي تم التحفظ عليها واستخراج ما فيها من معلومات. ابدأ بحصر كل امرأة كانت تضع طلاء أظافر أحمر قاني ولها علاقة بشاكر من بين ضيفات المهرجان كي نستجوبها، لن نجلس مكتوفي الأيدي بانتظار تقرير الطب الشرعي.

هتف جو في حماس:

- يمكنني مساعدتك.

تجاهل نزار عرض جو وفتح قائمة ضيوف المهرجان الذين لهم علاقة بشاكر من على هاتفه ووجه كلامه لبلال قائلًا:

- ابدأ بهؤلاء: أنجي رستم – سهيلة الرفاعي –بوسي السماك - و.. انتظر.. من هي بوسي السماك؟

وقبل أن يجيب بلال انبرى جو قائلًا بأسلوب مسرحي:

- إنها العشيقة..

***

(10)

العشيقة!

اتسعت عينا نزار حينما سمع إجابة جو، فأردف في حماس أوقده الاهتمام الذي جلبته له عبارته الأخيرة قائلًا:

- انفصل شاكر عن عشيقته بوسي السماك منذ عدة أشهر.. انتشرت شائعات أن سبب الانفصال هو اكتشاف شاكر أن لون عيني بوسي الأخضر الساحر ليس سوى عدسات لاصقة.

لم يستطع نزار منع نفسه من الضحك،

- هاهاها.. ماذا؟

- الوسط مليء بالإشاعات والتكهنات بالطبع.

تدخل فاروق في الحوار قائلًا:

- سبب غير مستبعد.. فكل عشيقات شاكر السابقات كن من ذوات العيون الملونة.. أخضر أو أزرق.

- يبدو أنك متابع جيد لذوق شاكر في النساء.

قالها نزار بنبرة ذات مغزى جعلت جو يضيف:

- ليست كلهن.. بل واحدة فقط!

رمق فاروق زميله بنظرة غاضبة بينما التقط نزار المعلومة دون أن يبديها لهم، قال لبلال وهو يكتب في دفتره:

8- استدع بوسي السماك للتحقيق.

أومأ بلال برأسه ثم نظر في ساعته وقال مقترحًا:

- ما رأيكم في استراحة قصيرة؟ يمكننا الحصول على قهوة جيدة في كافيتريا الجامعة القريبة من ساحة المهرجان.

*

تحرك أربعتهم نحو الكافيتريا، وهناك طلب فاروق وبلال ونزار القهوة وسبقوا إلى إحدى الموائد، بينما وقف جو بقامته القصيرة وجسده النحيف أمام نافذة العرض الزجاجية بالكافيتريا يتأمل المخبوزات المتنوعة في حيرة. رفع رأسه بحثًا عمن يساعده فوجد شابًا نحيلًا يتثاءب بشكل متتالٍ كمن لم يذق النوم وقد تدلت كمامة طبية زرقاء على ذقنه في إهمال. سأله جو عن حشو الفطائر الموجودة فأخذ يعدد له الأنواع بنبرة رتيبة غير مسموعة، فحاول جو الاعتماد على نفسه في الربط بين أشكال المخبوزات اللذيذة وبين الأسماء المعقدة ذات المقاطع والموجودة في قائمة الطعام. لقد سمع كثيرًا عن المخبز الألماني والآن الرائحة الطازجة التي تداعب أنفه وصلصات الفواكه التي تعلو الحلويات وتتساقط من على جوانبها دكوا مقاومته تمامًا فقرر أن يكسر سياسته المعتادة للتقشف ويطلب صنفين: فطيرة حادقة وفطيرة حلوة. وبينما هو يفكر فيما سيختار اقترب شاب عشريني بدا أنه زبون دائم إذ لم يتردد مثله أمام واجهة العرض بل طلب سريعًا: «كرواسون» بالزعتر وقطعة مثلثة من كعكة الجبن. إجمالي السعر الذي أعلنه الشاب المتثائب

جعل جو يتراجع متفاجئًا. مبلغ من ثلاثة أرقام يفوق سعر كيلو كباب وكفتة من «أبو العباس» الكبابجي الشهير الذي يحتل أهم ثلاث نواصٍ ببلدته الصغيرة في الصعيد. لملم جو ريقه الذي سال وكشكش شهيته وأجبر نفسه على اختيار صنف واحد فقط. وقع اختياره على كعكة الجبن المختالة بصوص الكريز الغني اللامع، ودفع الثمن صاغرًا عازمًا على الاستمتاع بها حتى آخر لحسة.

جلس جو على منضدة وحده بعيدًا عن زملائه وكأنه في موعد غرامي مع جميلته البيضاء ذات التاج القرمزي المغري، وبدأ في تدليل حواسه بقطع متلاحقة من الكعكة الغنية، يلحس الشوكة بعد كل قطعة حتى أجهز عليها تمامًا. ظلت قطعة صغيرة من صلصة الكريز معلقة على جانب فمه. شعر بها ولكنه أبقاها. أراد أن يحتفظ باللحظة لأطول وقت حتى بعد انتهاء الكعكة.

عاد لينضم للآخرين، فوجدهم يتبادلون الحديث بود أكثر من السابق وكأن تغيير المكان من غرفة التحقيق المغلقة إلى الساحة المفتوحة وهوائها المشبع باليود بالإضافة للقهوة الجيدة قد بددا الكثير من التحفظ.

سأل نزار جو:

- لم تقل لنا من هي الواحدة التي يضع عليها فاروق عينه من بين نساء شاكر؟

- ليست من نساء شاكر.

قال فاروق باقتضاب، فابتسم جو قائلًا:

- كنت أعني باعتبار ما كان متوقعًا لولا موته.

- إن كانت هناك علاقة بينها وبين أحد فسيكون مروان لا شاكر..

- يا لك من ساذج!

قالها جو لفاروق فرمقه فاروق بنظرة ساخطة ولم يعقب بينما سأل بلال وهو يمسح قطرات القهوة عن لحيته الصغيرة المشذبة:

- تتكلمون عن إنجي؟

- أنجي بفتح الألف لو سمحت، لا تثير غضبها.

قالها جو بسخرية فلكزه فاروق مغتاظًا. بدت الجدية على وجه نزار وهو يسألهما عما لا يعرفه هو وبلال عن أنجي وعلاقتها بكل من شاكر ومروان، وفاروق!

أجاب فاروق بسرعة:

- مروان هو المخرج الذي اكتشف أنجي حينما أخرج أغنية مصورة كانت هي من «الموديلز» المشاركات فيها. قدم لها فرصتها الدرامية الأولى بدور ثانوي في أحد المسلسلات الرمضانية من إنتاج شركة شاكر الذي تحمس لها كثيرًا من ذلك الحين فرشّحها لدور بطولة جماعية في فيلم شبابي من إخراج مروان حقق نجاحًا جماهيريًّا كبيرًا جعله يمنحها البطولة الأولى في فيلمه الجديد الذي كان قيد الإعداد، وكان الاتفاق أن يكون مروان عناني هو المخرج.

- مشوار فني قصير نسبيًّا..

علق نزار فبرَّر فاروق:

- أحب الجمهور براءتها وأداءها.

- بل أحبها شاكر.

قال جو ساخرًا، فعقب فاروق:

- إن كان هناك من يحبها فهو مروان، لقد لمح لها برغبته في الزواج منها.

- وكيف عرفت أنت ذلك؟ هل لديك علاقة شخصية معها؟

ارتبك فاروق وهو يجيب:

- مع أنجي؟ لا أبدًا.. كل ما في الأمر أنني التقيت بها عدة مرات كي أرسم لها صورة زيتية ثم حينما...

قاطعه جو ساخرًا:

- يتمنى أن تكون له علاقة شخصية بحبيبة القلب ولكنه عبيط، أضاع فرصة لقاءات اللوحة دون أن يفاتحها بحبه، وكانت هي وقتها مجرد «موديل» متواضعة للأغاني والإعلانات.. أما الآن، وبعد أن أصبحت نجمة مشهورة والطريق إليها أصبح محفوفًا بالرجال اللامعين، باتت فرصته معدومة..

حمد فاروق ربه في سره أنه لم يفضِ لجو بلقائهما الأخير فوق الأمواج، وإلا لكان نسج منه قصة ساخنة. أردف جو:

- فاروق يتكلم وكأنه يقرأ تقريرًا إخباريًّا.. بلا أي توابل حريفة تشد

القراء.. آآ أقصد المستمعين.

وضع نزار فنجان قهوته وهو يحفز جو:

- احكِ لنا نسختك الشيقة إذن..

انتفخت أوداج جو فازداد وجهه الأسمر حيوية، وكأنما منحته كعكة الجبن بالكريز نضارة خاصة:

- أنجي فتاة ذكية تجيد اللعب على كل الأوتار. حينما كان فاروق يرسم لها اللوحة جعلته يظن أنه أهم شخص في حياتها، ثم «هوب» «دوبل كيك» ركلته بعيدًا واستثمرت وقتها واهتمامها في مروان المخرج الشاب الذي فتح لها بابًا في حياة الفن والشهرة. تعلق بها مروان وظن أنها تبادله الاهتمام، أهداها المطواة الشهيرة المحفور عليها اسمها ضمن الكثير من الهدايا «الأنتيك» المميزة التي عكست ولعه بالفن والجمال. ثم ظهر شاكر على الساحة، وأبدى إعجابًا واضحًا بها فنقلت رهانها عليه على الفور.

قاطعه فاروق مستنكرًا:

- شاكر يكبرها بثلاثين عامًا على الأقل يا جو..

- ألم تفعلها الفنانة هانيا يونس من قبل؟ تزوجت في عز شبابها من منتج شهير يكبرها بعشرين عامًا كي يفتح لها أبواب الشهرة. ولكنها أخطأت الرهان إذ جاءت للمنتج في الوقت الخطأ، بعد أن حقق مشواره الفني الحافل مع زوجته السابقة نجمة مصر الأولى، وأصبح يرغب في الاستقرار وتكوين أسرة وأطفال مما أخر مشوار هانيا

الفني كثيرًا. أرى أنجي أذكى منها، ربما كانت لتشوّق شاكر دون أن تذيقه من كأسها. أو ربما كانت لتتزوجه عدة أشهر تقفز فيها درجات المجد على أكتافه وتنال فيهم نصيبها من خواتم الماس والحقائب «السينييه» ثم طلاق هادئ ترتبط بعده بمروان أو غيره وتعيش حياة طبيعية.

نظر له بلال بإعجاب قائلًا:

- أنت تجيد إضافة الكثير من التوابل بالفعل..

- وأجيد التحليل أيضًا.. أنجي لا مصلحة لها في قتل شاكر، خسرت الكثير بموته. أما مروان.. فالأمر يختلف، صحيح أن شاكر ومروان قد نجحا في خلق ثنائي إخراج وإنتاج ناجح.. إلا أن حرفية مروان وأفلامه السابقة التي حققت أعلى الإيرادات تجعل أي شركة إنتاج راغبة في التعاون معه. مروان لم يخسر الكثير على الصعيد الفني بخروج شاكر من المشهد، ولكنه ضمن أن حبيبته لن تكون لغيره.

عقب فاروق:

- أنت تتكلم وكأن علاقة شاكر بأنجي حقيقة، بينما لا يوجد أي دليل على ذلك.

- شاكر كان ينتظر غلق ملفاته القديمة مع سهيلة وبوسي قبل فتح الملف الجديد علانية.

رفع فاروق كتفيه وأنزلهما قائلًا:

- هذا غير صحيح.. يمكنكم سؤال أنجي نفسها.

نقل نزار عينيه بين الشابين متسائلًا في نفسه أي منهما على حق؟ وهل هذه المعلومات ستساعد حقًّا في التحقيق؟

الاتجاه السائد الآن أن الجاني امرأة.. الظفر المكسور وطريقة القتل وعلاقات شاكر المثيرة للاهتمام. أنهى نزار قهوته ونظر في دفتره متسائلًا: بأي نساء شاكر سيستأنف التحقيق؟

***

(11)

120 دقيقة على الحفل

ليلة الحادث– الساعة 7:00 مساء

وقفت «ولاء»، إحدى المنظمات بالمهرجان بموقعها المحدد على رأس الرواق المفضي للسجادة الحمراء، تمامًا بجوار الغرفة التي احتلها المنتج الشهير «شاكر الغندور» بشكل غير رسمي منذ اليوم الأول للفعاليات. اعتراها التوتر وهي تنقل ثقلها من قدم إلى أخرى بعد أن امتدت وقفتها لقرابة الخمس ساعات وتخدلت قدماها برغم ارتدائها حذاءها الرياضي الأسود المريح بالمخالفة لتعليمات المهرجان التي نصت على ارتداء المنظمات لحذاء رسمي بكعب عالٍ والالتزام بالكمامة الطبية. لم تكترث كثيرًا لمسألة الحذاء، فهي تعلم أن أحدًا لن يهتم بحذائها طالما هي من الواقفات في الكواليس، واختيارها لموقع خلفي لم يأت صدفة، بل له ما يبرره من وزنها الزائد، فالواقفات في الواجهة وأمام الكاميرات يجب أن يكن من صويحبات القوام الممشوق. وهذا لا يحزنها بالعكس، فهي تفضل ممارسة مهام وظيفتها دومًا من خلف الستار.

استطلعت ولاء الوقت، ساعتان على بدء حفل الافتتاح ولم تتح لها الفرصة حتى الآن لاستدعاء شيماء. تلفتت يمينًا ويسارًا، المنطقة حولها هادئة وشاكر بمفرده، فكرت.. ربما هي اللحظة المناسبة. رفعت الكمامة الطبية عن وجهها لثوانٍ طلبًا للهواء ثم أعادتها ثانية. إدارة المهرجان صارمة جدًّا بخصوص الالتزام بتوجيهات وزارة الصحة

وارتداء الكمامة، تلك الصرامة التي تسيح أمام وجوه الممثلين والممثلات المكشوفة للقاءات والتصوير، ولكنها لم تكن لتتبرم اليوم بالذات من ارتداء الكمامة. همت برفع هاتفها والاتصال بشيماء حينما ظهر شبح في نهاية الرواق. لم تستطع تبين وجهه بسبب الإضاءة القوية من خلفه حتى اقترب منها. رجل في أواخر الخمسين له رأس يكاد يكون أصلع كالبيضة لولا بضع شعيرات مدها صاحبها عنوة من اليمين لليسار فبدت صلعته كأرض بور فشل حرثها. لم يكن وجهه معروفًا لها إلا أن البطاقة الخاصة بضيوف المهرجان تدلت على صدره بوضوح فاطمأنت أنه منهم. مد يده نحو مقبض غرفة المنتج فأنزلت هي هاتفها في يأس. أخذ نفسًا طويلًا من سيجارة رمادية بيده فأخرج الدخان بزفرة قوية ثم دفع باب الغرفة ودخل، وقبل أن يغلق الباب من خلفه سمعت ولاء المنتج الشهير يهتف في غضب:

- ما الذي أتى بك إلى هنا يا فـ...

ثم أغلق الباب فلم تسمع الاسم، ولم تكن هي مهتمة بهوية الضيف إذ تصاعد توترها ليبلغ مبلغه وهي تتساءل متى سيخرج، ومتى ستسنح الفرصة لشيماء؟ شعرت لهنيهة بأنها قد تكون خائنة لوظيفتها باعتبار ما ستفعله، ثم عادت فذكّرت نفسها بصداقتها مع شيماء التي امتدت لأكثر من عشرين عامًا فهدأ ضميرها وانتظرت في صبر نافد.

لم يطل انتظارها إذ خرج الرجل البيضة بعد دقائق بوجه أحمر من الغضب يصرخ مهددًا بالانتقام يلاحقه سباب المنتج حتى ابتعد. أنبأتها الكلمات البذيئة المتلاحقة والنبرة غير المتزنة له بأنه في

حالة سكر كعادته في الأمسيات. استغربت أنه بدأ بالشرب مبكرًا ولم ينتظر حتى نهاية حفل الختام. نحّت استغرابها جانبًا فالدقائق تمر والفرصة تتضاءل ودقات قلبها تتصاعد. عادت إلى مراقبة الرواق آملة أن تقتنص لحظة هدوء قبل أن تفد الفنانات من خلال الرواق وإلى منطقة عرض السجادة الحمراء للتصوير قبل بدء الحفل.

***

(12)

استجواب ولاء..

تمعن نزار النظر في دفتره، ثم اتخذ قراره بالبدء في استجواب منظمي المهرجان الذين كانت مواقعهم قريبة من مسرح الجريمة لعلهم يلقون قليلًا من الضوء على من اقترب من غرفة شاكر في وقت متزامن مع مقتله. وبمكالمة بدأت متوترة مع اللواء فتحي حاول نزار التلطف في آخرها ليحقق مراده، حصل على اسم: ولاء ياسين، كتب اسمها في دفتره وطلب استدعاءها للتحقيق.

بعد دقائق دلفت إلى الغرفة فتاة شابة ممتلئة القوام، ترتدي قميصًا أبيض أزراره مشدودة، وسترة وسروالًا رسميين باللون الأسود. اختفى نصف وجهها الأسفل خلف كمامة طبية سوداء، وقد رفعت شعرها الأسود إلى أعلى فأعطى انطباعًا بقامة أطول من حقيقتها. طلب منها نزار رفع الكمامة فأطاعته. تأمل وجهها المكتنز وعينيها الصغيرتين الثاقبتين وفمها المزموم. بدت فتاة ذات إدراك وعزيمة، فتفاءل نزار وسألها:

- اسمك وسنك؟

- ولاء أحمد ياسين –29 سنة – منظمة بالمهرجان.

- أين كان موقعك ليلة ختام المهرجان؟

- تقصد أمس؟

سرح نزار بعينيه للحظة وقد شعر بمرور وقت أكثر بكثير من ليلة

ولكنه أجابها بإيماءة من رأسه فأردفت:

- كنت أقف في نهاية الرواق المفضي للسجادة الحمراء.

سحب نزار من ركن طاولة المكتب ورقة مطوية فتحها ليظهر بها تخطيط واضح لساحة المهرجان. مدت الفتاة رأسها وأشارت إلى نقطة معينة وقالت:

- هنا..

انتبه نزار لأظافرها. كانت طويلة لا ينقصها أي ظفر، غير مطلية وتبدو آثار طلاء أظافر أسود على جانبي كل ظفر.

- حسنًا.. متى بدأت نوبتك؟ احك لي عما حدث، ومن دخل غرفة المجني عليه شاكر الغندور بالأمس.

- بدأت نوبتي في الساعة الرابعة مساء. الساعات الأولى كانت هادئة، أغلب ضيوف المهرجان كانوا يستعدون لحفل الختام، لم يظهر سوى عدد قليل لإجراء بعض اللقاءات الصحفية والتليفزيونية، ثم مع اقتراب موعد الحفل بدأت الأعداد تتزايد، خاصة الممثلات للتصوير على السجادة الحمراء قبل فعاليات الحفل. أتى الأستاذ شاكر إلى غرفته في حوالي الساعة السادسة.

- هل خصصت له إدارة المهرجان هذه الغرفة؟

- ليس رسميًّا، فالغرف الملحقة بساحة المهرجان ليست مخصصة لأشخاص بعينهم، بل تتبع الفعاليات المنعقدة ويتغير نشاط كل غرفة حسب جدول الفعاليات. لكن لأن الأستاذ شاكر شخص له وزنه ومن

أعضاء مجلس إدارة المهرجان، فقد خصص لنفسه تلك الحجرة منذ اليوم الأول.

- أتى إليها وحده بالأمس؟

- نعم.. أحيانًا كان يتبعه شخص ضخم مفتول العضلات، أظنه مدير أعماله أو حارسه الشخصي أو ربما يجمع بين الوظيفتين، لكنه لم يكن معه هذه المرة، وقد لاحظتُ أن مرافقه عادة ما يغيب حينما يريد الأستاذ شاكر الانفراد بأحدهم.. أعني.. إحداهن في الغرفة، حينها يظهر وحده بلا حارس.

أُعجب نزار بالفراسة وقوة الملاحظة التي أبدتها ولاء فسألها:

- ومن كانت سعيدة الحظ ليلة أمس؟

- أنجي رستم.. التي علقت الدماء بثوبها.

هل شاب نبرتها شيء من الحقد أم هيئ لنزار!

- هل تعرفينها معرفة شخصية؟

- لا.. أبدًا..

- متى أتت إلى الغرفة؟

- قبل حفل الختام بحوالي ساعة. في الثامنة، أو ربما الثامنة والربع. بعد رحيل الرجل الذي تشاجر مع شاكر بقرابة الساعة.

لمعت عينا نزار واعتدل في مقعده.. ها هي البوادر تظهر..

- رجل! أي رجل؟

- قبل الحفل بساعتين تقريبًا دخل عليه رجل بدين وقصير ذو رأس تشبه البيضة، وجهه مألوف، ولكني لا أظنه ممثلًا.. دخل وأغلق الباب سريعًا خلفه ولكنني سمعت صوت شاكر يعلو غاضبًا، فعلمت أن الرجل ضيف غير مرغوب فيه. صدق حدسي حينما خرج الرجل بعدها بدقائق أحمر الوجه متبوعًا بسباب شاكر ولعناته..

كتب نزار ملاحظة سريعة في دفتره عن الرجل المجهول وهو يسأل ولاء:

- أي أن شاكر كان حيًّا حينما غادره الرجل؟

- بالطبع..

أجابت ولاء وفي صوتها أثر للدهشة وهي تسأل:

- ألم تخبركم أنجي؟

- بلى أخبرتنا.. هيا أكملي.. ماذا عن أنجي؟

- أتت في حوالي الساعة الثامنة، دخلت وأغلقت الباب خلفها. سمعت صوت ضحكة الأستاذ شاكر تعلو مرحِّبًا بها، ثم لم أسمع شيئًا حتى أتت سيدة ضئيلة الجسد ترتدي جلبابًا ونظارات سوداء. فتحت الباب عليهما فسمعت ضحكة دلع من أنجي بينما أطلق شاكر سبابًا واضحًا بالرغم من خفوته. حينها تراجعت السيدة العجوز متفاجئة، ثم خرجت لها أنجي وابتعدت المرأتان نحو غرفة التزين بنهاية الرواق.

- لماذا تفاجأت السيدة العجوز في ظنك؟ ما الذي رأته؟

أمِل نزار أن يكون شيئًا ذا علاقة بالجريمة فخاب ظنه حينما أجابته ولاء بحدة:

- الضحكة والسبة، الأمر واضح.. كانا في وضع فاجأ السيدة.

- امم.. احتمال لا بأس به، ولكنك لم تَرَيْ بنفسك؟

نكّست برأسها وهي تجيبه:

- لا.. سمعت الأصوات ورأيت وجه السيدة المتفاجئ فقط.

- ماذا عن المرة الثانية التي دخلت فيها أنجي؟

- مرة ثانية؟

- ألم تريها؟

بدت الفتاة متفاجئة، ثم اعتراها الاضطراب وهي تجيب بصوت خافت:

- لا..

لاحظ نزار تحول نظرتها الخاطف إلى اليسار فسألها في ارتياب:

- أين كنتِ حينئذ؟

أجابته بنبرة مترددة:

- ربما.. كان ذلك حينما ذهبت إلى دورة المياه، غبت فيها قليلًا وفي طريقي لموقعي وجدت الفنانات يتراكمن عند مدخل السجادة الحمراء وزميلتي غير قادرة على تنظيمهن وحدها فانضممت إليها.

- أي أنك لم تَرَيْ أنجي حينما دلفت الغرفة ثانية ومعها الفنانة ميرال الطوخي قبل الحفل بقليل؟

- لم أفعل.

- من غير الرجل البدين وأنجي رأيته يدلف غرفة شاكر؟

- لا أحد.

- متأكدة؟

ابتلعت ريقها وهي تومئ برأسها للأسفل مما استنفر قرون الاستشعار لدى نزار. تفرس فيها مليًّا ثم كتب عبارة صغيرة أمام اسمها في دفتره قبل أن يصرفها.

*

خرجت الفتاة، وجلس نزار يفكر بها..

سلوكها كان غريبًا، وكلامها حمل غضبًا غير متوقع، وكأن الأمر يخصها بشكل ما، خاصة حينما تطرق الحديث إلى علاقة أنجي بشاكر.. ما الذي يعنيها في الأمر لتتكلم بهذه الحدة؟ وهل تلك الحدة موجهة لشاكر أم أنجي؟ أم كليهما؟ شاكر يستحق بالطبع، بل يستحق ما هو أكثر.. ولولا الواجب لم يكن ليُؤْبَه به قيد أنملة.

عاد نزار يفكر في إفادة ولاء ويحللها.. عدم وجودها في الوقت الذي وقعت فيه الجريمة أمر غريب، خاصة مع محو محتويات الشريط. وكأن تلك النافذة الزمنية محظور عليهم رؤية من كان فيها أو معرفة أي شيء يخصها! وكأنما انتزعت من الزمن انتزاعًا..

هل يكون ذلك من ترتيب القاتل؟ سيكون عبقريًا بحق إن خطط لاستدراج ولاء بطريقة ما بعيدًا عن الغرفة.. أم أن للقاتل شريكًا، أو شريكة، هي التي قامت بهذا الدور بطريقة غير مباشرة؟ هل يعني ذلك أنها جريمة مدبرة تم التخطيط لها بعناية؟ وليست جريمة وليدة اللحظة بدافع الغضب كما صنفها هو وبلال؟ في العادة يكون الفرق كبيرًا وواضحًا بين نوعي الجريمة، ومن نظرة واحدة لمسرح الجريمة يتمكن من تحديد لأي الفريقين تنتمي، إلا أن هذه الجريمة مختلفة.. ومحيرة، مسرح الجريمة وطريقة القتل يشيران إلى جريمة وليدة اللحظة بدافع من الغضب بلا سبق إصرار أو ترصد، أما التفاصيل المحيطة بالجريمة فتشير نحو عقل جبار أعد للجريمة عدتها وخطط لها دون أن يغفل عن تفصيلة واحدة. تنهد نزار ثم قرر وجوب استدعاء ولاء ثانية لسؤالها ثانية عن السبب الذي جعلها تترك موقعها وقت وقوع الجريمة.

انتقل نزار بعد ذلك إلى معلومة الزائر الغامض الذي تشاجر مع شاكر باعتبارها معلومة جديدة تصب في عماد التحقيق. يحب هو سيرة المشاجرات فهي تمثل دافعًا لا بأس به للقتل. ولكن ما هو أقصر طريق للوصول لهوية ذلك الرجل؟

اتصل نزار ببلال وأخبره بأوصاف الرجل فاقترح عليه بلال عرضها على جو وفاروق ربما يميزه أحدهما، إذ كان بلال حينها لا يزال مع الشابين في الكافيتريا. أخبرهما عن رجل قصير وبدين في الخمسينيات من عمره تشاجر مع شاكر، احتارا، ثم حينما أضاف أن الفتاة شبهت رأسه بالبيضة هتف فاروق:

- أظنه الأستاذ فؤاد خيري الكاتب الكبير.

أكد جو قائلًا:

- وذلك الشجار له ما يبرره بالطبع. فالأستاذ فؤاد يزعم أن فيلم شاكر الأخير الذي نجح نجاحًا مدويًّا مقتبس عن رواية قديمة له لم تحقق انتشارًا وقت صدورها.

عقب فاروق:

- هذا ليس زعمًا. لقد قرأت الرواية وشاهدت الفيلم. أفكار كثيرة مقتبسة من الرواية بالتأكيد.

سأل بلال:

- لماذا لم يشترِ شاكر حقوقها بشكل متحضر إذن؟ بالتأكيد لم يعوزه المال لذلك.

- هذا هو شاكر. زعم أن السر وراء نجاح الفيلم هو الإنتاج الضخم والسيناريو الذي وضع عليه اسمه.

- وهل يكتب شاكر سيناريو؟

أجاب فاروق بنبرة تشوبها المرارة:

- لا نسأل هذه الأسئلة.. معروف أن كُتّاب الظل أوالـ Ghost writers وراء الكثير من الأعمال الإبداعية للمشاهير.

- من؟

- الـ ghost writer هو كاتب موهوب مبتدئ يبحث عن فرصة،

يستغل شاكر حاجتهم للمال فيشتري منهم إبداعاتهم وينسبها لنفسه.

- مثلما فعل البطل في فيلم مرجان أحمد مرجان؟

- أصبت.

أضاف جو قائلًا:

- زعم شاكر أن التشابه بين الفيلم والرواية لا يعدو عدة مشاهد بما لا يعد اقتباسًا فأعلن فؤاد أنه سيقاضيه فعرض عليه شاكر مبلغًا زهيدًا جعل فؤاد يشتاط غضبًا ويوكّل محاميًا، فاعتبر شاكر الأمر معركة شخصية وحشد لها أبواقه الإعلامية فأحاطوا الكاتب فؤاد خيري بالشائعات: تارة ينتشر على مواقع التواصل الاجتماعي أنه يقتبس رواياته من روايات غربية، وتارة أنه يسرق أغلفتها من لوحات عالمية.. وكما تعرف يا سيادة الرائد: في بلادنا العيار الذي لا يصيب «يدوش»، ولا أحد يكلف نفسه بالبحث وراء ما يقال. تدمّرت سمعة الكاتب الشهير وفقد تعاقده مع دار نشر كبيرة، ثم مؤخرًا خسر الدعوى القانونية.

مرر بلال أصابعه في لحيته القصيرة وهو يتمتم:

- امم.. دافع لا بأس به على الإطلاق.

***

(13)

استجواب فؤاد خيري..

أنهى نزار تمرين التنفس الذي علمته له رضوى، ويواظب عليه يوميًا منذ سنوات بعد السخرية من الفكرة لفترة لا بأس بها. كثيرة هي الأشياء التي علمتها له رضوى وغيرتها فيه، وكثيرة هي المرات التي صدَّ فيها أفكارها وتعالى عليها. يعلم الآن أن رضوى هي تجسيد استجابة الله لدعوات أمه الراحلة له، بصبرها وبهجتها التي لا تخفت ولا تتراجع أمام تجهمه الدائم وغضبه الذي استعر لسنوات أسفل قناع «البوكر» المحكم قبل أن يتعلم إدارة غضبه على يدي رضوى وخالها د. منصور حينما قرر إدارة ظهره للماضي والنظر للمستقبل.

طرقات على باب غرفة التحقيق انتشلته من أفكاره فيمم نظره نحوه ليدلف منه رجل بدين متوسط الطول، له عينا ذئب ورأس تشبه البيضة كثيرًا! عرّفه بلال قائلًا:

- الكاتب الشهير فؤاد خيري.

رحب به نزار وأجلسه. لم تغب عنه أسارير الرجل التي انفرجت قليلًا بالتزامن مع كلمة «الشهير»، ورائحة السجائر الخانقة التي انبعثت من جسده ما إن جلس.

- اسمك وسنك؟

- فؤاد أمين خيري. 57 سنة.

- ما علاقتك بالمجني عليه؟

- شاكر؟

- نعم.. شاكر الغندور.

- علاقة جيدة جدًّا.. بيننا أعمال وهناك رواية جديدة لي كنا نبحث تحويلها إلى مسلسل.

قالها الرجل ثم بدا أنه تذكر صلعته فجأة فمد كفه يمسد شعيراتها الهزيلة.

- ماذا عن الشجار الذي دار بينكما مساء أمس؟

دارت عينا الرجل في محجريهما وهو يكرر:

- شجار؟

- شجار.. نعم.. لدينا شاهد سمع ما حدث.

- الباب كان مغلقًا.

- سأعتبر هذا بمثابة اعتراف بحدوث الشجار. الإنكار سيزيد موقفك سوءًا، تعاون معنا وإلا سنتهمك بالشهادة الزور وعرقلة التحقيقات وربما القتل.

قالها نزار بصرامة اهتزَّ لها الرجل، فاغتصب ابتسامة أظهرت أسنانًا مليئة ببقع التدخين واعترف قائلًا:

- لم يكن شجارًا بالمعنى المتعارف عليه.. كانت مشادة كلامية. شاكر سرق روايتي وحولها لفيلم ناجح حصد الملايين، وحينما طالبته بحقي عرض علي تعويض هزيل اعتبرته إهانة. رفعت عليه

دعوى قانونية فسلط عليّ أبواقه الإعلامية التي لاحقتني ودمرت سمعتي، ثم تمكن بعلاقاته المتعددة من الفوز في الدعوى. لقد خسرت كل شيء وأنا الذي على حق.

لفظ عبارته الأخيرة بمرارة بادية قبل أن يردف بوجه محتقن:

- حينما رأيته في المهرجان وجدتها فرصة لكي نتكلم معًا بمودة بعيدًا عن وسائل الإعلام على أمل أن نصل لتسوية. لكنه ما إن رآني حتى كال لي السباب في غضب ورفض أي تفاهم. كان ثملًا تفوح من فمه رائحة الخمر فأدركت أن ذلك ليس بالوقت المناسب وخرجت على الفور.

عاد نزار بظهره إلى الوراء يفكر في إفادة الرجل، تبدو متطابقة مع إفادة ولاء ولكن..

- هل تدخن السجائر؟

- نعم.

- سجائر خاصة؟

سأله نزار بنبرة ذات مغزى أزعجت الرجل فأجاب بحدة:

- أحب السجائر الملفوفة، ولكنها تحوي تبغًا عاديًّا.

ثم أخرج من جيبه علبة معدنية صغيرة وضعها على طاولة المكتب قائلًا:

- يمكنكم التأكد.

فتحها نزار وتأمل الأصابع الرمادية الداكنة وتشممها قبل أن يغلقها ويسأله:

- قلت أنك لم تمكث في غرفة شاكر سوى دقائق.

- هذا صحيح..

- بما تفسر هذا العدد من الأعقاب؟

سأل نزار الكاتب وهو يضع أمامه صورة فوتوغرافية لمسرح الجريمة وبها العديد من الأعقاب الرمادية المتناثرة على أرض الغرفة. بهت الرجل وهو يتمعن في الصورة قبل أن يزدرد ريقه في توتر قائلًا:

- لا أعلم.. ربما تركت عنده عقبًا واحدًا لا أكثر..

- ألا يعني ذلك أنك زرته مرة ثانية؟ وأطلت فيها المكوث؟

- لا.. لم يحدث.. قلت لك أنه كان ثملًا وعصبيًا. آثرت تأجيل الحديث لوقت آخر. لست الوحيد الذي يدخن السجائر الملفوفة..

- هل لديك شاهد على مكان وجودك قبل حفل الختام بساعة، فلنقل منذ الثامنة مساء وحتى التاسعة؟

صمت الرجل للحظة وتسارعت أنفاسه قبل أن يجيب بنبرة يائسة:

- كنت أتجول في ساحة المهرجان وحدي محاولًا مداراة توتري إثر لقائي مع شاكر... التقيت بكتاب آخرين وسلمت عليهم ولكنني لم أمكث مع أحد بعينه.

أشار نزار إلى بلال كي يأخذ من الرجل أسماء أولئك الكُتّاب ثم صرفه. خرج الرجل مهرولًا والعرق يتفصد من كل مخارج جسده. علق بلال قائلًا:

- شديد التوتر هذا الرجل. أتظنه القاتل؟

- لست أدري. لديه المزاج الغاضب الذي نبحث عنه. ولديه الدافع.. ولكن الفتاة المنظمة شهدت بأن شاكر كان حيًّا حينما خرج، وكذلك شهادة أنجي تبرئه.

- إلا إذا كان قد عاد إلى الغرفة ثانية..

- خلال النافذة الزمنية المسحورة.

- ماذا قلت؟

أخبر نزار بلال عن حيرته تجاه الفترة الغامضة التي وقعت فيها الجريمة وبرغم وجود الغرفة في مكان حيوي بساحة المهرجان إلا أن أحدًا لم يَرَ الجاني. أو ربما رأى أحدهم شيئًا ولكنه لم يتقدم للإدلاء بشهادته! والأسباب قد تتعدد، ربما شاهد أحدهم شيئًا ويبتز القاتل، مما يعني وقوع جريمة قتل وشيكة. وربما القاتل هو الذي يهدد الشاهد.

- وربما لا يوجد شاهد على الإطلاق.

قالها بلال بواقعية، فأومأ له نزار في يأس.

- ما هي خطوتنا التالية؟

سأل بلال، ففتح نزار دفتره وقرأ منه للحظات قبل أن يقول:

- هل استدعيتم سفيان يعسوب للتحقيق؟

- نعم. جو كان محقًّا، غادر الرجل المهرجان إلى القاهرة قبل حفل الختام وقبل فرض الطوق الأمني.. استدعيناه وسيصل مساء اليوم.

- أريد التحقيق مع العشيقة والزوجة.. بأيهن نبدأ؟

- الزوجة؟ فهي الأهم في رأيي..

- حسنًا.. استدعها.. أريد أن أنتهي من جميع الاستجوابات اليوم. واستدعِ جو وفاروق أيضًا. أريدهما أن يحضرا التحقيق.

- هل أنت متأكد؟

سأله بلال بتشكك فأومأ له نزار مفسرًا:

- أنت محقّ، لديهما خبرة لا بأس بها بالوسط ومكائده والنمائم المنتشرة فيه. سيكونان مفيدَيْن إذا ما حاولت إحدى المرأتين الكذب. استدعِ أيضًا ولاء.

- المنظمة؟

- نعم.. إنها تعرف شيئًا لم تفصح عنه.

- هي الأخرى؟

- ماذا تعني؟

- هذا ما قلته عن السيدة أمينة مرافقة أنجي، إنها تخفي شيئًا.

انزعج نزار من تعليق بلال، هل يقصد التشكيك في رأيه وتقييمه؟ أم يرمي لأبعد من ذلك؟يجب أن يحتاط لتعليقاته أمامه. تجاهل الرد على تعليقه وأمره بنبرة جافة:

- استدعِ ولاء وراقب لغة جسدها أثناء استجواب الزوجة. لديها مرارة غير مبررة تجاه علاقة أنجي بشاكر. أتساءل إن كانت على علاقة بالزوجة أو العشيقة وغاضبة من أجلها، كما أريد أن أعرف أكثر عن الملابسات التي تركت فيها موقعها وقت وقوع الجريمة.

خرج بلال وبعد دقائق عاد بجو وفاروق اللذَيْن دلفا إلى الغرفة وتبعتهما ولاء ثم عاد بلال مصطحبًا معه زوجة المجني عليه. لاحظ نزار أن المذيعة الشهيرة بدت في كامل أناقتها برغم فقدانها لزوجها منذ ساعات. امرأة طويلة رشيقة، ارتدت السواد، ذات شعر خروبي مميز اللون رفعت جزءًا منه وتركت الباقي ينسدل في خصلات مغرية حول وجهها، ذات أهداب سوداء طويلة ومدببة كأنها أشواك حادة تخرج من عينيها. جلست مفرودة الظهر في ثقة أمام نزار بانتظار أسئلته.

***

(14)

استجواب سهيلة الرفاعي..

تأمل نزار الابتسامة الحزينة التي ارتسمت بإتقان على شفتي السيدة الجالسة أمامه، أدرك أنها تملك زمام نفسها جيدًا وتوقع أن تكون خصمًا صعبًا في الاستجواب..

- اسمك وسنك؟

- سهيلة الرفاعي 42 سنة.

- البقاء لله في السيد شاكر.

أخرجت سهيلة منديلًا صغيرًا من حقيبة يدها، مسحت به دمعة لم يرها نزار قبل أن تقول في خفوت:

- شكرًا لك.

لاحظ نزار أظافرها المشذبة بعناية والمطلية بلون وردي شاحب بدا مناسبًا للأحداث. قال:

- أرجو أن تعذرينا على استدعائك في مثل هذا الوقت العصيب بالنسبة لك، ولكننا نحتاج مساعدتك للكشف عمن قتل زوجك.

- أتفهم ذلك وأنا على أتم الاستعداد لمساعدتكم.

- هل لزوجك أعداء؟

- كُثُر، وكان شاكر رحمه الله يفتخر بذلك.

- هل يوجد أحد منهم هنا في المهرجان؟

تفكرت للحظة قبل أن تقول:

- هناك مبدأيًّا الكاتب فؤاد خيري. والمخرج مروان عناني.

- مروان عناني؟ أهو على خلاف مع زوجك؟

- نعم.. وقع بينهما خلاف مفاجئ قبل أيام من بدء المهرجان، أقسم شاكر على أثره بعدم التعاون مع مروان في أية أفلام مقبلة.

- ماذا عن الفيلم الجديد الذي كان من المقرر أن تلعب فيه أنجي رستم دور البطولة؟

- ذلك الفيلم هو سبب الخلاف، لم يكن مروان مقتنعًا بأنجي في دور البطولة.

- ماذا؟

هتف فاروق فحدجه نزار بنظرة صاعقة أسكتته، بينما أردفت سهيلة:

- أراد مروان ترشيح الممثلة الصاعدة ميرال الطوخي بدلًا من أنجي فهي حسب قوله أكثر موهبة وأنسب للدور الذي يحتاج فتاة «بنت بلد» بينما ملامح أنجي الأوروبية تجعلها غير ملائمة للدور.

- وشاكر؟

- كان مصرًّا على أن تلعب أنجي دور البطولة.

سألها نزار متحسسًا:

- ألم يُثِرْ ذلك استغرابك؟

فاجأته سهيلة بضحكة كتمتها سريعًا وهي تقول:

- آسفة.. ولكن من تتزوج من شاكر لا تستغرب أبدًا، خاصة حينما يأتي الأمر للنساء.. الجميلات.. ذوات الأعين الملونة منهن.

اختلس نزار نظرة نحو عينيها السوداوين فلاحظت وأردفت:

- شاكر لم يتزوجني عن حب، وإنما زواج مصلحة. وأنا أيضًا... كنا متفقَيْن، لذلك دامت زيجتنا أكثر من سابقاتها.

بدا نزار متفاجئًا من صراحتها فقالت:

- ذلك هو وسط المال والأعمال يا عزيزي.

- بالرجوع إلى أنجي.

- آه تلك الفتاة الغريرة صغيرة السن، حَسِبَت أنها ستتلاعب بشاكر كي يحقق لها أحلامها ولكنها كانت واهمة، فشاكر يتلاعب بألف من مثيلاتها دون أن يطرف له جفن.

سمع نزار صوتًا فوجد ولاء تفتح وتغلق قفل حقيبتها، تجاهلها وسأل سهيلة:

- وأنت؟

- لم أكن أغير، فلم نتزوج عن حب كما أخبرتك. شرطي الوحيد كان الحفاظ على صورتي أمام الناس، ولقد التزم شاكر بهذا الشرط.

- لماذا طلبتِ الطلاق إذن؟

- لا شيء يخفى عنكم أليس كذلك؟ حسنًا، تبدو الإجابة واضحة: طلبت الطلاق لأن شاكر لم يلتزم بالشرط.

- علاقته بأنجي؟

- لم تكن هناك علاقة بأنجي بعد.. كان الأمر برمته في المهد.

- من كانت إذن؟

صوت القفل يفتح ويغلق مجددًا!

- صاحبته الأخيرة.. بوسي. حاول إنهاء علاقته بها فذهبت إلى العلن وفضحت الأمر. غبية.. لذلك طلبتُ الطلاق فهذا كان اتفاقنا.

- وهو؟

- كان سيطلقني. شاكر رجل أعمال محترف يلتزم بكلمته.

- وماذا فعل مع بوسي؟

- لا أعلم تفاصيل ولكنني أتوقع أن يكون فرمها. لن تجد من يشغلها في المجال. قُضي عليها.. وإلى الأبد.. كانت غبية جدًّا لتتحدى شاكر!

- هل يمكن أن تكون انتقمت منه بقتله؟

- ها!

تفاجأت سهيلة...

- لم يخطر لي ذلك الخاطر. صحيح أنها غبية لكن مغلوبة على

أمرها. هل يمكن أن تكون قتلته؟

- لقد أشرتِ في كلامك إلى ثلاثة أعداء محتملين: الكاتب والمخرج والعشيقة. ثلاثتهم كانوا متواجدين بالمهرجان وقت وقوع الجريمة.

- شاكر له أعداء من خارج الوسط الفني أيضًا، فلديه أعمال أخرى بعيدًا عن شركة الإنتاج.

- التحقيقات لا تزال جارية، سنصل إليهم لا تقلقي، ولكن اسمحي لي أن أسألك: أين كنتِ وقت وقوع الجريمة؟ بين الثامنة والتاسعة مساء أمس؟

- هل يعني ذلك أنني متهمة أيضًا؟

سألت سهيلة ببرود فأجابها نزار:

- سؤال روتيني أرجو الإجابة عليه.

- كنت في مكالمة هاتفية طويلة أتشاجر مع مدير القناة التي أعمل بها.

- بخصوص الميكروفونات الغارقة؟

- ماذا؟!

بوغتت سهيلة، وبدت عليها الدهشة لأول مرة منذ بداية التحقيق.شعر نزار بانتصار محدود، لقد وقع أخيرًا على شيء يخترق به دفاعاتها.

- لقد وجدناها.

أجابها بنصف ابتسامة، ثم لما وجدها ما زالت مبهوتة أوضح:

- وجدنا ميكروفونات القناة المفقودة غارقة في أعماق المسطح المائي.

- آه وجدتموها؟ جيد.. جيد.

- ألهذا تشاجرتِ مع مدير القناة؟

ابتلعت سهيلة ريقها وأعادت خصلة خروبية شاردة من شعرها إلى مكانها ثم أجابت:

- نعم.

- وقت وقوع الجريمة؟ الساعة بأكملها؟

- نعم..

- حسنًا.. اتركي رقم هاتف مدير القناة مع الرائد بلال.

ابتلعت ريقها ثانية وأومأت برأسها، بينما بدا على وجهها شحوبٌ لم تخطئه عين نزار. صرفها نزار وكتب شيئًا ما في دفتره قبل أن ينظر إلى الموجودين بالغرفة بانتظار أن يدلي أحدهم بدلوه، وهو ما فعلته ولاء حينما قالت بصوت أجش:

- لقد رأيتها..

- من؟ سهيلة.

- نعم.

- بالقرب من غرفة شاكر؟

- لا لا.. بالقرب من القناة المائية.

- ماذا كانت تفعل؟

- رأيتها من بعيد.. تتمشى ببطء محاذية القناة وبيدها عدة مايكروفونات. تساءلت حينها في نفسي عما تفعل بهذا العدد، فالمعتاد هو ميكروفون واحد. لم أفكر كثيرًا في الأمر حتى مرت جواري بعدها بدقائق بيدين خاليتين. ربما ألقت بالميكروفونات في القناة.

- متى كان ذلك؟

- قبل الحفل بساعتين. كان الظلام قد عمَّ على الأجواء وكانت هي تسير ببطء و.. وحذر.

أغمضت ولاء عينيها ثم أردفت:

- حينما أسترجع المشهد أرى أنها تعمّدت المشي بعيدًا عن الأنظار والأضواء.

- هل أنت متأكدة من هويتها؟

- لون شعرها المميز لمع تحت أحد الكشافات، وكذلك قوامها الرشيق ومشيتها المتبخترة.. من الصعب أن أخطئها.

وجه نزار كلامه إلى بلال قائلًا:

- اتصل بمدير القناة فورًا واسأله عن الميكرفونات، وتأكد من

إفادتها بخصوص تلك المكالمة المطولة وقت الجريمة.

أومأ بلال برأسه، فتدخل فاروق قائلًا:

- بخصوص ما قالته سهيلة عن مروان، لا يمكن أن يكون حقيقيًا.. مروان يحب أنجي. أنا متأكد.

عقب جو:

- ولكنه شغوف جدًا بعمله. لن يُعرّض الفيلم للفشل من أجل حبه لأنجي إن ظن أنها ليست مناسبة للدور. بالنسبة لمخرج محترف مثله الحب سيأتي في مرتبة ثانية بعد العمل.

سأل بلال:

- ولكن هل هذا دافع كافٍ لكي يقتل شاكر؟ حتى لو أدى الخلاف إلى تنحيه تمامًا عن الفيلم؟ أنتم تقولون أنه مخرج موهوب وناجح، سيجد أفلامًا أخرى ومنتجين آخرين بسهولة.

أجاب فاروق:

- ليس الأمر بهذه البساطة. الفيلم المرتقب كان يحظى بدعم كبير من جهات سينمائية أجنبية لتناوله قضايا حساسة تمس تحرر المرأة الشرقية، مروان هو من اختار قصة الفيلم وهو من سعى لتدويلها لدى منظمات المرأة في أمريكا وأوروبا. هذا الفيلم كان سيقفز باسمه إلى العالمية دفعة واحدة.

تبادل نزار وبلال النظرات بينما تدخلت ولاء قائلة:

- وهناك ميرال الطوخي.. يفترض أنها صديقة أنجي، ولكن إن كان دور بهذه الأهمية سيسند إليها لولا شاكر.. هل يمثل ذلك دافعًا كافيًا للتخلص منه؟

***

(15)

استجواب سفيان يعسوب

نظر نزار في ساعته.. اقترب الوقت من السابعة مساء ولا يزال لديه آخرون على قائمة الاستجواب. يريد التحقيق مع بوسي السماك، وميرال الطوخي ومروان عناني قبل قدوم سفيان يعسوب الذي ينوي اختتام استجواب اليوم به.

قرر الخروج للتجول وحده عله يحظى بصفاء الذهن الكافي لتحليل المعطيات. كان الظلام قد عمَّ المكان إلا من بضعة كشافات لا يقارن عددها بعدد التي أضاءت الساحة ليلة الجريمة. لا يفتأ أن يطلق عليها كذلك وكأنها وقعت منذ زمن برغم أنها كانت الليلة السابقة فحسب. ماذا لديه حتى الآن؟ فتح دفتره وقرأ الأسئلة المتفرقة التي دونها أثناء التحقيق:

- ظفر مكسور، لم يجدوا صاحبته بعد. من هي؟ (بانتظار نتيجة التحليل الجيني).

- أعقاب سجائر مميزة أنكر الكاتب فؤاد خيري أن تكون كلها له. لمن تكون؟ (بانتظار تقرير البصمات).

- ميكروفونات غارقة، تشير الدلائل إلى أن سهيلة قد أغرقتها لسبب مجهول. ما هو السبب؟

- ملابس مطرب شهير ملقاة في القمامة. لماذا؟

- سلاح الجريمة اختفى ثم ظهر بعيدًا عن مسرح الجريمة. من فعل

ذلك؟

- شريط كاميرا المراقبة الذي تم محوه في غفلة عن الجميع. من فعل ذلك وكيف؟

- خلافات بين المجني عليه وبين زوجته، وعشيقته، والمخرج والكاتب. وماخفي كان أعظم. مَن مِن هؤلاء هو القاتل؟

أغلق دفتره وهو يزفر في يأس. كيف تجتمع كل هذه الأشياء الغريبة في قضية واحدة؟ هل هناك من يتعمد تشويش المشهد بدس تلك العناصر عليه، وهل يربطها بالفعل رابط واحد وهو قتل شاكر؟ أم أنها غير مترابطة ولكل منها تفسيرها الخاص. لا يؤمن بالمصادفات.. ولكن كيف يفسر هذا المشهد الملتبس؟

بأي الأسئلة يبدأ؟ أي منها هو المفتاح السحري للغز والذي سيفتح باقي الأبواب ويسحب وراءه الأسئلة الأخرى للحل؟ حاول أن يستدعي خبرته وحدسه لاختيار السؤال الأهم للإجابة ولكنه فشل. الماضي يلاحقه. ذكرى ذلك اليوم البعيد لا تنمحي من مخيلته.الجسد المسجى والفم المفتوح في صرخة لم يكتب لها أن تخرج. أمه المنكفئة على نفسها يختفي وجهها الباكي خلف كفيها وكتفاها ترتجان من النحيب..

كيف يمكن أن ينسى؟

انتشله من ذكرياته جرس هاتفه، أخبره بلال بوصول سفيان يعسوب. لم يكن نزار يخطط لاستجوابه أولًا ولكنه استسلم واتجه نحو الغرفة.

دلف نزار إلى غرفة التحقيق فطالعته قبعة سوداء عالية يعتمرها رجل ضخم محشور في المقعد المواجه لطاولة مكتبه. كانت ولاء قد رحلت بينما بقي فاروق وجو في ركن الغرفة صامتَيْن يتأملان المشهد. خلّص الرجل جسده البدين من المقعد بصعوبة ووقف في مواجهة نزار بوجه محتقن قائلًا:

- هل كان استدعائي من القاهرة ضروريًّا بعد ساعات من وصولي هناك؟

- إنها جريمة قتل.

أجابه نزار بجفاء وهو يجلس على مقعده. وضع هاتفه ودفتره أمامه وبدأ يتأمل المشتبه به. رجل في الخمسينات من عمره، ضخم الجثة، أشعث الشعر حليق الوجه، يرتدي ملابس أقل ما يقال عنها أنها مضحكة؛ سترة برتقالية وقميص أخضر وسروال بنيّ، بالإضافة إلى القبعة!

- اسمك وسنك؟

- سفيان يعسوب، 59 عامًا.

- هل هذه ملابسك؟

سأله نزار وهو يضع بعض الصور الفوتوغرافية أمامه. أمسك سفيان بالصور التي ظهرت فيها الملابس بوضوح ومن زوايا مختلفة قبل أن يهتف في دهشة:

- تشبهها إلى حد كبير.. بل هي! فأنا لم أجدها حينما أفرغت

حقيبتي في القاهرة صباح اليوم.

- متأكد؟

- نعم.. حتى انظر، هذه علامة مميزة في بطانة السترة. والإمضاء الذهبي باسمي على حافة القبعة.

- ما الذي جاء بها إلى حاوية القمامة؟

- حاوية القمامة! كيف وأين؟

- أنا الذي أسأل..

- لا أعرف..

- متى غادرت المهرجان؟

- قبيل حفل الختام بحوالي ساعة.

- هل لديك شهود؟

رمقه سفيان بغضب وهو يقول:

- سائقي.. يمكنك سؤاله إن أردت.

- سائقك أفاد بأنه أقلك من ساحة المهرجان إلى الفندق، حيث مكثت ساعتين قبل أن يقلك ثانية إلى القاهرة.

- وماذا في ذلك؟

- قَتْل المجني عليه تم خلال الساعة الأولى من هاتين الساعتين.

- ليست لي علاقة بالأمر.

- هل لديك شاهد بمكان وجودك خلال تلك الساعة؟

ابتلع سفيان ريقه وهو يحدق بنزار، ثم قال في بطء:

- كنت بغرفة الفندق وحدي ألتقط أنفاسي وأحزم أمتعتي. يمكنك مراجعة كاميرات مدخل الفندق والمصاعد إذا شئت.

- سنفعل. ما هو سبب الخلاف بينك وبين المجني عليه؟

- لم يكن هناك أي خلاف. أنا لم ألتقِ بذلك المنتج من قبل.

- ألم يكن هو وراء اختيار إدارة المهرجان للمطربة آمال المثلوثي لإحياء حفل الختام بدلًا منك؟

- هذه جملة خاطئة شكلًا وموضوعًا يا سيدي. أنا لا يوجد لي بديل على وجه الأرض. آمال بمثابة التلميذة للأستاذ.

وفجأة.. بدأ سفيان يغني..

رفع عقيرته بصوت سوبرانو مخيف ارتجّ له متاع الغرفة وحوائطها. استمر في الغناء وهو يجاهد القيام من مقعده ثم وهو يتجول في الغرفة ويفتح بابها ويخرج رأسه منها صادحًا، حتى عاد إلى مقعده وهو لا يزال يغني. فجّر كوبليه أخير في وجه نزار ثم توقف فجأة كما بدأ. ابتلع نزار ريقه وأومأ برأسه كناية عن أن الرسالة وصلت.

في هذه اللحظة وضع «جو» ورقة صغيرة أمام نزار، قرأها لترتسم على شفتيه نصف ابتسامة وهو يسأل سفيان:

- ربما لم تلتقِ بشاكر من قبل، ولكن ماذا عن ابنه؟ كريم شاكر؟

امتقع وجه سفيان ورمق جو بنظرة حانقة قبل أن يقول:

- كريم هذا زينة الشباب. خسارته في أب مثل شاكر.

- ما علاقتك به؟

- لفظه أبوه فاحتضنته أنا. إنه ملحن بارع لم يجد من يقدر موهبته حتى التقينا صدفة وأسمعني بعضًا من ألحانه. عبقري.. بليغ حمدي المستقبل. هل سمعت أغنيتي الجديدة؟ إنها من تلحينه.. ونعمل معًا على عدة أغانٍ أخرى ستقلب موازين الطرب في الوطن العربي.

- هل قتلت شاكر انتقامًا لابنه؟

- قلت لك لم ألتقِ بشاكر هذا من قبل..

- ما هو تفسيرك إذن لوجود ملابسك في القمامة؟

- لست أدري حقًّا..ربما..

قالها سفيان ببطء وهو يفكر.. لاحظ نزار نظرة عينيه التي سرحت إلى اليمين قبل أن تعود لترتكز على الصور. تغيرت نبرة صوته وهو يؤكد بنبرة حاسمة:

- لا أعلم شيئًا عن الأمر.

فيما بعد، بعد أن خرج الرجل مصطحبًا قبعته ومساحته البرتقالية الشاسعة، قال نزار:

- هذا الرجل يخفي شيئًا.

- كلهم في رأيك يفعلون!

علق بلال بنبرة متهكمة تجاهلها نزار بعد أن حدجه بنظرة حادة ثم أردف:

- ربما لم يقتل شاكر ولم يُلقِ بالملابس في القمامة ولكنه يعلم من فعلها.

- كريم.

هتف فاروق، فنظر إليه نزار مستفسرًا فاقترب منه فاروق رافعًا هاتفه المحمول:

- هذه صورة كريم شاكر مع سفيان.. ماذا تلاحظ؟

- شعر كريم البرتقالي مميز جدًّا.. ولكن بنيتهما متقاربة..

- بالضبط. كريم يتبع سفيان مثل ظله. ربما هو من أخذ ملابسه وارتداها.

- لماذا؟ ولماذا تخلص منها في القمامة؟

تدخل جو قائلًا:

- هناك شجار عنيف وقع بين شاكر وابنه على الهواء مباشرة في أحد البرامج الحوارية. أتعرف ذلك البرنامج الشهير الذي يستضيف النجوم وأبناءهم؟ استضافوا شاكر وكريم، والمذيعة كانت تعلم أن العلاقة بينهما لم تكن على ما يرام بسبب رفض شاكر تبني موهبة كريم أو السماح له بالعمل على الموسيقى التصويرية لأي من الأفلام

التي تنتجها شركته، وهو ما أعلن الفتى مرارًا أنه حلمه. ظنت المذيعة أنها سترأب الصدع بين الأب وابنه إذا فاجأ كريم شاكر بعزف ألحان موسيقى تصويرية وضعها لفيلمه الجديد، ثم بالغت في الأداء إذ طلبت من الجمهور التصفيق والصفير لتشجيع شاكر على أن يوقع عقدًا مع كريم على الهواء مباشرة، وختمت المشهد الدرامي بتقديم العقود لشاكر على الهواء بابتسامة واسعة. احتقن وجه شاكر وانتفخ ثم فاجأ المذيعة بخطف الأوراق من يدها ومزقها وألقاها في وجهها ثم نزع العود من يد ابنه وانهال به على الأرض حتى صار شذرات متناثرة قبل أن يصفع ابنه على وجهه ويخرج من الاستديو مغاضبًا وسط دهشة الجمهور وابنه والمذيعة.

- يا للهول. رد فعل مبالغ فيه للغاية!

- قرأت على الإنترنت تحليلًا لأحد الأطباء النفسيين أن شاكر لديه شخصية حدية، وما حدث ضغط عليه وحاصره في موقف ضد رغبته ففجّر نوبة غضب شديدة أخرجته عن السيطرة، بالإضافة إلى اقتناعه بأن ما حدث كان من تدبير ابنه وبالاتفاق مع المذيعة على عكس ما صرحت به المذيعة نفسها بأن كريم لم يكن يعلم شيئًا عن خطتها.

عاد نزار بظهره إلى الوراء في مقعده متفكرًا، ثم قال:

- إذا مددنا الخط على استقامته، وأخذنا بالمعطيات التي لدينا هل يمكننا تصور سيناريو كالتالي: عاد سفيان مغاضبًا إلى غرفته بالفندق قبل حفل الختام. رأى كريم في عودته فرصة للتواجد في

المهرجان والانتقام من أبيه دون أن يميّز وجوده أحد. تحايل على سفيان وسرق ملابسه وارتداها ليخفي هويته، خاصة بالقبّعة التي أخفت شعره المميز، عالمًا أن سفيان لن يعود إلى ساحة المهرجان بعد خلافه مع الإدارة. ربما لم يكن القتل في نيته، ثم تطور الأمر إلى مشاجرة عنيفة. رأى كريم حقيبة أنجي، والتي يعلم الجميع كما قلتم أنها تحتوي على سلاح ماضٍ، استل السكين وقتل أباه في لحظة غضب. ثم أدرك ما فعل فخرج مسرعًا وتخلص من ملابس سفيان عند أقرب حاوية قمامة و..

قطع تحليل نزار الصوت الحاد لتصفيق بلال..

- سيناريو محكم ببراعة.

- نحتاج إلى الدليل إذن لإقناع النيابة.. همّتك معي يا بلال، استعجل تقرير الطب الشرعي واستدعِ كريم هذا للتحقيق.. أشعر أننا اقتربنا.

- يا لسخرية القدر.. برغم كل هؤلاء الأعداء. يقع شاكر صريعًا بيد ابنه!

قالها جو بصوت أجشّ وبجدية لم يعتادوها منه، تفرس نزار في وجهه ثم خربش بضع كلمات في دفتره قبل أن يغلقه ويرفع رأسه إليهم ليصرفهم قائلًا:

- انتهى عملنا اليوم.. إلى الغد.

***

(16)

استجواب جو

بعد منتصف الليل بنصف ساعة، وأثناء تناول بلال لطبق لذيذ من الأرز باللبن مع الملائكة، انتشله من أحلامه الرنين المتصل لهاتفه. تلقى بلال مكالمة نزار بين النوم والصحيان، حتى إنه حينما استيقظ في الصباح لم يكن متأكدًا من تلقيها. هل طلب منه نزار بالفعل مراجعة الملف الأمني لكل من جو وفاروق؟ ودون إبداء أي أسباب أو مقدمات. يظن أنه سأله عن السبب ويظن أنه أجاب باقتضاب: «حسي الأمني». عن نفسه، لم ير بلال من الشابين ما يثير الشبهات أو يستحق شكوك رئيسه. ولكنه في نفس الوقت لا يستطيع إنكار أن المقدم محمد نزار أثبت في الساعات الفائتة أنه يفكر بطريقة منهجية سليمة، وأنه حريص على استجلاء الحقيقة وتقديم الجاني للعدالة أيًّا كان الثمن، لولا ظهوره ذاك الغامض والسريع في مسرح الجريمة وكأنه كان ينتظرها، أو.. أو يتوقع حدوثها!

صرف بلال عنه أفكاره المضطربة بهزة من رأسه وارتدى ملابسه سريعًا كي يلحق بيوم التحقيق الجديد والذي قرر أن يبدأه بتنفيذ طلب نزار رغم عدم اقتناعه به.

*

بعد شروق الشمس بقليل، انتهز نزار الهدوء المخيم على المكان، وخرج يتجول على شاطئ البحر. وقف قبالته، واضعًا كفيه في جيبي سرواله، يتأمل الأمواج الناعسة وهي تمتد بتكاسل على

الرمال ثم تتراجع متثاقلة لكي تلحق بها تاليتها تحثها على التقدم إلى الشاطئ من جديد في متوالية طبيعية بديعة خلبت لبه وأراحت باله. رائحة البحر، وزرقته الشديدة، و امتداده اللامتناهٍ جذبوا كالمغناطيس كثيرًا من متاعبه وهمومه. جلس على الرمال وخلع حذاءه وجوربيه وشمر بنطاله وتقدم بضع خطوات في الماء. بحر لا نهاية له ولا قرار، مليء بالأسرار، كنفسه، والقضية التي يعمل عليها. تتعانق في الأفق زرقته القاتمة مع زرقة السماء الخافتة بينما تعلن الشمس التي بدأت ترتفع في السماء عن يوم جديد مليء بالتحديات.

لم يسأل نفسه حتى الآن عن شعوره تجاه ما حدث. أهو خائف من المواجهة، أم مشفق من أن تغمره حكاية الماضي من جديد.. وكأنه توقف عن التفكير فيه يومًا! مشاعر متضاربة ومتداخلة تمامًا مثل الأمواج المشاغبة حول قدميه. هل ارتاح بعد أن أصبح من عداد الأموات؟ هل سيخفت غضبه أخيرًا؟ أم سيتأجج لأن مهمته لا يجب أن تنتهي إلا بالقبض على القاتل. شعر وكأنه يلعب في هذا التحقيق -ولأول مرة- دورين: القاضي والجلاد. ترى أيهما سيتغلب على الآخر؟ ولأي دور ستنتصر نفسه؟ للدور الذي تفرضه عليه الطبيعة البدائية الشرسة بداخله، أم الدور الذي تفرضه عليه مهنته؟

أخذ نفسًا عميقًا وملأ رئتيه بهواء البحر الطازج، ثم أدار ظهره ويمم وجهه شطر ساحة المهرجان التي بدت له منشآتها مرتفعة وشامخة على مرمى البصر. من يصدق أن ذلك المكان البهي البراق يعج بكل هذه الصراعات والمطامع. كل الأطراف متشابكة مع بعضها البعض. وفي كل استجواب وخلف كل عبارة يكمن الشر والكره

وتتوارى الأسرار...

ترى ما الذي ينتظره اليوم؟ هل ستتكشف الأسرار؟ أم أن مزيدًا من البغض والعداوة بانتظاره!

رن هاتفه، ودون أن ينظر إلى المتصل عَرَف أنها هي.. رضوى. كعادتها حينما يكون بعيدًا، تتصل به مع بزوغ أول أشعة للشمس كي تتمنى له يومًا مباركًا.

ماذا كان سيفعل، وأين كان سيكون اليوم، لولا رضوى!

*

جلس نزار على مقعده في غرفة التحقيق وأخرج دفتره ليشطب المهام التي تمت ويحدد خطوته القادمة:

1- مشاهدة تسجيلات الكاميرات القريبة من غرفة المراقبة.

~~2- البحث عن دوافع الشجار مع شاكر لدى الموجودين بالمهرجان.~~

~~3- استجواب منظمي المهرجان القريبة مواقعهم من مسرح الجريمة.~~

4- تفريغ كاميرات المراقبة المحيطة بالمكان الذي وُجِدَ به سلاح الجريمة.

5- استجواب العامل الذي وجد السلاح.

~~6- استدعاء سفيان يعسوب للتحقيق.~~

~~7- استدعاء سهيلة الرفاعي للتحقيق.~~

8- استدعاء بوسي السماك للتحقيق.

9- ~~استدعاء ولاء ياسين للتحقيق~~ (اختفاؤها وقت الجريمة مريب.. التحقيق معها ثانية بهذا الخصوص– هل استدرجها القاتل؟)

10- ~~استدعاء فؤاد خيري للتحقيق.~~

11- التحقق من مكالمة سهيلة مع مدير القناة.

12- استجواب مروان عناني.

13- استجواب ميرال الطوخي.

14- استجواب كريم شاكر.

15- التحقق من الملف الأمني لكل من فاروق وجو.

أغلق نزار الدفتر عازمًا على استدعاء بوسي السماك للاستجواب أولًا ثم كريم شاكر وبعده مروان عناني تليه ميرال الطوخي، غير أن خطته انقلبت رأسًا على عقب حينما دخل عليه بلال بوجه شاحب يحمل أوراقًا بين يديه. جلس لاهثًا ووضع الأوراق أمامه بلا كلمة واحدة.. قرأها نزار سريعًا ثم رفع إلى بلال عينين تنبعث منهما نظرة الخطر.

*

جلس جو على المقعد أمام طاولة مكتب نزار، بينما جلس بلال على المقعد الذي يواجهه. سأله نزار:

- اسمك وسنك؟

- هل أنا في استجواب؟ ما علاقتي بالتحقيق أصلًا؟

- اسمك وسنك؟

كررها نزار في صرامة فأجاب جو بصوت تشوبه الحيرة:

- يوسف نبيل – 35 سنة.

- أين كنت تعمل سنة 2004؟

امتقع وجه جو..

***

(17)

منذ 16 سنة

إبريل 2004

أنهى يوسف عمله في «بوفيه» شركة الفرس الأسود للمقاولات بعد يوم طويل استقبل فيه مدير الشركة والشريك الأكبر فيها العديد من الضيوف، ولكل ضيف مزاجه الذي يجيد يوسف ضبطه في القهوة أو الشاي. لم يكن يضيره عمله في إعداد المشروبات جنبًا إلى جنب مع دراسته في كلية الآداب قسم الإعلام، فهو يحتاج للمال لاستكمال دراسته وتحقيق حلمه بالالتحاق ببلاط صاحبة الجلالة دون أن يثقل كاهل أمه المتشحة بالسواد والقابعة في قريتهما المتواضعة بسوهاج تنتظر منه أن يزف لها بشرى تخرجه المرتقب بعد عدة أشهر ليعوضها عن سنوات عمرها العجاف.

رنا صوب مكتب «جانيت» المتدربة الجديدة ممنيًا نفسه بنظرة من عينيها الكحيلتين ولكنه لم يجد الفتاة في مكانها المعتاد خلف طاولة المكتب الصغير.. أين ذهبت؟ نظر إلى ساعة الحائط فوجدها قبل التاسعة بكثير، أي أن موعد رحيلها لم يحن بعد، ثم إنها لن ترحل دون أن تخبره كما اعتادا في الأيام الأخيرة بعد أن تشابكت علاقتهما واعدة بما هو أجمل..

سمع أصواتًا خافتة تأتي من غرفة مكتب المدير.. اقترب من بابها الموارب فسمع صوت مقاومة، صوتًا يعرف جرسه جيدًا.. ويؤثره على كل ما يحب..

سبق جسده عقله فاقتحم الغرفة ليجد المهندس شاكر يراود فتاته عن نفسها وهي تتلوى بين ذراعيه رافضة وشعرها الأسود يتناثر يمينًا ويسارًا مع حركاتها اليائسة. لم يدر يوسف بنفسه إلا وهو يشد فتاته من يدي صاحب الشركة، ويسدد له لكمة قوية جعلته يترنح للحظة كافية لتولّي هي هاربة. تمالك الرجل نفسه سريعًا ولطم يوسف لطمة هائلة أوقعته أرضًا ثم انهالت عليه الضربات من رجلي الأمن اللذين أتيا على إثر صرخة رب عملهما..

*

أفاق يوسف من إغماءته ليجد نفسه على الأرض ويداه مكبلتان وراء ظهره بأصفاد حديدية.. وقف أمامه صاحب الشركة منتفخ الأوداج من الغضب والكبر معًا، وعلى يمينه وشماله رجلا الأمن تطل الشماتة من أعينهما. وفي ركن بعيد.. وقفت فتاته تغطي وجهها الدموع، مستندة إلى كتف رجل عجوز تشي ملامح وجهه بالعجز وقلة الحيلة، مما ألقى روعًا مبهمًا في قلبه..

أدار يوسف عينيه في الغرفة لتصطدم بمكتب خشبي تعلوه علامة نحاسية مكتوب عليها «المقدم عبد الله الفولي».

لاحظ الضابط أنه فتح عينيه فسأله بغلظة:

- السيد شاكر رب عملك يتهمك بسرقة مائة ألف جنيه من خزانة الشركة ومحاولة الهرب بها، ثم الاعتداء عليه حينما أوقفك. ما قولك؟

بحث يوسف عن صوته فلم يجده، ولم يصطبر عليه الضابط إذ صرخ فيه:

- هاا ما قولك في الاتهام الموجه إليك؟

- كذب.. لم يحدث.. لقد كان يحاول الاعتداء على.. على..

نظر إلى فتاته.. الجزع الذي ارتسم على وجهها.. أخرسه.

عقّب الضابط على عبارته المبتورة قائلًا:

- لدينا هنا شهود أدلوا بشهادتهم على واقعة السرقة.

ثم أشار نحو رجلي الأمن ونطق اسميهما سريعًا..

لم يكن ذلك بغريب عن يوسف.. فهو يعرف شاكر جيدًا عبر سنتين من العمل اليومي بجواره والكلمات التي كانت تتناهى لسمعه وهو داخل أو خارج من غرفة المكتب.. يعلم الكثير عن صفقاته المشبوهة وسلوكه الإجرامي الذي أنشأ شركة المقاولات خصيصًا لكي تكون ساترًا عليه ووسيلة لغسيل أمواله.. ولكنه ظن أنه بمأمن ولن تطاله يد البطش، إذ يمشي بجوار الحائط، بل بداخله. ولكن ها قد أتى عليه الدور ليشرب من الكأس الذي طالما راقب الآخرين يجرعون مرارته في صمت.

أفاق يوسف من شروده على اسم فتاته والضابط يكمل كلامه بنبرة رتيبة:

- كما شهدت زميلتك جانيت عماد صابر برؤيتها لك وأنت تأخذ الأموال من الخزانة...

قفزت عيناه إلى عينيها غير مصدق، فأشاحت جانيت بوجهها الباكي وازدرد أبوها ريقه وهو يختلس نظرة خوف نحو شاكر. تصاعد الدم إلى رأس يوسف، حاول القيام من مرقده فدفعه أحد رجلي الأمن ليقع على وجهه غير قادر حتى على رفع رأسه ويداه مكبلتان من الخلف.

اقترب منه شاكر ومال عليه حتى خنقته رائحة السيجار الثقيلة المنبعثة منه وسدّت وحمة جبهته المخيفة الأفق أمامه. همس له بصوت أجش يملؤه الحقد:

- لكي تسوّل لك نفسك أن تمد يدك على أسيادك...

*

تم الحكم على يوسف بثلاث سنوات قضاها في سجن طرة، لم ير فيها أمه سوى مرة واحدة قبل أن تنسلت من الحياة في هدوء حزين.

ثلاث سنوات.. خرج بعدها يوسف آخر.. يبحث عن الانتقام!

***

(18)

شقاق

أنهى جو حكايته ورفع عينين مغرورقتين بالدموع يواجه بهما عيني نزار وبلال الغاضبين، هتف بلال:

- كيف لم تخبرنا بذلك من قبل؟

- وكيف سوّلت لك نفسك حضور جلسات التحقيق وأنت تعلم أنك مشتبه به؟

- أنا لست مشتبهًا به.. أنا لم أفعل شيئًا.

- هل تنكر عداوتك لشاكر؟

- لا أنكر عداوته أبدًا، كيف أنكرها وقد أفسد عليَّ حياتي.

أجاب جو بمرارة..

- أين كنت حينما وقعت الجريمة؟

- أصور الفنانات على السجادة الحمراء.

خبط نزار طاولة المكتب بقبضته في غضب فارتفع الورق من عليها وهبط.

- حجة غياب مطاطة لا أقبل بها.. حققنا مع زملائك الذين أفادوا أنك كنت تتحرك كثيرًا ولم تثبت في مكان واحد، ثم إنك صحفي ولست مصورًا. هل تملك حتى كاميرا تصوير؟

- لا أملك كاميرا تصوير، أصور بهاتفي لذلك لم أكن مجبرًا على البقاء بموقع ثابت لحامل الكاميرا، وهو ما أفضله، كي أحظى بحرية الحركة والتصوير من زوايا مختلفة لاقتناص أفضل اللقطات. أنا صحفي، لكنني أهوى لقطات السجادة الحمراء تحديدًا، أبحث عن الصور المثيرة للجدل التي قد ترفع أسهمي لدى صحيفتي الإلكترونية، خاصة وأن فاروق، مصور الجريدة زميلي، ينأى عن تلك اللقطات المشاغبة.

- أنت الآن مشتبه به أساسي يا جو.

أعلن نزار بصرامة فهتف جو معارضًا:

- ليس لديك أي دليل يدينني، كل الأدلة تشير أن الجاني امرأة.

- أنت المحقق الآن؟

سأله نزار متهكمًا، ثم أردف:

- ليست الأدلة فقط هي ما يهم، نحن نبحث أيضًا عن الدافع، ولديك واحد قوي بالفعل.

- لست الوحيد، هناك خمسة أفراد على الأقل لديهم دوافع قوية لقتل شاكر، وربما لديهم الفرصة أيضًا.

قالها جو مدافعًا ثم أردف بنبرة يائسة:

- أم اخترتموني لأنني أضعفهم؟ كبش فداء سهل اتهامه دون صحافة تلاحقكم أو أوامر عُليا تكبلكم.

- هل جننت؟!

هتف نزار وهو يقفز من مكانه في غضب عازمًا على اتخاذ إجراء مشدد مع الشاب يلقنه الأدب، هم بنطق قرار القبض عليه بتهمة القتل لولا.. استوقفته نظرة عيني جو! نظرة رأى فيها مظلوم يائس من تحقيق العدالة.. نظرة من يوقن أنه سيكون كبش فداء ولا يستطيع أن يغير من الأمر شيئًا.. نظرة ذكرت نزار بواجبه ومن يكون.. كانت نظرة صامتة عزلاء، لكن صاخبة بما يكفي كفرقعة إصبعي منوم مغناطيسي أيقظته من سبات عميق.

عاد نزار ليجلس في مكانه وسط دهشة جو وبلال من هدوئه المفاجئ، وأخذ يفكر.. جو ليس أكثر المشتبه بهم احتمالية لارتكاب الجريمة. وإنما الإغراء القائم هو أنه فعلًا قاتل مناسب لن يبكيه أحد ولن تتورع النيابة عن اتهامه دون القلق من الرأي العام في مثل هذه القضية الشائكة. فهل سيقبل نزار بذلك؟ وهو الذي ذاق مرارة الوقوع فريسة في شباك الغدر غير قادر على الفكاك. تأمّل وجه جو الأسمر وشعره الخشن ونظراته الزائغة. لن يستطيع تقديمه ككبش فداء ولو رغب. يحتاج إلى شخص يمكنه على الأقل بناء ضغينة تجاهه. أما جو، فلم يشعر نحوه سوى بالتعاطف. تكلّم نزار أخيرًا:

- حسنًا يا جو.. سنخلي سبيلك الآن، ولكن لا تغادر المكان إلا بإذن شخصي مني.

رفع جو عينيه في دهشة امتزجت بامتنان جريح، غير مصدق أنه سيخلي سبيله حقًّا بعد أن حس بالألياف الخشنة لحبل المشنقة تكاد

تخدش رقبته.

خرج الشاب الأسمر لا يلوي على شيء فوجد فاروق ومصطفى مارلي يذرعان مساحة الانتظار أمام غرفة التحقيق في قلق عارم عليه، وبرغم علاقته المحدودة بهما إلا أن جو وجد نفسه يرتمي عليهما في إنهاك غير مصدق بالنجاة.

*

كسر بلال الصمت الذي خيم على غرفة التحقيق قائلًا:

- لا أصدق أنك أخليت سبيله بهذه البساطة.

- لم يفعلها.

- كيف تأكدت وتقرير الطب الشرعي لم يظهر؟

- متأكد.. ولا أحتاج لمناقشة أسبابي معك.

قالها نزار بخشونة أجفلت بلال، فقال بجفاء بدوره:

- نحن زملاء في هذا التحقيق ومن حقي أن..

- ليس لك أي حق.. ولسنا زميلين، أنا المسئول عن التحقيق وسمحت لك بالانضمام إليه إشفاقًا مني و رغبة في إعطائك فرصة لنيل ترقية استثنائية بعد أن استجديتني.

- استجديتك!

خرج بلال من الغرفة دون كلمة أخرى، بينما جلس نزار يلوم نفسه كالعادة على تسرعه في إهانة الشاب الذي اجتهد في التحقيق معه.

كان قد تمكّن سابقًا من التغلب على نوبات غضبه، وحقق تباعدًا ملموسًا بينها، فما الذي حدث؟ عليه أن يوقف هذا التدهور ويتصدى له قبل أن يفقد أعصابه في غضبة تهدد بانكشاف الماضي فيخسر كل شيء.

رن هاتفه ليتلقى مكالمة حادة من إحدى قياداته بالقاهرة، ضيوف المهرجان يضجّون بالشكوى من إقامتهم الجبرية ويطالبون بالعودة إلى القاهرة لمباشرة مصالحهم المتوقفة. وافق رئيسه بصعوبة على إعطائه فرصة 48 ساعة قبل أن يسحب منه التحقيق ويسنده لفريق آخر مذكرًا إيّاه أنه اختاره لهذه القضية دونًا عن زملائه بالإدارة لكفاءته وشهرته في الداخلية بسرعة تحديد الجناة وضبطهم وحرفيته في إغلاق القضايا الشائكة ببراعة. عامل ضغط جديد يضاف إلى القائمة بعد خسارته لدعم بلال الذي بَخِل أن ينعم عليه بلقب الزميل. من يظن نفسه؟ تقوده غطرسته إلى بقاع مظلمة ونتنة هي من أسوأ الأماكن في نفسه.

ذكّر نفسه بصوت مسموع: لا تنسَ مَن أنت يا نزار وما هي حقيقتك.

*

جلس جو وفاروق ومارلي حول مائدة صغيرة في كافيتريا الجامعة يشربون القهوة. حكى لهم جو عن عمله في شركة «الفرس الأسود» وما فعله به شاكر فعقب فاروق:

- لم أكن أعلم أن لك علاقة سابقة بشاكر.. لماذا لم تخبرنا؟

- أحاول نسيان تلك الفترة من حياتي وبدء سيرة جديدة خالية مما سبق.

- يبدو من كلامك أنه كان رجلًا شرسًا.

- شرس وشرير ولا عزيز له، يخشاه أصدقاؤه قبل أعدائه.

- ترى ما الذي قاساه في طفولته أدى به إلى ذلك السلوك؟

تساءل فاروق في شرود فأشعلت عبارته غضب جو:

- تتعاطف معه بعد أن عرفت أنه دمر حياتي!

ارتبك فاروق وهو يقول مدافعًا:

- ليس تعاطفًا، بل محاولة للفهم. شخص بهذه القسوة لا بد أنه تجرع أضعافها صغيرًا.

لمعت عينا جو واربدَّ وجهه وقام يرفس مقعده إلى الوراء في غضب فشده مارلي من كمه قائلًا:

- وحّدوا الله، احترم مشاعر جو يا أخي واحتفظ بتأملاتك النفسية لنفسك.

نقّل جو نظراته العابسة بينهما فنكّس فاروق رأسه وأصر مارلي:

- هيا اجلس..

ثم أردف بصوت منخفض:

- لديّ سر.

كلمته الأخيرة جعلت جو يجلس ثانية وفاروق يرفع رأسه في فضول، همس مارلي:

- لدي وسيلة قد نعرف من خلالها من دلف إلى غرفة شاكر وقت وقوع الجريمة.

***

(19)

صور مارلي

القنبلة التي فجرها مصطفى مارلي جعلت زميليه يفغران فميهما بينما أخرج هو كفه من جيبه وفتحها ببطء وكساحر يستعد لإبهار أعين الجمهور. استقرت في راحة يده رقاقة سوداء صغيرة، وحينما بدا عدم الفهم جليًّا على وجهي زميليه أوضح قائلًا:

- ذاكرة الكاميرا الإلكترونية، استبدلتها بواحدة أخرى قبل أن يصادروا مني كاميرتي.

- وعليها الصور التي التقطتها من..

أكمل جو عبارة زميله قائلًا في إثارة:

- من أعلى.. لقد كان موقعك مثاليًّا في مواجهة الرواق القريب من الغرفة.. وتلتقط الصور من أعلى!

- لماذا لم تخبرنا من قبل؟

أجاب مصطفى هامسًا في غضب:

- بسبب الجلبة التي تحدثونها الآن. ستلفتون إلينا الأنظار وسيشم ذلك «البولدوج» نزار الخبر ويصادرها هي أيضًا.

هدأ جو وفاروق سريعًا وبدأوا بالتهامس:

- نريد مشاهدة الصور.

- ليس هنا بالتأكيد.

- هيا إلى إحدى الغرف.

- وماذا عن الحلاوة؟

سألهما مصطفى بخبث وهو يشير إلى كرشه فابتسم جو قائلًا:

- حسنًا سنشتري لك المؤن من الكافيتريا أولًا.

سأله فاروق في فضول:

- هل شاهدت الصور؟ هل تعرف من القاتل؟

- ليس بعد.. أردت أن نشاهدها سويًّا وكنت أنتظر اللحظة المناسبة بعيدًا عن أعين المحققين.

- ألا تخشَ أن تتم مقاضاتك بتهمة إخفاء معلومات وإعاقة سير العدالة؟

- وكيف سيعرفون؟ ستكتمان السر بالتأكيد.

قالها مارلي وهو يرفع إصبعه في وجه فاروق محذرًا..

- لا يمكنني المجازفة بكشف تلك الصور. قد تفتح عليّ أبواب جهنم.

- أهي ساخنة لهذه الدرجة؟

سأل جو الذي عاد من الكافيتريا محملًا بما يرضي ذائقة صديقه.. فأجابه مصطفى:

- فيها بعض الصور الساخنة، ولكن فيها الكثير من الصور المهينة، يمكنني تحقيق ثروة من ورائها ما إن ينتهي التحقيق.

- ومن الذي يدفع في مثل تلك الصور؟

- مبدأيًا، السيدة ف. ل. التي تريد فضح وإذلال الممثلة المشهورة ك. ط. التي خطفت منها زوجها وتزوجته مؤخرًا. وأيضًا نجمة مصر الأولى ع. ز. التي تريد إزاحة غريمتها نجمة الجماهير ي. م. عن طريقها. هاتان الصورتان تعاقدت عليهما بالفعل وقبضت المقدم. باقي الصور سأفتح عليها مزادًا على موقعي.

- موقعك؟

- ليس الرسمي بالطبع. بل آخر خفي على الجانب المظلم من الإنترنت.

وصل ثلاثتهم إلى منطقة الغرف الخلفية بساحة المهرجان، توجه جو إلى إحدى الغرف وطرق بابها وانتظر لحظة ثم مد رأسه إلى الداخل فوجدها فارغة. دخل ثلاثتهم، ووضع مارلي رقاقة الذاكرة في جهاز الحاسب اللوحي الصغير الخاص به وبدأوا بمشاهدة الصور.

*

أظهرت الصور لقطات مختلفة للفنانات القادمات من الرواق الطويل الذي يفضي في طرفه القريب من موقع مصطفى إلى السجادة الحمراء. بدا من الصور أن الرواق كان بمثابة الفرصة

الأخيرة لهن لضبط ملابسهن ووضع اللمسة الأخيرة على مظهرهن. في خلفية أغلب الصور، ظهر باب الغرفة التي قتل فيها شاكر في زاويتها البعيدة مغلقًا.

سأل فاروق مصطفى:

- لماذا نحتاج إلى الصور إذا كنت شاهدًا على من دخل وخرج؟

- اللقطات التي أبحث عنها نادرة الحدوث أقتنصها قنصًا، لذلك فإن عيني وجوارحي تبقى مسلطة على القادمات من الممر لا شيء آخر، أما الصور فتوثق كل شيء.

أجاب مصطفى وهو يشير للصورة الأولى التي ظهرت فيها فنانة بثوب فضي قصير تضغط بإصبعها على جفنها الأيسر فيما يبدو لتثبيت أهدابها الصناعية ولكنها ظهرت وكأنها تفقأ عينها بحركة خرقاء. ضغط مصطفى على زر الحاسب اللوحي فظهرت الصورة الثانية والتي أُخذت لفنانة شابة طويلة ونحيفة ممسكة بثوبها من الأعلى بكلتا يديها وكأنها تشده كي لا يقع. أما الصورة الثالثة فكانت لممثلة تونسية صاعدة ذات قوام ملفوف وثوب مفتوح الصدر، انحنت تعقد رباط حذائها الرياضي الأبيض المرصع باللآلئ وقد وضعت حقيبتها الصغيرة بين فكيها. كانت زاوية التصوير كاشفة للكثير فالتقط لها مصطفى عدة لقطات متعاقبة، يراها من ينظر إليها متتالية كشريط سينمائي متحرك للفتاة وهي تنحني لتربط الحذاء ثم تعود فترفع قامتها. في صورتها الأخيرة، ظهرت على يمينها فتاة ترتدي الزي الأسود لمنظمي الحفل وكمامة طبية على وجهها وتشير

للفنانة بيدها إلى خارج الكادر.

قال فاروق:

- ها هي ولاء.

هتف جو في انفعال:

- انظروا هنا..

في الزاوية الخلفية لإحدى الصور، ظهر رجل ضخم يرتدي قبعة سوداء ومعطف أصفر فاقع، يفتح باب غرفة شاكر ويدلف إليها.

دق قلب فاروق سريعًا وهو يعيد تفحص الصور ثانية قبل أن يهتف:

- سفيان يعسوب.

أجابه جو في انفعال:

- أو بالأحرى بديله.. كريم شاكر..

- هذه الصور كنز.

- كنز لنا... ونقمة على القاتل.

قالها جو ثم شرد متفكرًا قبل أن يستدرك في تردد:

- ولكننا لا نعلم توقيت تلك الصور بدقة. ربما كانت قبل بدء حفل الختام بفترة طويلة.

أشار فاروق لصور الممثلة التي كانت تربط حذاءها قائلًا:

- أليست هذه مريم التي سبقت أنجي في الظهور على السجادة الحمراء؟

ثم سحب صورة الفنانة النحيفة وهو يقول:

- وهذه يارا التي سبقتها... نفس ترتيب ظهورهم في عرض السجادة الحمراء قبل الحفل. العرض الذي..

أكمل جو عبارته:

- الذي ظهرت فيه أنجي بثوبها المخضب بدماء شاكر.

أومأ فاروق برأسه قائلًا:

- يجب أن نبلغ بـ..

قاطعه مارلي قائلًا بنبرة مترددة:

- هناك شيء غامض في الصور.

نظر فاروق وجو إلى الشاشة بينما مصطفى ينقل العرض بين صورتين فلم يلفت نظرهما شيء. باب الغرفة المغلق، إضاءة الممر الخافتة والفتاة المنظمة تقف وظهرها لهم، فقط تغير موضعها بضعة سنتيمترات بين الصورتين.

ولكن بعد لحظة أدرك فاروق ما لاحظه مارلي:

- ليست نفس الفتاة!

هتف فاروق وهو يشير إلى حذاء الفتاة المنظمة الذي اختلف بين الصورتين، ففي الأولى ارتدت حذاءً رياضيًّا أسود، بينما ارتدت في

الثانية حذاءً كلاسيكيًا أسود ذا مقدمة مدببة. اقترح جو وهو يحك ذقنه:

- ربما بدّلت بالحذاء الرسمي آخر أكثر راحة.

- بل العكس ما حدث، فالحذاء المدبب ذو الكعب ظهر بعد الحذاء الرياضي وليس قبله... ليست نفس الفتاة يا جو.

قالها فاروق بحسم ثم أشار لمواضع أخرى من الصورتين وهو يقول:

- انظر إلى خصرها، هنا أرفع، والأرداف أعرض والأكتاف أكنز. ثم ها هو الحذاء الرياضي قد عاد ثانية في الصور اللاحقة.

- تعني أن فتاة مجهولة تبادلت الأماكن مع ولاء؟ ولكن لماذا لم تقل شيئًا عن الأمر؟

- وهل هذا سؤال؟ بالتأكيد تلك الفتاة متورطة في قتل شاكر، وولاء تتستر عليها.

- يا للهول! صدقت حينما وصفت تلك الصور بالكنز. ها قد حصلنا على أدلة تشير لاثنين من المشتبه بهم من خلالها..

انتفخت أوداج مصطفى وحرك رأسه لتتراقص ضفائره الخشنة حول رأسه ثم استمر في عرض الصور، هتف فاروق:

- هناك صور لا تظهر فيها ولاء ولا بديلتها..

- لقد قالت ولاء في التحقيق أنها احتاجت للذهاب إلى دورة المياه،

ولذلك لم تشاهد أنجي في دخولها الثاني للغرفة.

- ولكننا اكتشفنا الآن أن شهادتها بلا مصداقية. ربما كانت تكذب بخصوص هذا الأمر أيضًا.

- يجب أن نبلغ بلال.

- بلال من؟ هذه الصور لا يمكن أن تظهر للشرطة. ستتسببون في إيذائي.

اعترض مصطفى في حنق فوقعت كلماته على رأسي جو وفاروق كدلو ماء مثلج. إنه على حق. لا يمكن أن تقع الصور في يد الشرطة وإلا سيتعرض مصطفى للمساءلة القانونية. بيد أنها تشير بوضوح لأدلة هامة قد تساعد على الإيقاع بالجاني، ومن ثم تبرئة ساحة المشتبه بهم الآخرين، ومن ضمنهم جو.

اقترح جو أن يتواصل مع بلال وديًّا ويخبره عن الصور دون ذكر مصدرها. واقترح فاروق أن يقوموا بإرسال الصور الهامة من بريد إليكتروني مختلق.

- لديهم خبراء تقنيون في إدارة البحث الجنائي قادرون على تتبع البريد الإلكتروني والوصول إلينا. انسوا الأمر.. هذه الصور ملك لي ولن تخرج من هنا.

قالها مصطفى في غضب وأغلق شاشة حاسوبه اللوحي وأخذه وخرج. أُسقط في يدي جو وفاروق، وخرجا يتجولان معًا يبحثان السبل المختلفة لإقناع مصطفى بالتعاون. وجدا بلال جالسًا يتأمل

مياه القناة المجاورة في شرود. اقترب منه جو متنحنحًا فابتسم له بلال ابتسامة شاحبة ثم عاد لشروده. سأله جو:

- هل أنتما في استراحة من الاستجوابات؟

- لم أعد على ذمة التحقيق.

- ماذا؟ كيف؟

ودَّ بلال لو أشركهما فيما حدث ولكنه آثر الصمت، إلا أن جو لم يصمت، جلس بجواره وقال مازحًا:

- هناك قاتل طليق أليس كذلك؟ أعلم ذلك لأنني لست هو..

لم يجبه بلال فأردف:

- ما السبب؟ هل حدث خطأ في الإجراءات؟

- المقدم نزار لا يحبذ التعاون معي.. ربما يستدعي فريقًا مختصًا من القاهرة يعاونه.

ابتسم فاروق وجلس هو الآخر قائلًا:

- نزار سريع الغضب لكن قلبه أبيض. صدقني ربما هو الآن نادم على ما حدث بينكما أيًّا كان.

التفت إليه بلال يتأمله في دهشة ثم هتف في إدراك:

- أنت تعرفه.. لقد تذكرت.. بدت عليكما المعرفة حينما التقيتما ليلة الحادث... قلت له البقاء لله، أليس كذلك؟

- كنا جيران قبل أن يتزوج هو وينتقل من البيت. والدته توفاها الله منذ أسبوعين تقريبًا لذلك كنت أعزيه، كانت صديقة عزيزة لأمي. وأخوه..

تنهد فاروق قبل أن يردف:

- كان صديقًا لي.

لم ينتبه بلال لنبرة فاروق التي تغيرت وسأله:

- تعرف نزار جيدًا إذن.. لماذا هو جافٌ وغاضب على الدوام؟ وإن لم يكن غاضبًا فهو ساخر، التواصل معه صعب.

- لقد مر بالكثير.. لا يحق لي أن أسرد حكايته، ولكنني أزعم أنه لا يزال يحتاج لك. لو ذهبت إليه لوجدته في انتظارك.

ابتسم له بلال ابتسامة امتنان باهتة وجر قدميه مبتعدًا. قال جو:

- يجب أن نخبره بأمر الصور. هذا سيبرئ ساحتي وسيمنح بلال نقطة تفوق على نزار.

- معك حق بخصوص براءتك، ولكن ماذا سنفعل مع مصطفى، ثم لماذا أنت متعاطف فجأة مع بلال؟

- أنا أتعاطف مع المستضعفين دومًا. هيا بنا، لدي فكرة لا بأس بها.

***

(20)

استجواب كريم شاكر

راجع نزار قائمة المهام في دفتره بانتظار حضور كريم شاكر الذي وجد اسمه على قائمة الحضور فطلب من عبدالمعبود أمين الشرطة استدعاءه. سمع طرقات على الباب ثم دخل شاب ضخم الجثة له وجه طفولي مكتنز ووجنتان مرقطتان بحفر حب الشباب وشعر برتقالي مهوش، أشار له نزار بالجلوس فجلس الشاب على حافة المقعد في ارتباك ظاهر.

- اسمك وسنك؟

- كريم شاكر - 34 سنة.

قالها الشاب بنبرة خافتة مترددة.. وكأنه يعتذر عن وجوده.. لا في الغرفة بحسب وإنما في الدنيا بأسرها. تفرّس نزار في وجهه وشعر بالدهشة، كيف لهذا الشاب المتردد أن يكون ابن شاكر الغندور صاحب الشخصية الكاسحة والصولات والجولات. امتدت يد الشاب لتمسيد شعر رأسه المهوش ثم نتف شعرة قبل أن يعيد يده إلى جانبه في سرعة. قرر نزار أن المباغتة ستكون أفضل استراتيجية مع أمثاله:

- سرقت ملابس سفيان يعسوب وانتحلت شخصيته لقتل أبيك، أليس كذلك؟

بُهت الشاب وارتدّ في مقعده إلى الوراء حتى كاد يسقط من عليه،

أحس نزار أنه أحكم قبضته على القاتل فاستمر في هجومه:

- قتلته لأنه استهزأ بموهبتك على الهواء مباشرة. ولكن أهذا جزاء سفيان الذي احتضنك وتبنّاك، أن يلتف حبل المشنقة حول رقبته بدلًا عنك؟

تسارعت أنفاس الشاب ونتف شعرة أخرى وهو يسأل في قلق:

- هل.. هل سفيان متهم بقتل أبي؟

هدأ نزار من لهجته قليلًا:

- إذا كان سفيان بريء فلن يصيبه مكروه، نحتاج منك أن تحكي لنا ما حدث.

ابتلع الشاب ريقه ومسح وجهه بكفيه المكتنزتين ثم سأل:

- كيف عرفت أنه أنا؟

ابتسم نزار ابتسامته الجانبية، وقع الشاب في الفخ وسيقدم اعترافًا على طبق من الذهب. سأله بنبرة يشوبها الازدراء:

- لنا أساليبنا.. والآن.. احكِ لنا كيف قتلت أباك؟

- ولكنني لم أقتل أبي.

شعر نزار أن الشاب يتلاعب به فهتف غاضبًا:

- ماذا؟

انكمش الشاب على نفسه وظهرت حبات من العرق البارد على

جبهته، تحركت أنامله تنتف شعرة وهو يقول:

- بعد خلافي الأخير مع أبي أصدر أوامره لحارسه الشخصي بمنعي من لقائه، لذلك أتيت لحضور المهرجان، خصيصًا كي أتحين فرصة.

لا أعلم لماذا يعاملني كالغريب، بل أسوأ! الوسط الفني كله أبناء عاملين، ألا أستحق مثلهم فرصة يسهلها لي أبي؟ لم أطلب منه أن يفرضني على الوسط بموهبة منعدمة كما يفعل الكثيرون، طلبت فقط فرصة.. فرصة أثبت له فيها قدراتي.. ولكنه رفض، كان يكرهني ويستمتع بتحطيمي.

حاول نزار إكساب نبرته تعاطفًا وهو يقول:

- لا بد أن ذلك شكَّلَ ضغطًا كبيرًا عليك.

أومأ الشاب برأسه في لهفة متشبثًا:

- نعم نعم.. ولكنني هذه المرة لم أرد لقاءه من أجل فرصة، فسفيان احتضنني ووعدني بالكثير وهو فنان محبوب، لذلك لم أعد قلقًا على مستقبلي. إنما أردت التواصل معه كأب. أردت إذابة الجليد فيما بيننا. أن يفرح بي كابن له.

قاطعه نزار بنفاد صبر:

- ثم؟ ادخل في تفاصيل ليلة الجريمة.

- حسنًا.. كنت أرتب أغراضي في الحقيبة استعدادًا للعودة إلى القاهرة بعد حضور حفل الختام، حينما فوجئت بسفيان يقتحم عليّ غرفة الفندق مغاضبًا ويخبرني أنه لن يحضر حفل الختام.

ذهبت معه إلى غرفته محاولًا تهدئته، ولكنه أصر على موقفه وتركني جالسًا ودخل إلى الحمام فنظرت إلى ملابسه المفروشة على السرير استعدادًا لوضعها في الحقيبة وجاءت لي الفكرة. انتهزت الفرصة واستعرت ملابسه فلنا قياس متقارب كما ترى، عدت إلى غرفتي وارتديت ملابسه وأخفيت وجهي بالقبعة وذهبت إلى ساحة المهرجان من الممرات الخلفية. حينما لاح لي باب الغرفة التي يتواجد بها أبي، شعرت بقدمي تتثاقلان وأنفاسي تتسارع، فجلست حتى أتمالك نفسي.

توقف ليأخذ نفسًا عميقًا وينتف شعرة جديدة قبل أن يردف:

- أخذتُ أتخيل كيف سيكون اللقاء فأصابني الرهاب وأدركت أنني غير قادر على المضي قدمًا ومواجهته. قررت التجول قليلًا لعلي أهدأ، لم أشعر بالوقت حتى سمعتهم يقولون أنهم وجدوا جثة ورجال أمن المهرجان يتوافدون على غرفة أبي. أصابني الذعر حينما وجدتهم يفرضون طوقًا أمنيًا فخلعت الملابس وتخلصت منها في أقرب حاوية قمامة.

- لماذا؟

- خُفت.. الجميع يعلم عن علاقتي المتوترة بأبي، إن وجدوني بملابس لا تخصني سيشكون بي على الفور. هذا كل شيء.

قالها وهو يومئ برأسه بشدة. ظهر عدم الاقتناع جليًا في عيني نزار:

- سيصلنا تقرير البصمات قريبًا، وسنعرف إن كنت دخلت غرفة

أبيك أم لا.

ابتلع الشاب ريقه ومد يده مجددًا إلى شعر رأسه، ثم أعادها إلى جانبه قائلًا بنبرة مرتعشة:

- لم أفعل.

- حسنا يمكنك الذهاب.. مؤقتًا.

قام الشاب عن المقعد بخفة لا تتناسب مع حجمه الضخم واتجه سريعًا نحو الباب فاستوقفه نزار بسؤال أخير:

- حينما تخلصت من الملابس، ماذا كنت ترتدي؟

ظهر التوتر على وجهه وحاول افتعال ابتسامة ليقول:

- كنت أرتدي ملابس قطنية خفيفة أسفل ملابس سفيان.

أومأ له نزار برأسه وما إن خرج حتى قال لنفسه بصوت مسموع:

- إنه يكذب. هناك العديد من الثغرات في قصته. صحيح أن شخصيته ضعيفة ومترددة، ولكن ربما حدثت بينه وبين أبيه مشاجرة أدت به إلى الخروج عن نفسه وارتكاب الجريمة، خاصة مع الاحتقان الذي يشعر به تجاه والده. المسألة ليست فرصة لدخول عالم الفن أو دعم الموهبة، المسألة أنه شعر وكأن والده ينكره ويشطبه من حياته..ترى ما الذي جعل شاكر يفعل ذلك بابنه؟ يبدو أن للماضي أيادي خفية تعبث بالحاضر وتفسده!

*

وجد فاروق بلال جالسًا وحده في الكافيتريا يبدو عليه الهم وقد تهدلت كتفاه، وقف للحظة متفكرًا، ثم اتخذ قراره واقترب منه وبادره قائلًا:

- لديّ معلومات قد تساعد على التحقيق. عرفتها عن طريق غير مباشر. كشف مصدري سيؤذيني ويؤذيه. أتقبل أن تعرفها دون السؤال عن المصدر؟

- حسب نوعية المعلومات.. أخبرني.

- لا يمكنني المغامرة، يجب أن تعدني أولًا، وأؤكد لك أن معرفة المصدر لن تفيدك في التحقيق، الأمر بسيط لكنه قد يسبب الإحراج لأطراف كثيرة.

تفكر بلال للحظة قبل أن يوافق على شرط فاروق. أخبره فاروق بالتفصيل عن الصور، وصف له صورة سفيان أو شبيهه وهو يدخل الغرفة، والصور التي أثبتت وجود بديلة لولاء. لمعت عينا بلال وهو يستمع لفاروق ويحاول بالتوازي ربط الخيوط ببعضها. في النهاية سأل فاروق:

- هل أستطيع رؤية تلك الصور؟ لن أسألك عن مصدرها، ولن أطلب حيازتها، فقط أريد رؤيتها قبل التحرك وفق ما أخبرتني من معلومات.

- أتفهم طلبك لكن الصور ليست معي، يمكنك أن تثق بي، هذا ما لديّ.

صمت بلال للحظة متفكرًا ثم قال:

- حسنًا، سأثق بك وأتحرك على مسئوليتي الخاصة، شكرًا لك.

- لا تشكرني.. بل اشكر جو.. هو الذي أصر أن نعلمك بما في الصور برغم رفض صاحبها.

نظر بلال إلى حيث أشار فاروق فوجد جو واقفًا على مقربة، أومأ له برأسه مبتسمًا ثم سأل فاروق في فضول:

- لماذا لم تخبر نزار؟ إنه أقرب لك مني.

- إنها رغبة جو.

ظهرت ابتسامة امتنان على شفتَيْ بلال ورفع يده ملوّحًا لجو قبل أن يتجه نحو غرفة التحقيق مزهوًّا بالانتصار ويحدوه الأمل.

***

(21)

45 دقيقة قبل الحفل

ليلة الحادث – الساعة 8:15 مساء

خمس وأربعون دقيقة على بدء حفل الختام.

سيخرج «شاكر الغندور» من الغرفة بعد ثلاثين دقيقة على الأكثر.

إما الآن أو أبدًا..

هكذا حدثت ولاء نفسها بإلحاح. لم تعد ترى سوى عقارب ساعتها المتواثبة، وباب غرفة المنتج الذي ما فتئ ينفتح وينغلق كل عدة دقائق وكأن الكون كله قد رغب في لقائه اليوم. امتدت يد أنثوية ذات أظافر حمراء قانية لتطرقه. رفعت ولاء عينيها إلى وجه صاحبة اليد. أنجي رستم. كيف تتمكن تلك اللعينة من الحفاظ على قوامها بهذا الشكل؟ ألا تأكل! دخلت أنجي الغرفة في خفة وأغلقت الباب من ورائها.

مرت عشر دقائق.. بدأ الشعور باليأس يحتل قلب ولاء. ستخذل صاحبتها ولا مناص. ظهرت سيدة ضئيلة ترتدي جلبابًا بنيًّا وطرحة بيضاء كبيرة. ترى ما الذي تفعله مثلها هنا؟ وما هذه النظارة السوداء التي ترتديها؟

اقتربت السيدة من باب الغرفة وفتحته على الفور دون طرق. سمعت ولاء صوت ضحكة أنثوية متغنجة تخللها سباب خشن.

شهقت السيدة الضئيلة شهقة خافتة وتراجعت خطوة للوراء وقد انفتح فمها عن آخره!

تفاجأت ولاء بردة فعل السيدة.. أهو الرعب ما انتابها؟ أم هي المفاجأة؟ أخفت النظارة تعبير عينيها فلم تعرف ولاء الإجابة ولكنها تساءلت في فضول عما رأته السيدة حينما فتحت الباب؟ أو ما توقعت أن تراه.. ولم تره..

نحّت ولاء تساؤلاتها جانبًا مع خروج الممثلة الشابة من الغرفة ضاحكة والسيدة تحثها على الإسراع للحاق بعرض السجادة الحمراء.

الممر هادئ.. حانت اللحظة. لا يمكن الانتظار أكثر.

تناهى إلى مسامعها صوتٌ خافتٌ أتى من خلف العمود. اعتادت هي تلك الأصوات التي تنبعث من أركان الممرات المظلمة بعيدًا عن العيون، وتعرف أن صاحبيها الآن في حال من النشوة لا يدركان معه ما يحدث حولهما، فليبقَ ما يحدث وراء العمود وراء العمود. ولتقم هي بدورها.

قامت ولاء بإعطاء الإشارة ثم ابتعدت بخطوات سريعة..

تاركة موقعها.. لبديلتها!

***

(22)

حكاية بوسي!

وقف بلال أمام باب غرفة التحقيق يراجع مع نفسه الدخلة التي جهزها ليفحم نزار فانفتح الباب فجأة ليجد نفسه وجهًا لوجه أمام نزار. ابتسم له نزار ورحب به وطلب منه الدخول لمناقشة القضية وكأن شيئًا لم يكن! تساءل بلال في نفسه إن كان يعاني نزار من انفصام بالشخصية ليتحول أسلوبه بين نقيضين بهذه السرعة التي ذكرته بشخصيتي «فرج»و«سي فرج» في أحد المسلسلات المصرية الحديثة.

أخرج نزار دفتره وأخبر بلال بنتائج تحقيقه مع كريم شاكر ثم بالخطوة الجديدة التي اعتزمها بخصوص شريط كاميرا المراقبة الذي تم محوه.. لم يتمكن بلال من الصبر أكثر فباغته قائلًا:

- لديّ معلومات جديدة.

- حقًّا؟ هاتها.

قالها نزار وقد افترت شفتاه عن ابتسامة جانبية سرعان ما خفتت وهو يستمع باهتمام لما يقوله بلال حتى انتهى فسأله:

- كيف عرفت هذه المعلومات؟

- لديّ مصادري.

- لن أسألك عنها، لكن هل أنت متأكد؟

- نعم.

- أنا أثق بك.

قالها نزار وعيناه تلمعان بالإعجاب. رقص قلب بلال بين ضلوعه، ليس فقط من أجل الأمل الذي انتعش في الترقية المرتقبة، وإنما لأنه نجح في إبهار من اعتبره مثلًا أعلى له على الرغم من الساعات القليلة التي لازمه فيها. وشعر بامتنان عميق لمبادرة جو وفاروق لإعطائه هذه الأفضلية. حاول مداراة ابتسامة الفخر التي كافحت لاعتلاء شفتيه، وسأل نزار:

- ماذا سنفعل الآن؟

احتار نزار للحظة.. أي منهما يستدعي أولًا للاستجواب للمرة الثانية، كريم شاكر أم ولاء ياسين، ثم اتخذ قراره:

- استدع ولاء.

أومأ بلال برأسه وبعد عدة دقائق عاد بها. كانت ترتدي الطاقم الرسمي الأسود ذاته، إلا أن وجهها بدا أكثر شحوبًا بعينين منتفختين وخصلات شعر متناثرة. أجلسها نزار، ونظر في عينيها مباشرة حتى لا يترك لها فرصة للفكاك وسألها:

- من هي بديلتك؟

ارتبكت الفتاة وهي تكرر كلمته:

- بديلتي.. ماذا تعني؟

- لا وقت لدينا للمراوغة، أريد إجابة دقيقة وإلا اتهمتك بإعاقة العدالة وربما بقتل شاكر إلى أن تخبرينا عن بديلتك التي قتلته.

- لم تقتله..

- آها.. أخبرينا عنها إذن.

*

دخلت بوسي السماك غرفة التحقيق فوجدت ولاء ترفع لها عينين حمراوَيْن تترقرق فيهما دموع الأسف والخذلان. أيقنت بوسي حينئذ أن لحظة الحقيقة حانت ولا فكاك.

أجلسها نزار، وتأملها محاولًا سبر أغوارها.. فتاة جميلة ذات وجه مستدير صبوح وعينين واسعتين وفم مكتنز وشعر كستنائي رقيق وبشرة برونزية جذابة، يلف جسدها القصير الذي يميل إلى الامتلاء ثوب أصفر ضيق ذو أكمام قصيرة يصل بالكاد إلى الركبتين.

- اسمك وسنك؟

- شيماء عيد السماك، 32 سنة.

استرق نزار نظرة للورقة أمامه وهو يسألها مستغربًا:

- شيماء! شيماء أم بوسي؟

انبرت ولاء قائلة:

- بوسي اسم الشهرة..

- لا تتكلمي بدون إذن.

حذّر نزار ولاء في خشونة فازدردت ريقها في حرج، بينما أردف هو موجهًا كلامه لصاحبتها بنبرة خرجت منه أرق رغمًا عنه:

- حسنًا.. أخبرينا يا بوسي عما كنت تفعلينه في غرفة القتيل ليلة الجريمة.

برغم الاضطراب البادي على الفتاة إلا أنها وضعت كفها برقة على سطح طاولة المكتب ورفعت ذقنها في إباء قائلة:

- إن كنت سأحكي ما حدث.. فيجب أن تسمعوا قصتي من البداية.

استعجب نزار لثباتها، ولم تفته ملاحظة أظافرها القصيرة والمطلية بطلاء أحمر قاني تقشر في غير ذي موضع. نظر في ظفر بعينه فوجده مقصوصًا بغير انتظام، وكأنه كسر في مشاجرة! رفع وجهه إليها بانتظار ما ستقول.

- نشأت في أسرة بسيطة بالمنصورة، وحلمت بالتمثيل منذ نعومة أظافري. حفلات العائلة والجيران كنت قاسمًا مشتركًا فيها، أحييها إما بوصلة رقص أو مشهد تقليد لأحد المشاهد السينمائية الشهيرة. حينما أنهيت دراستي الثانوية رفض والدي انتقالي للقاهرة لدراسة الفن وأصر أن أدرس في إحدى كليات مدينتي، واختارت لي أمي دراسة الآداب. كنت أذهب يوميًا لأجلس في المدرج وأحضر محاضرات لا أفقه فيها شيئًا ولا تحرك في رأسي فكرة. يومًا بعد يوم تنامى حنيني القديم للفن. وفي يوم من أيام سنتي الدراسية الثانية وجدتني أستيقظ وأملأ حقيبتي الصغيرة بأغراضي القليلة وأترك البيت وأضع قدمي في أول قطار متجه إلى القاهرة كي أطارد

النداهة التي سكنني صوتها لسنوات.

سكتت عن الحديث لحظة وأخذت نفسًا عميقًا تستدعي به الذكريات فأسرعت ولاء بقولها:

- نحن جيران وصديقات منذ الصغر ولكن..

ثم صمتت فجأة تنظر إلى نزار في خوف فزفر في نفاد صبر ثم أومأ لها برأسه أن تتكلم، فانطلقت تحكي بدورها:

- انتقلت مع أسرتي من المنصورة إلى حي شبرا بالقاهرة وأنا في الصف الأول الثانوي. مرت سنوات قبل أن أفاجأ باتصال هاتفي من شيم.. آآ أقصد بوسي من محطة مصر حائرة لا تعرف إلى أين تذهب. أخبرتها بالعنوان واستقبلناها بالبيت ولكن في اليوم التالي جاء أبوها غاضبًا يبحث عنها، وكان بيتنا أول باب يطرقه. توارت بوسي عن أنظاره فوق السطوح حتى ذهب، وأيقنت أنها لن تستطيع الإقامة عندنا. استأجرت غرفة فوق أحد الأسطح القريبة وقدمت أوراقها في المعهد العالي للفنون المسرحية، وعملت في المساء نادلة في أحد مطاعم الوجبات السريعة لكي تحصل على جنيهات قليلة كل أسبوع تمكنها من العيش في القاهرة.

أكملت بوسي قائلة:

- بدأت بتمثيل أدوار صغيرة في المسرح أثناء الدراسة ثم انتقلت لأدوار البطولة، أقسم كل من شاهدني أني موهوبة، وتنبأ لي بمستقبل باهر. ولكن! أبت السينما أن تفتح لي أبوابها... قالوا لي وزنك زائد والسينما تحب الأجسام النحيفة فأجريت جراحة تكميم

معدة وأنزلت الكثير من وزني وأصبحت أواظب على ساعتين من التمرين يوميًّا في الصالات الرياضية. قالوا لي أن طرازي قديم فغيرت اسمي وصبغت شعري وأعدت رسم حاجبيّ وتابعت صفحات الموضة ودفعت أموالًا كثيرة لشراء ملابس ذات طراز عصري. قالوا لي جمالك «فلاحي» فبياض البشرة لم يعد محبوبًا...

أشارت لذراعها ووجهها قائلة في مرارة:

- هذا ليس لوني ولكنني تهافتُّ على جلسات التسمير كي أحصل على اللون البرونزي المطلوب ووضعت عدسات لاصقة باللون الأخضر كي أصبح أكثر جاذبية.

قاطعتها ولاء قائلة:

- قالوا لها أسلوبك متحفظ فبدأت تتبسّط مع الجميع وتكثر السهر حتى ظننتُ أن بوسي التي أعرفها قد ضاعت مني إلى الأبد.. لولا لقاءاتنا المتباعدة التي وجدت فيها كل مرة قلبها الأبيض يصارع أحلام السينما المتجافية عنها.

أكملت بوسي بنبرة مثقلة وقد بدأت الدموع تلمع في عينيها:

- قالوا لي: الكثيرون وصلوا للفن عن طريق تطبيقي «اليوتيوب» و«التيك توك»، ونصحوني بإنشاء قناة ورفع فيديوهات لي عليها.. توالت الاقتراحات والمحاولات، تارة أقلد الممثلات الأخريات، وتارة أحكي حكايات ونكات وتارة أغني وأرقص. حصدت عددًا كبيرًا من المتابعين في عدة أسابيع، ولكن لم يتغير شيء. ظلت السينما تجافيني..

بدأ صوتها يفقد ثباته وهي تقول:

- قالوا لي تجارب الأداء هي بطاقة دخولك للشاشة الفضية فضاعت أحلى أيام عمري في الانتظار في مكاتب تجارب الأداء بين منطقتي الزمالك والمهندسين. التحقتُ بعدة ورش تمثيل وسيناريو وإخراج، لا لكي أتعلم وأرجو ألا تعتبرني متعالية إذا قلت لك أنني أكثر موهبة من أغلب الملتحقين بتلك الورش، وإنما التحقتُ بها على أمل أن يراني ممثل أو يختارني مخرج. قالوا لي إنني يجب أن أوافق على تقاسم أجري مع مدير الـ «كاستنج» لكي يختارني، وأن هذا هو النظام المتعارف عليه للوجوه الجديدة وكله يجب أن يأكل عيش. وافقت.. ولكن لم يختارني أحد. التمثيل كان حلمي الذي أتنفسه والذي تركت من أجله بيت أسرتي ومسقط رأسي وضحيت بحضن الأم وسند الأب كي أطارده حتى وجدتني أتم الثلاثين من العمر وأنا لا زلت في مكاني.

تدخلت ولاء قائلة:

- أخبرتها حينها أن كل تلك الأبواب المؤصدة يجب أن تعني شيئًا. وأن عليها النظر حولها ربما هناك أبواب أخرى غير التمثيل تفتح لها ذراعيها فلم تستمع لي.

أخرجت بوسي منديلًا من حقيبتها ومسحت به دمعة فرت من عينيها الجميلتين، تبادل نزار وبلال النظرات، لأول مرة يجد نزار نفسه مستمعًا لقصة يقصها عليه مشتبه به دون أن يقاطعه مطالبًا بالدخول في موضوع الجريمة. هل بدأ يتغير كما تنبأت رضوى؟

تمالكت الفتاة نفسها وأردفت بصوت حالم:

- حتى جاء اليوم الذي تعرفت فيه على شاكر خلال إحدى تجارب الأداء. وجدته يقترب مني وينظر في عيني ويلتقط كفي بين راحتيه ويعدني أنه سيكون البوابة التي أعبر من خلالها نحو حلمي...

قاطعتها ولاء قائلة بغضب:

- احتل حياتها وامتصّ رحيق شبابها. لم تكن بوسي معتادة على مرافقة الشباب بحكم تربيتها. ولكن كيف لغزالة حائرة أن تقاوم شباك صياد متمرس؟ وهو.. كأي صياد متمرس لم يعرض عليها مرافقته مباشرة، بل أدلى لها بدلوه: تحقيق الحلم.. صار يضرب لها مواعيد مختلفة قائلًا إن المخرج الفلاني أو الناقد العلاني سيكون موجودًا وأنها فرصة لا تعوض لاكتشافها. موعدًا تلو الآخر ووجدت بوسي نفسها رفيقة لشاكر.

رفعت بوسي عينيها ونظرت في عيني نزار وقالت بنبرة حانية:

- هل تصدقني إن أخبرتك أنني أحببته؟ لقد شعرت أن تحت القشرة الثخينة التي أحاط بها نفسه إنسانًا هشًّا تواقًا للحب. وقد عزمت أن أعطيه ذلك الحب. رفضت أن أكون له في الحرام فكتبنا ورقة زواج عرفي احتفظ هو بها معه.

- قلت لها إن زواج السر هو عين الحرام وإهدار لحقها فلم تعر لكلامي انتباهًا..

- مرت شهور من العسل وأنا أرافقه في أمسياته الخاصة بعيدًا عن

أعين الرقابة.

- تعني سهيلة زوجته فهي ليست سهلة أبدًا..

انزعج نزار من مداخلات ولاء المتكررة فرمقها بنظرة جعلتها تبتلع ريقها وتصمت، بينما بللت بوسي شفتيها بلسانها وأكملت:

- كان يهيم حبًّا بعينيّ، وكما قلت لك كنت أضع عدسات لاصقة ملونة ولكنه لم يكن يعرف. وعدني بأدوار وأفلام وقال إنني بموهبتي سأكون علامة من علامات السينما للمائة سنة القادمة. كنت أسمع كلماته وأحلم وأنا بجواره بالكاميرات تدور حولي والأضواء تسطع عليّ وصوتي يجلجل في «البلاتوه» في دور ضحك صاخب أو بكاء جارف.. وأخيرًا جاءت الفرصة، رشحني لبطولة فيلمه الجديد، تحمس لي الكاتب قائلًا إن ملامحي مناسبة لدور بنت البلد الذي ستلعبه البطلة، رقص قلبي بين ضلوعي وأنا أستعد لتوقيع العقد. ولكن فجأة.. ظهرت أنجي رستم على الساحة، وتغير كلام شاكر، قال إنني مناسبة أكثر لدور صديقة البطلة بينما يذهب دور البطولة إلى «أنجي» صاحبة العينين الساحرتين. شعرت بغصة ولكنني أقنعت نفسي ألا بأس، دور واحد مؤثر على الشاشة الفضية سيلفت لي الأنظار وتتوالى الأدوار.. لم أدر حينها -لفرط سذاجتي- أن البساط بدأ ينسحب من تحت قدمي وأن ما يحدث لهو بمثابة إعلان أن أيامي في حياة شاكر باتت معدودة وأن المستقبل معه.. لأنجي..

- ألهذا قتلته؟

***

(23)

35 دقيقة على الحفل

ليلة الحادث – الساعة 8:25 مساء

وقفت الفتاة صاحبة الشعر الكستنائي الرقيق والقوام الملفوف بداخل بذلة كلاسيكية سوداء أمام باب الغرفة مترددة، تزدرد ريقها قبل الدخول. مدت يدها نحو المقبض وهي تسأل نفسها للمرة الألف، هل هذه أفضل وسيلة للحصول على مرادها؟ فتحت الباب ودلفت. رفع إليها شاكر وجهًا منتفخًا فتسارعت ضربات قلبها، ظنها هو إحدى الفتيات المنظمات فسألها:

- هل حان موعد حفل الختام؟

ثم أعقب عبارته بالنظر إلى شاشة هاتفه متفقدًا الوقت.

- ما زالت هناك نصف ساعة. ماذا تريدين؟

أزالت الفتاة الكمامة الطبية عن وجهها،

- أنا بوسي..

حدق إليها للحظة غير فاهم، وكأن الكحول قد أسدل ستارًا خفيفًا على عقله ثم انفجر فيها بغتة:

- كيف دخلتِ إلى هنا؟ لقد حذرتك يا بوسي..

- أرجوك..اعطني الورقة. أعلم أنها في جيبك.

- لا ورق لك عندي.

هوت الفتاة عند قدميه باكية:

- ماذا اقترفت كي تعاقبني هكذا؟ أنت من وعدتني مرارًا وأخلفت.. سقيتك رحيق زهرة شبابي بينما خنت أنت أحلامي.. حتى دور البطولة الثانية الذي وعدتني به أخيرًا، أعطيته لأخرى نزولًا على أوامر الغندورة أنجي..

- لا تأتي بسيرتها على لسانك القذر. يكفي أنها لم تكذب علي وتخدعني بعينين مستعارتين.

- كل هذا لأنك اكتشفت أني أضع عدسات لاصقة؟ كيف لي أن أعرف أنك انجذبت لي فقط لأنك ظننت أن عينيّ خضراوان؟

- اخرسي واغربي عن وجهي الآن.. وانتظري قضاءك.

قالها شاكر بتهديد صارم ثم أشاح بوجهه عنها وانشغل بالنظر إلى هاتفه متجاهلًا وجودها. وَثَبَت نحوه فجأة تخمش وجهه بأظافرها صارخة:

- لاااا!.

دفعها عنه دفعة شديدة أدت لارتطامها بالمنضدة الجانبية فاهتزت بشدة وسقطت عنها مرمدة السجائر لتتناثر أعقاب السجائر على سجاد الغرفة. تمالكت نفسها وعادت نحوه تحاول مد يدها إلى جيب سترته الداخلي ولكنه لطمها وهو يصرخ:

- سأقتلك..

انتاب الفتاة ذعر شديد وأيقنت من هلاكها وهي ترى شاكر يقوم من على الأريكة الجلدية المنخفضة نحوها.. ثم فجأة فقد توازنه فسقط على الأريكة ثانية.

انتهزت بوسي الفرصة فولت هاربة من الغرفة وهي تبكي وترتجف وقد اشعثّ شعرها وتلخبط هندامها. وجدت ولاء متوارية في انتظارها بمنتصف الممر. ارتمت في أحضانها وهي تبكي قائلة:

- لم أستطع الحصول عليها. كان سيقتلني..

انتاب ولاء الهلع وهي تحاول تهدئة صديقتها وضبط وضع الكمامة على وجهها راجية ألا يكون قد رآهما أحد.

وفي تلك الأثناء...

كانت هناك عينان ترتقبان من خلف العمود. بانتظار أن تخلو غرفة شاكر من زائرتها الأخيرة وتترك المجال لجولة خاصة!

***

(24)

استجواب بوسي

أنهت بوسي حكايتها عما حدث ليلة مقتل شاكر بنشيج طويل.. انتظرها نزار في صبر وهي تجفف عينيها بمنديلها وتمسح أنفها الدقيق مرات متتالية.. رفعت إليه عينين بريئتين قائلة في استجداء:

- أرجوك صدقني.. أنا لم أقتله..

- ما سبب تغيره من ناحيتك والعنف الشديد الذي قابلك به؟

- منذ فترة قليلة أصبت بحساسية في عيني وأمرني الطبيب ألا أرتدي العدسات اللاصقة لمدة أسبوع. حينها رآني شاكر لأول مرة بلون عيني الحقيقي.

لم يستطع نزار منع نفسه من النظر في عينيها الجميلتين وهي تردف:

- ثار ثورة عارمة وأصبح كالوحش الكاسر يصرخ فيّ ويتهمني بالخداع والغدر، عزوت غضبته في البداية لسُكْرِه في المساء، ولكنني لم أجده جواري حينما استيقظت في الصباح، وقد ترك لي ورقة على الفراش ينعتني فيها بالكاذبة والخائنة ويخبرني فيها أنه لا يريد أن يراني ثانية، وأن إيجار الشقة التي نسكن فيها معًا مدفوع حتى نهاية الشهر فقط بعدها يتعين عليّ البحث عن مكان يؤويني.

حاولت الفتاة تمالك نفسها وقد بدأت دموعها بالانهمار،

- لم أصدق ما قرأت، حاولت الاتصال به ولكنني فوجئت أنه قد حظرني على جميع وسائل التواصل. أدركت أن الأمر جدّيّ وخطير. بحثت كالمحمومة عن ورقة الزواج في كل مكان بالشقة حتى أعياني البحث فأيقنت أنه أخذها معه إمعانًا في إذلالي ومعاقبتي على ذنب لم أتعمد اقترافه!

وصلت بوسي لحالة من الانهيار لم تتمكن معها من المواصلة. توقفت وأخذت تنشق بأنفها وتخرج مزيدًا من المناديل من حقيبتها تجفف بها دموعها.. انتظر المحققان في صبر، ولكن ولاء أبت أن تصمت أكثر من ذلك فقالت:

- أصيبت بوسي بيأس شديد أدى بها إلى الاكتئاب. خاصة بعد أن رفضت أنجي أن تقوم بوسي بدور صديقتها في الفيلم ورشحت أخرى. ذهبتُ للإقامة مع صديقتي خوفًا من أن تؤذي نفسها. حاولَت هي التواصل مع شاكر بكل الطرق ولكنها فشلت إذ كان ناجحًا جدًّا في قطع كل الصلات حينما يرغب. أرادت منه على الأقل أن يطلقها بشرف، ولكنه أوصد كل الأبواب في وجهها. اقترب موعد المهرجان، فتفتّق ذهني عن فكرة أتيح بها لبوسي أن تقابله.

أومأ نزار برأسه قائلًا:

- أن تتبادلا الأدوار أمام الباب.

- هذا صحيح، أحضرت لها زيًّا رسميًّا أسود يماثل زيي، ومن حسن حظنا أن إدارة المهرجان ألزمتنا بارتداء الكمامة، وحجمنا متقارب لمن لا يدقق، والمتوقع ألا يدقق أحد في فتاة ترتدي زي المنظمات

ويوجد مثلها العشرات في المكان.

استعادت بوسي القليل من رباطة جأشها فأكملت الرواية قائلة:

- أُمِلتُ أن يحمل ورقة زواجنا معه كما اعتاد أن يفعل مع بعض الأوراق المهمة. سهّلت لي ولاء الطريق للقائه لعلي أنجح في إقناعه بإعطائها لي. في الحقيقة.. لم يكن اهتمامي منصبًّا على الورقة بقدر اهتمامي بشاكر، أردتُ منه أن يسمعني.. أن يعطيني ولو فرصة واحدة للدفاع عن نفسي، ثم أغرب عن وجهه إلى الأبد وأعود لرحلتي البائسة في الطرق على الأبواب.

- والتي على الأرجح ستجدها موصدة بفضل توصيات الأستاذة سهيلة.

قالتها ولاء في حنق فنكست بوسي برأسها وهي تقول:

- كان خطئي، ظننت أنني بكشف علاقتنا للصحافة أستفز شاكر كي يتواصل معي. لم تكن فضيحة بالمعنى، بل مجرد زوبعة في فنجان فأنا أعلم أن الصحافة في جيبه، وسهيلة لا تهمه، كان زواجهما في الفصل الأخير منه بعد أن استنفد كل منهما حاجته من الآخر.

- لقد وجدنا ظفرك المكسور في الغرفة.

نظرت ليدها المقلمة حديثًا وقالت:

- اكتشفتُ الظفر المكسور ليلتها بعد أن عرفت بمقتله، قمت بتقليم باقي أظافري على أمل ألا يكشفني الظفر الناقص.

- هل لحق بك شاكر خارج الغرفة؟

- لا، فقط سبابه..

وجه نزار سؤاله لولاء:

- كان هذا بعد دخول أنجي وخروجها أليس كذلك؟

- نعم.

- هل سمعت سبابه أنت أيضًا.

- نعم..

- هل يعني ذلك أنك متأكدة أنه كان حيًّا بعد خروج صديقتك من الغرفة.

شحب وجه ولاء وهي تسأله:

- ماذا تعني؟

- حقيبة أنجي كانت أمام ناظري صديقتك، والجميع يعلم أن بداخلها سكينًا. وأنتِ لم تريه يلاحقها، سمعت صوته فقط. ربما كان يستغيث أو يحتضر.

فقدت بوسي أعصابها وبدأت تبكي وتناشدهما من بين دموعها:

- لم أقتله. تشاجرنا.. وتعاركنا بالأيدي.. وانكسر ظفري لكنني لم أقتله.. أقسم لكما..

- هل رأيت أي شخص بجوار الغرفة أثناء دخولك أو خروجك منها؟

- لا، ولكنني كنت في حالة انهيار، لا أكاد أرى أمامي، لم أكن لأنتبه

لأحد.

- وأنت؟

سأل ولاء، فأجابت:

- لم ألاحظ أحدًا. حينما رأيت بوسي تخرج منهارة تملكني الذعر وانصب همي على أن أسحبها بعيدًا قبل أن ينكشف أمرنا.

تأمل نزار وجهي الفتاتين للحظات قبل أن يصرفهما مؤكدًا على ألا تغادرا المدينة إلا بإذن مباشر منه. ولت الفتاتان هاربتان وكأنهما لا تصدقان إخلاء سبيلهما.. وكذلك بلال، أخذ يرمق نزار غير مصدق. وما أن خرجتا حتى هتف:

- كيف تصرفهما هكذا بسهولة يا نزار؟

رفع إليه نزار عينين باردتين فأدرك بلال أن «سي فرج» قد حضر فاستدرك قائلًا:

- أعني.. يا سيادة المقدم، بوسي مشتبه به مثالي، لديها الدافع والفرصة، والسلاح كان أمامها.. ثم إن ظفرها وجد في مسرح الجريمة. وشهادة صديقتها بأن شاكر كان حيًّا بعد خروج بوسي لا يعتد بها أبدًا. ربما تكذب لحماية صديقتها، وحماية نفسها بالتبعية. وربما تكون سمعته فعلًا، ولكن كما قلت أنت: سمعت حشرجة الموت.. أو.. ربما لم تسمعه أصلًا، وإنما أوحت إليها بذلك صديقتها من كثرة ما كررت عليها أنها خرجت يلاحقها سبابه. إنها قضية كاملة ومثالية تصلح للتسليم للنيابة على طبق من فضة.

- وأنا لا أقبل سوى بالذهب..

- ماذا؟

- على طبق من ذهب.. يجب أن تكون القضية مثالية بالنسبة لي أولًا.. يجب أن يصدّق عليها القلب كما صدّق العقل قبل أن تخرج من مكتبي إلى النيابة.

- ولماذا لا يصدقها قلبك؟

ضيق نزار عينيه وكأنه فوجئ بالسؤال، ثم لم يعقب سوى بزفرة طويلة قبل أن يطلب من بلال أن يتركه قليلًا كي يختلي بنفسه... ربما بحثًا عن الإجابة.

خرج بلال من الغرفة حانقًا وهو يشعر أن نزار يتلاعب به، القضية متكاملة الأركان، ما الذي ينقصها كي تُحوّل إلى النيابة وتتحقق العدالة وينالا الترقية المرتقبة ويعود كل منهما لحياته. أما نزار فلم يتحرك من مكانه، كان يفكر..

هل تكلم فعلًا عن تصديق القلب؟ القلب!

منذ متى كان يؤمن به وبأحكامه؟ أليست هذه لغة رضوى التي طالما انتقدها وسخر منها بسببها. ماذا دهاه؟ لماذا يشعر أن قدميه ثقيلتان، ويديه مكبلتان؟ هل بوسي هي القاتلة؟ تذكر نقاشه مع رضوى ذات مرة حينما حاولت إقناعه بالحدس والحاسة السادسة فأجابها أن هذه مسميات مطاطة لا تعدو في حقيقة الأمر سوى دلائل لاحظها العقل ثم نَسِيها واحتفظ فقط بالانطباعات الناشئة

عنها. فيشعر المرء أن لديه حدسًا تجاه أمر ما، بينما هو ليس سوى انطباع بُني على معلومات استقبلها العقل اللا واعي واختزنها.. إن كان محقًّا في تحليله لمفهوم الحدس، فما هي تلك الإشارات التي تلقاها عقله من استجواب الفتاتين جعلته لا يصدق أن بوسي هي القاتلة؟ رغم ملاءمتها تمامًا من كل الجوانب كما أشار بلال. هل هناك أدلة تشير لقاتل آخر لم يستطع عقله فصلها من المشهد الكلي وتحديدها بعد؟ أم هو شيء بخصوص بوسي نفسها؟

لا ينكر أنه تأثر بحكايتها.. بل ربما هي المرة الأولى له في حياته المهنية أن ينظر لمن يتم استجوابهم كبشر، كأناس من لحم ودم لهم حكايات، وصراعات، وأحلام.. وليسوا فقط جناة محتملين، مرهونين بأدلة وإفادات ومحاضر موقعة..

ليست بوسي فقط من حازت على تعاطفه، بل كريم أيضًا.. شاب في مقتبل حياته، فاقد للثقة في نفسه، يبحث عن فرصة، بينما يمتلك والده المئات التي يبخل عليه بها. شعور الفتى بأنه غير جدير بالحب، غير جيد بما يكفي، حطمه. ثم هناك فؤاد خيري الكاتب الشهير، الذي شارف على نهاية رحلته ولم يحظ بالتقدير الكافي على مشواره الأدبي. بل وهدد بخسارة كل ما بنى بعد أن لاكت الصحافة سمعته وخسر عقوده. حتى سهيلة.. تبدو مذيعة ناجحة حازت كل متع الحياة، الشباب والجمال والمال والسلطة.. ولكنها لم تحظ بعلاقات سوية ولا قلب محب، حتى إنها تعاملت مع أسمى علاقة في الوجود كصفقة، هات وخذ.. دون مشاعر! ستجري بها السنوات سريعًا لتجد نفسها وقد انحسرت عنها الأضواء والسلطة وبقيت

وحيدة، دون شريك حياة حقيقي ولا أبناء يؤنسون كهولتها.. ثم أنجي.. آه أنجي.. لماذا يبدو كل شيء حولها مثاليًا؟ جمالها ذو الطابع الأوروبي، وعيناها الساحرتان، وقوامها الجميل وعذوبتها الآسرة، والمرافقة العجوز التي تصطحبها في كل مكان وتناديها «دادة» بحروف شديدة الترقيق تليق بمريم فخر الدين في فيلم «رد قلبي»، واسم عائلتها.. ماذا كان؟ آه «رستم».. اسم أرستقراطي ومثالي جدًّا هو الآخر، أهو اسم حقيقي؟ أم لزوم الشهرة مثل «بوسي»؟ يجب أن يطلب من بلال مراجعة الصحائف الجنائية للجميع، من يعلم ماذا سيكتشفان، بخلاف الأسماء!

بدأ صوت قلب نزار ينحسر لصالح صوت العقل. المحقق الذي مر للتو على دوافع شديدة الإلحاح على أكثر من مشتبه به للقتل.. ترى من منهم فعلها؟ عاد بتفكيره إلى بوسي، لماذا يؤمن في قرارة نفسه أنها ليست القاتلة، هل خدعته دموعها؟

تذكر الحيرة العنيفة التي عصفت به على إثر حضور محاضرة منذ فترة لمثله الأعلى في القانون المستشار سامح عبدالله القاضي بمحكمة الجنايات، حينما تكلم عن مشاعره كوكيل نيابة سابق. أدلى بأغرب وصف إذ أعلن بكل بساطة أنه يتواضع أمام المجرم! استفز هذا الاعتراف نزار وطعنه في صلفه وكبريائه، هو الذي اعتاد أن ينظر للمجرمين من عليائه الأخلاقية كحثالة المجتمع الذين ضعفوا أمام شهواتهم فارتكبوا الأخطاء والجرائم، بينما قاوم هو ولم يضعف. استعاد حديث المستشار الذي قال إن كل إنسان معرض للزلل بما فيهم هو نفسه. ولم يحل بين تبادل الأدوار -وأن يكون هو المجرم

الواقف أمام وكيل نيابة آخر- سوى عناية الله عز وجل ولطفه. أثار هذا الكلام حفيظة نزار بشدة وقتها، وهو الذي كافح لسنوات كي يكبح رغبته في الانتقام وجاهد ليحمل نفسه على الانضباط، يأتي المستشار فيعزو الحد الفاصل بين الشريف والمجرم إلى إرادة الله فقط؟ وماذا عن مجاهدتنا كبشر؟ وتزكيتنا المستمرة لأنفسنا كي ننأى بها عن مواضع الشر حينما ترنو لنا..

تساءل نزار وهو يتأمل جدران غرفة التحقيق الصغيرة التي تحيط به: أهي سخرية القدر أن يجد نفسه في هذا الموقف بعد كل ما تشدق به؟ هل كان سيادة المستشار على حق؟ استشرف المستقبل كعرافة غامضة تلقي بنبوءة وهي تشير إليه بإصبع معقوف..

عاد مجددًا يفكر في بوسي، وفي الجريمة.. أغمض عينيه يتخيلها وهي تكافح قوة شاكر وجبروته من أجل الورقة، ثم تدخل حقيبة أنجي إلى حيز رؤيتها، وتدرك أن بها وسيلة خلاصها.. تمد يدها نحو الحقيبة وتستل منها السكين وتدبه في عنق شاكر بِغِلّ.. لم تبد له الفتاة قادرة على الغل، ولكنها قادرة على الغضب بكل تأكيد.. ما الذي يؤرقه في ذلك المشهد إذن؟

«الطول».. هتف نزار فجأة وهو يبحث عن هاتفه متحمسًا..

بوسي لها قامة أقصر بكثير من شاكر، زاوية دخول السكين إلى رقبة شاكر هي الفيصل. اتصل بخبير الأدلة الجنائية يسأله عن تقرير الطب الشرعي، أجابه أنه لم يكتمل بعد، فسأله نزار إن كان بإمكانه الاستعلام عن الزاوية تحديدًا فوعده أن يجيبه في غضون ساعة.

قضى نزار تلك الساعة يذرع غرفته ذهابًا وإيابًا حتى أنّت قدماه في حذائه الجلدي الضيق المدبب والذي لم يستطع منع نفسه من مقارنته بحذاء بلال الكاوتشوكي المريح. لطالما حاولت رضوى إقناعه بارتداء ملابس وأحذية مريحة في العمل إلا أنه رفض في إباء متشبثًا بالصورة الكلاسيكية لضابط المباحث الهمام التي تربى عليها في الأفلام والمسلسلات، قميص رسمي مشدود، وسروال قماشي وحذاء جلدي مدبب، وكله باللون الأسود حتى الجوارب. لم تكن فقط قدماه اللتان تئنان وإنما معدته أيضًا انتفخت من أكل المخبوزات والمعجنات الجاهزة طيلة اليوم من كافيتريا الجامعة، وضغطت على القولون العصبي المنتفخ بذاته بسبب التوتر والضغط العصبي، صارعت معدته وأمعاؤه الحزام الجلدي الأسود الذي يكبلها راغبة في الفكاك والتمدد. نظر في ساعته، اقترب الوقت من منتصف الليل، وقد انقضت بالفعل ربع المهلة الممنوحة له من رئيسه. وبحلول الليل ليست أمامه فرصة في المزيد من الاستجوابات، إلا أنه لا يملك ترف النوم، عليه استغلال ساعات الليل جيدًا..

جاءته المكالمة المنتظرة بعد خمسين دقيقة لتخبره بالمعلومة التي غيرت مسار التحقيق!

***

(25)

زاوية القتل!

استمع المقدم محمد نزار لخبير الأدلة الجنائية على الهاتف وهو يخبره في تروّي بصوته الهادئ وبنبرة من يكافح النوم:

«بحسب زاوية دخول السكين وأخذًا في الاعتبار طول المجني عليه فإن القاتل يتراوح طوله بين 175 سم و185 سم».

تنفس نزار الصعداء...

بإمكانه الآن فقط، إعلان براءة بوسي استنادًا لأدلة مادية لا لحدسه فقط. بوسي لا يزيد طولها عن 155 سم، وإن ارتدت حذاءً ذا كعب عالٍ فلن يتجاوز طولها الـ 170سم. نحاها عن تفكيره أخيرًا، وعاد إلى دفتره، شطب منه عدة مهام تم تنفيذها وأخذ يتأمله بحثًا عن الخطوة التالية:

1- مشاهدة تسجيلات الكاميرات القريبة من غرفة المراقبة.

~~2- البحث عن دوافع الشجار مع شاكر لدى الموجودين بالمهرجان~~

~~3- استجواب منظمي المهرجان القريبة مواقعهم من مسرح الجريمة.~~

4- تفريغ كاميرات المراقبة المحيطة بالمكان الذي وُجِدَ به سلاح الجريمة.

5- استجواب العامل الذي وجد السلاح.

~~6- استدعاء سفيان يعسوب للتحقيق.~~

~~7- استدعاء سهيلة الرفاعي للتحقيق.~~

~~8- استدعاء بومي السماك للتحقيق.~~

~~9- استدعاء ولاء ياسين للتحقيق (اختفاؤها وقت الجريمة مريب.. التحقيق معها ثانية بهذا الخصوص – هل استدرجها القاتل؟)~~

~~10- استدعاء فؤاد خيري للتحقيق.~~

11- التحقق من مكالمة سهيلة مع مدير القناة.

12- استجواب مروان عناني.

13- استجواب ميرال الطوخي.

~~14- استجواب كريم شاكر.~~ (يجب استجوابه مجددًا بعد معلومة دخوله الغرفة حسب ما قاله بلال).

~~15- التحقق من الملف الأمني لكلٍّ من فاروق وجو.~~

بقدر الرضا الذي شعر به نزار وهو يشطب المهام، بقدر ما لامَ نفسه على المهام التي لم تزل عالقة. اتصل ببلال يسأله عن مكالمة سهيلة مع مدير الدار، أجابه بلال بنبرة متحفظة تأثرًا بالحوار الأخير الذي دار بينهما، تجاهلها نزار وانتظر إجابته فأخبره بلال أنه تحقق منها بالفعل وأن الرجل أكد أن سهيلة ظلت معه على الهاتف مدة طويلة، ثم عاد الرجل وذكر أن المكالمة تخللتها فترة انقطاع بسبب سوء شبكة الاتصال مما دعاه إلى محاولة إعادة الاتصال بها لعدة مرات

قبل أن ينجح في استئناف المكالمة معها، أخبره بلال باقتضاب عن معلومة أخرى توصل إليها من خلال التحريات: هناك بوليصة تأمين على حياة شاكر بمبلغ عشرة ملايين جنيه لصالح سهيلة زوجته وكريم ابنه بالمناصفة. انتصبت قرون الاستشعار لدى نزار، بينما علّق بلال مستغربًا اهتمام نزار بسهيلة وإصراره على تجاهل بوسي برغم الأدلة المحيطة بها. ابتسم نزار وهو يخبره عن الدليل المادي الأخير الذي برَّأ بوسي، وفي نفس الوقت يلقي بظلال التهمة على الرجال والنساء الذين يتراوح طولهم بين 175 سم و 185 سم. أنهى نزار المكالمة وعاد لتدوين المزيد من الملاحظات في دفتره وعلى رأسها إعادة استجواب سهيلة في الصباح. ولكن حتى يأتي الصباح، كيف سيستغل ساعات الليل؟ قرر أن يقضيها مع المهمة الأولى على قائمته، والتي يظن أنها مفتاح اللغز، فقدرة القاتل على الوصول للشريط الصحيح ومحوه في الوقت المناسب هي المسألة التي تحيره أكثر من غيرها في القضية. سيسهر على مشاهدة شرائط الكاميرات التي تحيط بغرفة المراقبة والتي سلمها له المهندس عبد الله سابقًا، لعله يخرج بأية معلومة.

*

استيقظ بلال على رنين هاتفه المتواصل فانتفض مفزوعًا وأمسك بالهاتف ليجد نزار هو المتصل والساعة لم تتجاوز الخامسة صباحًا. زفر وهو يجيب، ثم تبدد كل أثر للنوم في صوته بسبب صوت نزار الأجش:

- سيادة الرائد، هناك أمر خطير لا يمكن مناقشته على الهاتف.

احضر فورًا.

- الآن؟

سأل بلال مستنكرًا، ثم لما لم يتلقَّ ردًّا أدرك أن نزار أنهى المكالمة فارتدى على عجل ملابس رياضية مريحة وعرج على آلة القهوة القابعة في بهو الفندق فاشترى منها كوبين وذهب بهما إلى غرفة التحقيق يتساءل في غيظ ممزوج بالفضول عما أبقى نزار مستيقظًا ثم جعله ينهي سويعات نومه المعدودات.

قطع المسافة بين الفندق وغرفة التحقيق مشيًا ونسيم الفجر البارد المحمّل بملح البحر يلفح وجهه ويمنحه قليلًا من الانتعاش. دخل على نزار الغرفة فوجده يذرعها بخطوات ثقيلة مجهدة وقد «خرج من ملابسه» كما يقولون، بقميصه المجعّد المتهدل خارج سرواله، وحزامه الجلدي الملفوف على سطح طاولة المكتب وحذائه الأسود القابع أسفل المقعد. نظر إليه نزار بعينين حمراوين من الإجهاد فأيقن بلال أن الأمر جلل. ناوله كوب القهوة في صمت فأخذه وشربه على عدة جرعات ثم وضعه وأشار لبلال أن يجلس ولف شاشة حاسوبه في مواجهته وقال بنبرة بطيئة وكأنه يختار كلامه:

- لقد عرفت من الذي محا الشريط.

- من؟

- فتحي..

- فتحي من؟

- السيد اللواء فتحي السيد.

- مدير الأمن؟

*

شهق بلال في عدم تصديق لما سمع فأومأ نزار برأسه عدة مرات مؤكِّدًا، وإزاء الذهول الذي احتل ملامح بلال شرح له بكلمات موجزة كيف سهر الليل على مراجعة شرائط الكاميرات المحيطة بغرفة المراقبة، وكيف وضع تصورًا زمنيًّا للأحداث التي تلت اكتشاف الجريمة، وعلى رأسها دعوة فتحي للاجتماع برجال الأمن والتي تسببت في إخلاء غرفة المراقبة والممرات المحيطة بها تمامًا من أي رجل أمن في وقت حرج جدًّا. ثم ختم كلامه قائلًا:

- فتحي تواجد في غرفة المراقبة وحده للحظات بعد أن طلب استدعاء رجال الأمن وقبل أن يجتمع بهم. أنا متأكد أنه محا الشريط في ذلك الوقت.

- ولكن لماذا؟

أجابه نزار بنظرة ذات مغزى، جعلت بلال يردف:

- أتعني أنه يتستر على القاتل؟ قاتل مرموق وأوامر عليا بمسح أية أدلة تدينه؟

- أو؟

- هو القاتل؟ ولكن قائمة علاقات شاكر بالموجودين في ساحة المهرجان، لم تكن تتضمن اللواء فتحي مما يعني أننا لم نجد أية علاقة تربطه بالقتيل.

أشار نزار لبلال بسبابته قائلًا:

- ربما لم تجدوا علاقة حديثة تربطهما. لقد انصبّ بحثنا على علاقات شاكر كصاحب شركة إنتاج، وخاصة في أجواء المهرجان، فبتنا نبحث عن كُتّاب وفنانين ومخرجين قد يحملون له الضغينة، ولكن ماذا عن المراحل السابقة في حياته؟ ألا يمكن أن تحمل عداوات؟ بل على الأرجح تحمل عداوات أكثر شراسة. وكما اكتشفنا علاقته بجو على سبيل المثال، ما الذي يمنع وجود علاقة سابقة بين المجني عليه ومدير الأمن؟ خاصة أنهما من عمر متقارب.

- ولكن ما تقوله خطير يا سيادة المقدم. في كلتا الحالتين، سواء كان اللواء فتحي هو القاتل، أو يتستر عليه بأوامر عليا.. فأنت تقحم نفسك في عش الدبابير.

- أعلم.. ولا أخاف.

أجاب نزار بنبرة حاسمة أطرق لها بلال برأسه صامتًا حتى تكلم نزار قائلًا:

- فكر في الأمر يا بلال، طول الرجل مناسب لزاوية القتل، ومعرفته بمكان الشريط الصحيح ومحوه له لهو أمر أسهل عليه من غيره. تخيل معي ليلة الحادث: دخل اللواء فتحي غرفة شاكر بعد أن خرجت بوسي وانشغلت بها ولاء، وقبل أن تعود أنجي للغرفة. تشاجر

معه وقتله وخرج مسرعًا. أدرك أن عليه محو الشريط ولكن ما الذريعة كي يفرغ غرفة المراقبة من موظفيها؟ انتَظَرَ حتى اكتُشفت الجثة فاستدعى الجميع، اجتمعوا في انتظاره بينما انتهز هو الفرصة ومحا الشريط ثم عاد إليهم.

- وسلاح الجريمة، ألم يكن يستطيع التخلص منه بطريقة أفضل؟ أو يتركه بجوار الجثة كي يشير إلى أنجي.. لماذا أخذه ثم تخلص منه في مكان واضح للعيان؟

- امم.. هذا سؤال مهم.. ربما اعتزم التخلص منه ثم اعترضه عارض فاضطر لإلقائه، علمًا بأنه بلا بصمات لن يشير لأحد سوى صاحبته.

ظهر التردد على وجه بلال فقال نزار بسخرية:

- عجبًا لأمرك.. حينما كانت المتهمة فتاة غلبانة كنت حريصًا على لف الحبل حول رقبتها بلا تأخير، أمّا الآن وقد أصبح المتهم رجلًا ذا حيثية ترددت وانتابتك الشكوك.

احتقن وجه بلال..

- هذا ليس السبب. أنا غير مقتنع بالأدلة التي سقتها. وحينما يصبح الأمر مرهونًا بأحد الحيتان يجب على المرء التروي. ليس جبنًا مني، وإنما حذر.

- استدعِه يا بلال.

- مَنْ؟

- اللواء فتحي السيد.

- الآن؟

انفعل نزار قائلًا:

- لقد كادت نصف المهلة الممنوحة لنا أن تنقضي. سأستجوبه الآن.

- وهل تتوقع أن يعترف لك؟

- سنرى..

*

- هاهاها.. نعم.. أنا من محوت الشريط. ولكن كيف عرفت؟

تبادل كل من نزار وبلال نظرات الدهشة أمام اعتراف مدير الأمن الضخم الذي جلس في ثقة واضعًا ساقًا فوق الأخرى بصعوبة لبدانته، وأخذ يمسد شعره المصبوغ بعناية وينفث دخان سيجاره الفاخر في وجهيهما مرة بعد مرة. استدرك الرجل قائلًا:

- هذا كلام خارج التحقيق بالطبع. ولكنني معجب بمجهوداتكما.

التبس الأمر على نزار، فهو لم يتوقع أن يعترف الرجل بهذه البساطة، أهو مدرك أنه قد اعترف ضمنيًا بقتل المجني عليه؟ بدا وكأن اللواء فتحي قد قرأ أفكار نزار إذ أردف بصوت كالفحيح:

- إياك أن تسوّل لك نفسك اتهامي بما هو أبعد من محو الشريط..وإلا..

قال كلمته الأخيرة وهو يؤرجح إصبع سبابته الغليظ في وجه نزار

الذي احتقن،

- هل تهددني يا سيادة اللواء؟

قام الرجل الضخم من على مقعده وانحنى بجسده نحو وجه نزار لينفث دخانه في وجهه مرة أخيرة قبل أن يتوجه إلى الباب قائلًا في جذل:

- من كان بيته من زجاج، فلا يرمي الناس بالطوب. أليس كذلك يا سيادة المقدم؟

ثم اختفت الابتسامة عن وجهه بغتة وأردف بنبرة صارمة بدا فيها التهديد واضحًا:

- هل ظننت أنني صدقت كونك في المدينة هنا صدفة؟ وأنهم أسندوا لك القضية لكفاءتك؟ لقد قرأت ملفك وقمت بتحرياتي أنا أيضًا وبتُّ أعرف علاقتك بالقتيل. ابتعد عن طريقي وإلا وجدت نفسك في القاهرة في غضون ساعات متهمًا بقتل المجني عليه.

أعقب عبارته بضحكة مجلجلة، ثم خرج وصفق الباب وراءه. وضع نزار وجهه بين كفيه، وسمعه بلال يهمس:

- اخرج من فضلك يا سيادة الرائد.

تسمر بلال في مكانه للحظة قبل أن ينتفض إثر صرخة نزار:

- اخرج من هناااااا.

أسرع بلال بالخروج ليجد في وجهه جو وفاروق ورفيقهما ذا

الضفائر، يتساءلون في فضول عن سبب صرخات نزار الهادرة.

***

(26)

نزار

جلس بلال في ركن الغرفة المربعة الصغيرة في تلك البقعة النائية من ساحة المهرجان والمعبقة بروائح بقايا الطعام ودخان السجائر، يفكر في موقف اللواء فتحي وما قال، منفصلًا تمامًا عن دعابات الأصدقاء الثلاثة والتي كان جسد صديقهم البدين يهتز لها وترتج ضفائره الغريبة على أثرها. لم يدر كيف طاوعهم وأتى معهم إلى مقرهم، أو «الخن» كما أطلق عليه جو الذي أصر على اصطحابه حينما رأى وجهه الشاحب وهيئته الحائرة. امتنَّ لهم في نفسه أن لم يسألوه عما ألمَّ به على الرغم من الفضول البادي في أعينهم بعد صمته إزاء سؤالهم عن سبب صراخ نزار.

غرق في حيرته يفكر فيما عناه فتحي بتهديده، ذلك التهديد الذي بدا واضحًا أنه في محله بالنظر لرد فعل نزار. أله علاقة بالقاتل؟ ألذلك شدد نزار على فكرة وجود أعداء كثر لشاكر من حيوات سابقة؟ لأنه كان واحدًا من هؤلاء الأعداء! ما الذي قد يجمع ضابط مباحث شابًّا بكهل صاحب شركة إنتاج سينمائي؟ أم أنهما اجتمعا حينما كان شاكر يلعب دورًا سابقًا؟ استرجع بلال ما قرأه في ملف شاكر، قبل عمله بالإنتاج كان صاحب شركة مقاولات، تلك التي عمل بها جو كصبي مكتب في أيامه الخوالي، فهل التقى الرجلان حينئذ؟ رمق جو الذي كان يلتهم شطيرة ضخمة بنهم، هل يعلم شيئًا عن العلاقة بين نزار وشاكر؟ ودّ لو يسأله ولكن كيف؟ سيسيء

لنزار ويفشي أسرار التحقيق إن فعل. ثم ما الذي جمع شاكر بفتحي الذي اعترف ببساطة بمحوه للشريط، ذلك الاعتراف الغريب الذي لا يبرره سوى تبجح فتحي أمامهما. هل يعني ذلك أنه لم يقتل شاكرا! لماذا محا الشريط إذن؟ كي يحمي شريكًا له؟ من يكون شريكه؟ لا يمكن أن يكون نزار فالعداء واضح بين الرجلين.. أم أنها تمثيلية لذر الرماد في عينيه هو؟ لن يستطيع الجلوس مكتوف اليدين. تأمل الأصدقاءَ الثلاثة اللاهين في هذرهم، هل يركن إليهم ويفضي لهم بشكوكه ومكنونات نفسه؟ أم سيعرّض التحقيق للخطر ويضع نفسه رهينة تحت أيديهم. وقف فاروق وأمسك بكاميرته قائلًا أنه سيخرج للتجوال قليلًا على البحر وربما التقط بعض الصور. في هذه اللحظة اتخذ بلال قراره، فاروق كان جارًا لنزار، ربما يعلم عنه ما قد يكشف غموض الموقف، وعرض الموضوع عليه بعيدًا عن جو ومارلي سيكون أفضل. قام بلال وأعلن أنه بحاجة إلى بعض الهواء النقي بدوره وطلب من فاروق مصاحبته.

خرج الشابان معًا، كان الوقت لا يزال باكرًا فلم يجدا حولهما سوى القليل من العمال والموظفين، كل منهمك في عمله. علق فاروق قائلًا:

- يبدو عليهم الإرهاق والوجوم بخلاف الأيام الأولى للمهرجان التي تألق فيها الجميع حماسة وبِشْرًا.

- ملّوا من البقاء هنا دون طائل أو بشرى انفراجة، ومعهم حق.

- إلى متى تنوون الاستبقاء علينا هنا؟

- ربما حتى الغد. لقد ضجر الجميع ومنهم الكثيرون من ذوي

الحيثية متضررون من ترك أعمالهم المعلقة بالقاهرة وغيرها، وردتنا شكاوى بالفعل.

سأله فاروق بحذر:

- ألم تجدوا أي خيط يشير للجاني؟ نزار ضابط كفء على حد علمي.

- أتعرفه جيدًا؟

- قلت لك كنا جيران، وعائلتانا مقربتان.

تردد بلال قبل أن يسأل:

- هل يمكن أن تكون هناك أية علاقة بين شاكر ونزار؟

- أتعني القتيل؟ ما هذا السؤال؟

كانا قد وصلا لشاطئ البحر.. نظر إليه بلال وأخذ نفسًا عميقًا، هل يُسِرّ بما حدث لفاروق؟ أهو ثقة؟ صرخ صوت بداخله محذرًا: لا.. إنه مشتبه به، هو من وجد الجثة ولا نعلم مدى صدقه، فعارضه صوت خافت: الكل مشتبه به، حتى نزار، أنت تحتاج لما يعرفه فاروق عن نزار كي تتبين خطاك. استجمع بلال أمره وسأل فاروق:

- لقد قلت أن نزار مر بالكثير فهل لك أن تحكي لي..

استعجب فاروق طلب بلال، ولكن الإرهاق البادي في عينيه والحيرة التي كللت ملامحه جعلته يتسجيب له قائلًا:

- والد نزار كان ضابطًا أيضًا، قُتل على يد بعض الأشقياء في إحدى

مهماته في الصحراء الشرقية. مقتله زلزل الأسرة، وأصبح نزار هو عائلها ولم يكد يبلغ الثامنة عشرة من عمره، كان عليه الاعتناء بأمه التي أصابها استشهاد والده بانهيار شديد ومتاعب صحية عديدة، وكان عليه أيضًا الاعتناء بأخيه الأصغر مازن الذي اعتبره ابنًا له حتى إنه بالغ في فرض طوق من الحماية حوله إذ كان في فترة المراهقة وقد بدأت تظهر عليه اضطرابات سلوكية وشكاوى من المدرسة. تحكّم فيه نزار بقبضة من حديد جعلت مازن ساخطًا على الدوام فلم يكد بيتهم يخلو من المشاحنات والشجار حتى ارتخت قبضة نزار مرغمًا بعد أن التحق بكلية الشرطة وغاب عن البيت ليكمل مسيرة أبيه. حصل مازن حينها على حرية مطلقة لم يعرف كيف يستعملها.

- قلت إن أخاه صديقك؟

- كان مازن يكبرني بعامين، ولكن بحكم الجيرة كنا أصدقاء، لعبنا الكرة في الشارع والألعاب الإلكترونية في البيت أو في مقهى الإنترنت القريب.

- لماذا تتكلم عنه بصيغة الماضي؟

- لأنه لم يعد موجودًا..

- سافر؟

- مات..

*

تفاجأ بلال برد فاروق، لم يتوقع أن تحتوي حياة نزار على كل هذا

الفقد؛ أبيه، ثم أخيه، ثم أمه مؤخرًا..

- كيف مات؟

- هذا هو مربط الفرس وسبب غضب نزار الدائم.. لم يستطع مسامحة نفسه أبدًا على أن أخاه الوحيد الذي كان بمثابة ابنه، والأمانة التي تركها له والده هوى في ذلك البئر السحيق المظلم. ومما زاد من قساوة الأزمة إصابة والدته بشلل نصفي بعد فقدانها صغيرها. عاش نزار من بعد ذلك اليوم لسنوات راهبًا، رافضًا للخروج أو الزواج بعد أن انفصل عن خطيبته وقتها، والتي لولاها لما عاد نزار للحياة.

- ألم تقل أنه انفصل عنها؟

- لم تستسلم، بل أقحمت خالها الطبيب النفسي الشهير في الأمر، وظلت يومًا بعد يوم وشهرًا بعد شهر تحاول دك حصون عناد نزار وغضبه، حتى نجحت في فتح ثغرة مكنتها من إقناعه بالعلاج النفسي، هو لا يعرف أنني أعرف تلك التفاصيل، والدته فضفضت لأمي في لحظة ضعف وأوصتها ألا يعرف أحد حتى لا يفقد نزار مستقبله. ولكنني عرفت مؤخرًا عن طريق الصدفة..

- لم تقل لي كيف مات أخوه؟

- لن أنسى تلك الليلة ما حييت...

***

(27)

منذ 13 سنة

مايو 2007

في إحدى أمسيات شهر مايو، حين بدأ الصيف يعلن عن قدومه، فتح فاروق باب شرفته على مصراعيه طلبًا لنسمة ليلية لطيفة تعينه على المذاكرة استعدادًا لاختبار اليوم التالي.

تناهت إلى مسامعه جلبة من بيت الجيران، أصاخ السمع فشقت سكون الليل صرخة ملتاعة:

«ماااااازن»..

أعقبها صمت، ثم بدأ النحيب. قفز فاروق من على كرسيه.. ماذا حدث لجاره؟ هل عاد أخوه من سفره الأسبوعي واندلع بينهما شجار كالعادة؟ ولكن هذا صوت السيدة نجوى أمه!

هرع من غرفته ليجد والدته هي الأخرى تقف حائرة وقد سمعت الصرخة، فتح باب شقتهما وأخذ يطرق على باب الجيران. فتحت السيدة نجوى الباب بوجه باكٍ وما إن رأت والدته من خلفه حتى رمت نفسها عليها منتحبة:

«مازن راح مني يا سامية.. ما اقدرتش أحافظ على الأمانة»

رأى فاروق من مكانه باب غرفة مازن -الملطخ بكلماته الغاضبة المكتوبة بدهان أسود- على غير العادة مفتوحًا. تحرك خطوة تلو

الأخرى نحو الباب في وَجَل، متخوفًا مما سيرى.

دلف فاروق من باب غرفة مازن بقلب وَجِل ثم تسمر أمام جسد صديقه الملقى على ظهره وعيناه خاليتان من الحياة، أخذ ينقل نظراته مصدومًا بين شعره المهوش المتناثر حول وجهه وفمه المفتوح في صرخة لم يكتب لها أن تخرج.

كشف كمه الأيسر المشمر عن شريط مطاطي اصفرّ لونه أحاط بعضده وحوله آثار الكثير من الوخزات التي نقشت جلده نقشًا. تدلى ذراعه الأيمن بجواره وقد انفتحت أصابعه النحيلة عن علبة كرتونية بيضاء صغيرة لم تفتح مكتوب عليها «نيلوكسون». وعلى الأرض بجواره قبعت حقنة بلاستيكية وملعقة حديدية تغير لونها ونصف ليمونة، وأخيرًا، ولاعته الصغيرة التي لطالما اعتز بها واتخذ من الجمجمة الموسومة عليها شعارًا له. ثم.. الكثير من القيء.. قيء مقزز فاحت رائحته الحادة لتحتل هواء الغرفة الراكد.

كان هذا كل ما تبقى من صديقه.

*

سمع فاروق فجأة صيحة رجولية هادرة فخرج من غرفة مازن مذعورًا ليجد أمامه محمد يهجم كالمجنون على غرفة أخيه، بينما خطيبته الرقيقة رضوى تحاول منعه وهي تبكي وترتجف كريشة في مهب الريح. لم يدر فاروق ماذا يفعل فخرج محاولًا الهروب من وطأة ما رأى، تناهت إلى مسامعه صرخات محمد الغاضبة:

- سأجدك يا تنيييين.. سأجدك وأنتقم منك حتى لو كان ذلك آخر ما

أفعله في حياتي.

ظل ذلك المشهد حيًّا في ذاكرة فاروق لفترة طويلة، خاصة بعد المرض العضال الذي أصاب السيدة نجوى وأقعدها عن الحركة، والمزاج الغاضب لمحمد والذي امتد لسنوات. لم ينس أبدًا عيني مازن الخاليتين من الحياة ووجهه الذاهل وكأنه لا يصدق أن رفيقة ليالي السمر البيضاء قد غدرت به وسلبت منه حياته هكذا على حين غرة.

***

(28)

صراع

انقبض قلب بلال بعد أن حكى له فاروق تفاصيل موت مازن أخي المقدم محمد نزار، وشعر بتعاطف عميق إزاء رئيسه جعله يؤنب نفسه على الشك فيه، ذلك الشك الذي لم يستطع وأده حتى اللحظة. هتف فاروق وكأنه تذكر فجأة:

- ولكن لماذا سألتني عن العلاقة بين شاكر ونزار؟

برز صراع بلال مجددًا على السطح، هل يخبر فاروق؟ ربما ساعدته معرفة فاروق الجيدة بنزار على تبرئة ساحته من الاتهامات التي لقّح بها فتحي، أو.. إثبات التهمة عليه. ستكون مخاطرة كبيرة، خاصة وفاروق لا يزال من ضمن المشتبه بهم في الجريمة. اتخذ بلال قراره وحكى لفاروق عما قاله فتحي، لغة جسد فاروق أثناء حكيه حيّرته، خاصة بؤبؤَيْ عينيه اللذين ما فتئا يخطفان النظرات نحو اليسار، بدا أن لديه معلومة لا يود الإخبار بها، ترى ما هي؟ أهي خاصة بنزار وماضيه، أم بالجريمة! انتابه الندم على ما أسرّ به، إلا أن فاروق قال:

- هذا اتهام خطير من مدير الأمن. أنا أعرف نزار جيدًا. إنه رجل شريف.

- ولكن اللواء فتحي محق في أن ظهور نزار المفاجئ في مسرح الجريمة غريب. لقد وصل قبلي!

- ولو..

- يجب أن نكشف العلاقة التي تربط شاكر ونزار.

- بفرض أنها موجودة!

- أنت لم تَرَ وجه نزار بعد كلام فتحي. لقد أصاب الرجل وترًا بالتأكيد.

- إن كنت مُصِرًّا، يجب أن نخبر جو ومارلي بالأمر.

- وما دخلهما؟

- جو يعرف الكثير.

- عن الوسط الفني، ولكن يبدو أن العلاقة التي نبحث عنها سابقة لعمل شاكر بالفن.

- لا تنسَ أن جو قد عمل في شركة شاكر للمقاولات.

- أنت محقّ. ولكن ماذا عن مارلي؟

شكلت ثقة بلال ثقلًا لا يحتمل على كاهل فاروق، خاصة بالنظر لما يخفيه. كان لزامًا عليه أن يعطيه شيئًا بالمقابل يبدد شعوره أمام نفسه بأنه وغد. أخبره أن مارلي هو مصدر الصور التي كشفت خطة ولاء وبوسي. وأنه ربما رأى شيئًا من موقعه، أو التقط صورة قد تساعدهم في الوصول للحقيقة.

نظر بلال صوب البحر نظرة أخيرة وملأ رئتيه بهوائه.. عليه أن يتخذ قرارًا جديدًا وخطيرًا كسابقه أو أخطر. أمده البحر بدفعة شجاعة مفاجئة فأخبر نفسه في لحظة جذل: «إما أن أصيب، وإما..»

وعاد مع فاروق إلى «الخن».

*

في الخن، خيم الصمت على أربعتهم بعدما أخبرهم بلال عما قاله فتحي، وختم فاروق بحكايته عن ليلة موت مازن.. وصرخة نزار الرهيبة.

- التنين!

همس جو بنبرة غريبة جعلت الآخرين يلتفتون إليه في فضول، أردف قائلًا:

- أظنني عرفت العلاقة بين شاكر ونزار.

- أخبرنا.

أطرق جو برأسه وهو يقول:

- قد يجعل كلامي الحبل يلتف حول رقبة نزار.. ولا أظنه يستحق ذلك.

تصاعدت دقات قلب بلال، قال:

- إن كان مذنبًا فهو يستحق، وإن كان بريئًا.. إن كان بريئًا فكل معلومة تعرفها قد تساعدنا في دفع اتهامات فتحي عنه.

ازدرد جو ريقه وبدا وكأنه يفكر في الأمر، ثم فجَّرَ قنبلته:

- شاكر هو.. التنين.

وقعت عبارة جو عليهم كالصاعقة فاندفعت الأسئلة من أفواههم:

- ماذا؟

- كيف عرفت؟

- هل أنت متأكد؟

أجابهم أنه متأكد. وأنه من خلال عمله بشركة الفرس الأسود قد عرف الكثير عن أسرار شاكر منها المصادر غير الشرعية لأمواله.

- يُقال إنه في شبابه شارك ضابطًا سابقًا في دار أيتام.

- ما علاقة دار الأيتام بالأموال؟

سأل فاروق في حيرة فوكزه مارلي بمرفقه قائلًا:

- ما هذه البراءة.. أموال التبرعات طبعًا، يذهب ربعها للدار والباقي يقسم بالعدل بين الشركاء.

تنحنح جو قائلًا:

- ليس هذا فقط، سمعتُ أن دار الأيتام تلك كانت ستارًا للإتجار بالبشر، الفتيات الصغيرات تحديدًا.

امتقع وجه فاروق وهتف في غضب:

- المجرم.

بينما هتف مارلي في جذل:

- ابن «اللعيبة»!

- ولكن بعد فترة حدث خلاف بين شاكر وذلك الضابط فانفصلا وأنشأ شاكر شركة الفرس الأسود. بدأ بعدة أراضٍ في الساحل الشمالي وفي غضون سنوات غدا ملياردیرًا. وفي أثناء ذلك..

أكمل بلال قائلًا:

- لعب شاكر دور التنين.

- لست أفهم شيئًا.

- عمل شاكر بتجارة المخدرات، جلَبَ من الصين مخدرًا مخلَّقًا كيميائيًا، أطلق عليه اسم «التنين الأبيض»، يتسبب في الإدمان الشديد بعد المرات الأولى.

أومأ فاروق برأسه قائلًا في أسى:

- التنين الأبيض هو اسم المخدر الذي أدمنه مازن وأودى بحياته.

- ومن كلامك فإن نزار..

- توعد التنين بالانتقام.

- فهل فعل؟

- نزار رجل شريف.

أكد فاروق فعلق جو:

- الأمر ليس له علاقة بالشرف.

عقب مارلي:

- بل له كل العلاقة بالشرف. الرجل الشريف هو من يبرّ بقسمه ولو بعد حين ويحقق العدالة بيده وينتقم لأحبائه ممن آذوهم.

أخذ بلال ينقل نظراته بينهم وهو يتساءل في قرارة نفسه، أي رؤية يصدق؟ المقدم محمد نزار رجل شريف لن يقدم على القتل، أم أنه رجل شريف سينتقم لأسرته ممن دمرها. والسؤال الأهم، ألقاه بلال عليهم بصوت مسموع:

- لماذا الآن؟

- أظنني أعرف السبب..

قال فاروق في خفوت جعل الأنظار كلها تتجه إليه بانتظار تفسيره..

- كما قلت لكم، أصيبت السيدة نجوى والدة نزار بالشلل إزاء وفاة ابنها الأصغر بجرعة مخدرات زائدة.. ولسنوات ظلت تتردد على الأطباء على أمل الشفاء، منذ عدة أشهر أخبرتني والدتي أن نزار على تواصل مع طبيب ألماني بَشَّرَه بوجود عملية جراحية حديثة ذات نسب نجاح كبيرة يمكن لوالدته إجراؤها. تعاظم الأمل في أنفسهم وبدأوا في الإعداد للسفر، كان يفترض بهما السفر بمنتصف هذا الشهر ولكن..

- الموت سبقهم.

- هذا صحيح.. السيدة نجوى توفاها الله فجأة.

غمغم بلال:

- للأسف، هذا دافع مقنع جدًا..

- طوال ثلاث عشرة سنة جاهد نزار نفسه وكظم غيظه وراعى والدته على أمل شفائها، وقبل سفرهما بأيام فقدها. بالتأكيد شعر بغضب شديد واستيقظت رغبته بالانتقام وتأججت في صدره.

- هذا هو عامل الضغط الذي جعله يحقق انتقامه اليوم.

- أنتم تلفقون له التهمة تلفيقًا!

قالها جو مقاطعًا الحوار الدائر، فهتف بلال متفاجئًا:

- ماذا؟ ألفق له تهمة! أنا أقوم بعملي، أبحث عن الحقيقة..

- إذن ابحث عنها. أنت زميل نزار، وفاروق جاره، يفترض بكما الدفاع عنه والوقوف بجانبه ضد فتحي واتهاماته..

- وماذا إن كانت صحيحة؟

- اثبتها إذن.. ابحث عن أدلة تثبت صحتها من عدمه بدلًا من إلقاء الاتهامات على نزار جزافًا.

تدخل مارلي في الجدل الدائر موجهًا سؤاله لجو باستخفاف:

- ولماذا أنت منفعل؟ أنسيت أنه هو شخصيًا حاول تلفيق التهمة لك؟

- لم أنسَ.. ولكنه لم يحاول تلفيق التهمة لي، بل كان يؤدي عمله وأنا أحترمه لذلك. وما يجعلني منفعلًا حقًا هو أنني كنت في مكانه، علاقتي القديمة بشاكر ألقت بظلال الشك عليّ، برغم كوني الطرف

الضعيف والمظلوم فيها وهو كان المجرم. والآن يتكرر الأمر مع نزار، أخوه الأصغر قُتِل على يد شاكر، هو ومئات الشباب غيره ولا ريب، أي أن شاكر هو المجرم، ومع ذلك ينقلب الأمر بالشك في نزار، الرجل الشريف الذي يحاول القيام بواجبه.

- ماذا تقترح إذن؟

- تأكد من حجته في التواجد مبكرًا في مسرح الجريمة، ألم يقل إنه كان هنا في إجازة مع أسرته؟

- حتى وإن ثبت صدقه، فهذا لن ينفي قدرته على ارتكاب الجريمة، ربما رتب موعد إجازته مع موعد المهرجان المعروف مسبقًا. سيكون ذلك أفضل غطاء.

- إذن تأكد من مكانه وقت وقوع الجريمة تحديدًا.

- لديّ سؤال..

قال مارلي،

- إن كان نزار هو الجاني، فلماذا محا فتحي الشريط؟

- ليحتفظ بما يدين نزار، أو ليبتزه؟

- لماذا؟ إن كان فتحي بريئًا من القتل، لماذا لم يُظهر الشريط ويعلن الجاني ويفضح نزار، ما مصلحته في التستر عليه ثم تهديده؟

- هل يتستر عليه لعلاقة سابقة؟

- لم يبد أن بينهما أية علاقة.

- إذن لماذا؟

- ربما يتستر على شخص آخر.

- إن كان الأمر كذلك، وهو يعرف القاتل، فلماذا لقّح بالكلام على نزار؟

- تهديد فارغ كي يمنعه من ملاحقة الشخص الذي يتستر عليه.

- لدي فكرة.

هتف جو وهو يغمز لهم بعينه في حماس جعلتهم يلتفون حوله مرتقبين..

***

(29)

شفرة الجريمة

قال جو مفسرًا فكرته في حماس:

- ماذا لو كان هناك سبب آخر محا فتحي الشريط من أجله بعيدًا عن جريمة القتل؟

- ماذا تعني؟

- ربما سجلت الكاميرا شيئًا حدث في نفس اليوم لا يريد فتحي أن يطلع عليه أحد. شيء خاص به، أو بشخص آخر طلب منه التستر عليه. وحينما وقعت الجريمة علم أن ذلك الشريط هو أول ما ستسألون عنه فمحاه.

لمعت عينا بلال فعرف جو أنه أحسن باستنتاجه فازداد حماسة، وهو يلتفت إلى مصطفى مارلي قائلًا:

- مارلي، لقد وقفت فترة لا بأس بها تلتقط الصور بجوار موضع كاميرا المراقبة، ألم تر شيئًا غريبًا يستحق ما فعله فتحي؟

اختلس مارلي نظرة سريعة نحو بلال قلقًا من رد فعله بخصوص مسألة اختلاس الصور واللقطات من زاوية خفية، فلم يبد عليه الاكتراث فاطمأن وبدأ يفكر في إجابة سؤال جو، رفع كفيه وجمع ضفائره الشعثاء ورفعها لأعلى رأسه للحظة قبل أن يتركهم لينسدلوا ثانية حول وجهه وهو يقول في تردد:

- ربما.. لاحظت شيئًا..

توهج الفضول في أعين الثلاثة فاستدرك مارلي قائلًا:

- لست متأكدًا.. يجب أن أراجع الصور. أحتاج إلى وقت.

- يمكنني مساعدتك.

هتف جو، فأومأ بلال برأسه ثم أشار إلى فاروق قائلًا:

- وأنت.. هل يمكنك أن تتحسس عن طريق والدتك مسألة إجازة نزار وأسرته؟سأحاول أنا أيضًا الوصول لتلك المعلومات بطريقة غير مباشرة كي لا ألفت له الأنظار في الإدارة..

- سأفعل.

أجاب فاروق، ثم بدا عليه التردد وهو يردف:

- هناك وسيلة أسرع للتأكد من موقف نزار.

- ماذا؟

- إن كان بريئًا، ما الذي تتوقع أن يفعله إزاء تهديدات فتحي؟

- سيفضح تهديده ويقدمه للنيابة بتهمة إتلاف دليل وإعاقة التحقيق.

- وإن لم يفعل ذلك؟

- هذا سيعني إنه..

لم يكمل بلال عبارته، ولكن معناها كان واضحًا للجميع..

*

تفرق الجمع، وانتظر جو حتى يأتي مارلي بالصور وقد ألحَّ عليه انطباع غريب، لماذا يشعر أن فاروق يحاول تأكيد التهمة على نزار؟ يتظاهر بأنه يدافع عنه ثم.. ثم يرمي بعبارة أو أخرى تعيد أصابع الاتهام إليه. إن أحسن الظن بزميله، سيعزو موقفه إلى معرفته السابقة بنزار ومعايشته لأسرته وإدراكه لحجم المأساة التي تعرض لها، ورد فعله المتوقع. وإن أساء النية.. فلن يسعه إلا الظن بأن فاروق لديه مصلحة في اتهام نزار، أو.. أنه يخفي شيئًا!

*

بعد تفكير عميق، رفع نزار رأسه من بين كفيه وقد اتخذ قراره: لن يستسلم حتى يتمّ مهمته على أكمل وجه ويجد الجاني الأمثل ويغلق القضية. لن يسمح لتلميحات فتحي الخرقاء أن تدفعه للتنحي عنها وإلا سيخسر كل ما عمل من أجله لسنوات طوال. ليس أمامه سوى تجاهل فتحي وما فعله بالشريط على أن يتتبع أمره لاحقًا.

أما الآن.. فلا يسعه إلا العمل على حل القضية، وأول خطوة في هذا السبيل هي دراسة المجني عليه وكيف كان ومن هم أعداؤه المحتملون. شاكر.. ذلك الرجل الذي دأب على خلق أعداء له في كل مرحلة من حياته حتى قضى نحبه على يد أحدهم، ولكن ترى.. أيهم؟

تأمل نزار قائمة المشتبه بهم ودوّن ملاحظاته على ضوء معلومة الطب الشرعي الخاصة بطول القاتل:

- ~~الكاتب فؤاد خيري – أقصر من 175 سم.~~

- الابن كريم شاكر – طول مناسب.

- المصور فاروق المعايرجي – طول مناسب.

- الزوجة سهيلة الرفاعي – طول مناسب بالكعب.

- ~~العشيقة بوسي السماك – أقصر من 175 سم بالكعب.~~

- المخرج مروان عناني – طول مناسب.

- الممثلة أنجي رستم – طول مناسب بالكعب.

- الممثلة ميرال الطوخي – طول مناسب بالكعب.

- ~~الصحفي يوسف نبيل الشهير بجو – أقصر من 175 سم.~~

ستة مشتبه بهم، وجريمة يفترض أنها وليدة لحظة غضب ولكن في نفس الوقت لا تنطبق عليها مواصفات جرائم الغضب، فتلك الجرائم عادة ما يُكتشف الجاني فيها بسرعة لأن فاعلها لم يخطط لها ولم يحتسب أية حسابات قبل اقترافها، وعليه فإنه يترك أدلة تدينه فيقع سريعًا! أما في هذه القضية فهو لا يشكو قلة الأدلة وإنما كثرتها وتشعبها حتى أفقدته بوصلته..

أهو حسن حظ القاتل؟ أم حسن تدبيره!

أهي جريمة لحظية تداخلت معها أحداث أخرى ذَرَّت الرماد في العيون؟ أم هي جريمة خُطِّط لها أن تظهر كجريمة لحظية، بينما كل دليل فيها مزروع ومحسوب..

حيرته كثيرًا عقلية القاتل وودّ لو تمكن من فك شفرة تخطيطه للجريمة وفهم منهجيته في التفكير.

قرر أن يبدأ باستجواب سهيلة ثانية فهي المشتبه به الأمثل بعد معلومة انقطاع مكالمتها مع مدير القناة، ومبلغ بوليصة التأمين، فخمسة ملايين جنيه دافع لا بأس به طالما أن الطلاق المتفق عليه كان سيقع. يعلم أن سهيلة من عائلة مرموقة وثرية، ولكن ألم يقولوا في المثل «البحر يحب الزيادة»! وذلك ينطبق أيضًا على كريم ابنه ولا ريب ولكنه سيبدأ بسهيلة أولًا.

بعد نصف ساعة جلست أمامه بشعرها الخروبي المميز وظهرها المفرود، تظهر عليها أمارات الضجر وبوادر الغضب.

- ماذا تريد؟

- لماذا ألقيتِ بميكروفونات القناة التي تعملين بها في المياه؟

باغتها نزار، ولاحظ ارتعاشة جفنيها السريعة فأدرك أنه أصاب وترًا،

- ما هذا الجنون؟ بالطبع لم أفعل..

- التقطت صورتك إحدى كاميرات المراقبة.

- لم تكن هناك كاميرات مـ..

أدركت زلتها فقطعت عبارتها ونظرت إليه فابتسم هو نصف ابتسامة قائلًا:

- لقد تخلصتِ من الميكروفونات في المياه لكي تكون لك الحجة

في عدم الظهور على الهواء لتغطية حفل الختام كي تتمكني من قتل شاكر في ذلك التوقيت.

- لم أقتله..

- وافتعلتِ شجارًا مع مدير القناة يتيح لك حجة غياب مقنعة، ولكنه أفاد بانقطاع المكالمة لمدة خمس عشرة دقيقة أجدها كافية جدًّا لقتل زوجك.

- لماذا أقتله وقد اتفقنا على الانفصال بالفعل وبلا مشاكل؟

- من أجل خمسة ملايين جنيه بوليصة التأمين على حياته.

- كيف عرفت؟

- أحقًّا تطرحين هذا السؤال على ضابط مباحث يا سيدتي؟

- لم أقتله..

قالتها في ثبات وإصرار، فانتظر نزار في صبر وقد شعر أنها ستعقّب، وقد فعلت بعد لحظة قائلة في تردد:

- ولكنني.. سأخبرك بالحقيقة.

***

(30)

صفير حاد

اعتدل نزار في كرسيه قائلًا لسهيلة:

- كلي آذان صاغية..

- أجرت القناة التي أعمل بها تغييرًا في سياستها يقتضي بإعطاء الوجوه الجديدة فرصًا أكثر أمام الشاشة. فوجئت بهم يكلّفون مذيعة صغيرة لا تسوى قلامة ظفر بتغطية حفل الختام بدلًا مني أنا، سهيلة الرفاعي.

قالت اسمها وهي ترفع ذقنها إلى أعلى وتعيد خصلة خروبية إلى موضعها بعناية، ثم أردفت:

- وكنتُ قد أعلنت على صفحاتي بمواقع التواصل الاجتماعي أنني سأكون صاحبة السبق في إجراء لقاء على الهواء مباشرة مع المطربة التونسية آمال مثلوثي بعد الحفل.

صمتت وكأن ما قالته كافٍ لتفسير كل شيء، فاضطر نزار أن يستحثها:

- حسنًا؟

رفعت كتفيها وأخفضتهما قائلة في بساطة:

- ألقيتُ بميكروفونات القناة كلها في المياه، إن لم أكن أنا من ستغطي الحفل فلن تغطيه أخرى! لن تظهر آمال مع مذيعة غيري

لأجد نفسي «ترند» على وسائل التواصل الاجتماعي وصوري مستخدمة في «الميمز» الضاحكة على «الانستجرام» و«الفيسبوك».

اندهش نزار لأسلوبها الاستحقاقي في الكلام، سألها في ارتياب:

- هذا كل شيء؟

- نعم.. أنا لم أقتل شاكر، فخمسة ملايين جنيه هي فتات بالنسبة لي، قسط واحد من أقساط فيلا الساحل الشمالي التي أمتلكها. أما صورتي أمام الناس فهي..

- هي الشيء الذي قد تقتلين من أجله.

أتمّ عبارتها متمهلًا فرفعت رأسها ونظرت إليه مدهوشة ثم ابتسمت قائلة:

- لقد فهمتني.

صرفها نزار مستعجبًا من منطقها، وأسرّ لنفسه بعد خروجها بأنها ربما تحتاج لعلاج نفسي مكثف، ولكنه مع ذلك رجح أنها ليست القاتلة فشخصيتها لا تحمل السمات الشخصية المتوافقة مع الجاني في هذه الجريمة ولن تقتنع بها النيابة، يجب عليه الانتقال للمشتبه به التالي. عاد إلى دفتره ووقع اختياره على مروان عناني فكلّف عبدالمعبود باستدعائه، ثم قلب صفحة في دفتره يراجع بعض الأسئلة التي حيرته ليدوّن إجاباته وملاحظاته عليها:

- ملابس مطرب شهير ملقاة في القمامة. لماذا؟ ألقاها كريم ابن المجني عليه – لا يزال مشتبهًا به ويجب التحقيق معه بخصوص

احتمالية دخوله الغرفة.

- ظفر مكسور، لم يجدوا صاحبته بعد. من هي؟ بوسي، وهي خارج نطاق المشتبه بهم الآن بسبب طولها.

- أعقاب سجائر مميزة- أنكر الكاتب فؤاد خيري أن تكون كلها له. لمن تكون؟ لم نكتشف بعد. بانتظار تقرير البصمات.

- ميكروفونات غارقة، تشير الدلائل إلى أن سهيلة قد أغرقتها لسبب مجهول حتى الآن. ما هو السبب؟ سبب لا علاقة له بالجريمة.

- سلاح الجريمة اختفى، ثم ظهر بعيدًا عن مسرح الجريمة. من فعل ذلك؟ يجب مراجعة شرائط كاميرات المراقبة حول المكان الذي وجد به السلاح.

- شريط كاميرا المراقبة الذي تم محوه في غفلة عن الجميع. من فعل ذلك وكيف؟اللواء فتحي السيد– سيتم تجاهله مؤقتًا.

قام نزار من مكانه وبدأ يذرع الغرفة متفكرًا.. ها قد بدأ المشهد ينقشع، الميكروفونات الغارقة والملابس في القمامة، والظفر المكسور، والشريط الممحوّ.. كلها أشياء كانت تشوش عليه المشهد وتزيده غموضًا، والآن قد تم كشف غموضها، واتضح أنها ليست مرتبطة بالقضية. تبقت مسألة سلاح الجريمة الذي ظهر فجأة، يجب أن يكشف غموضه هو الآخر، سيكون حصانه الرابح نحو الجاني. يجب أن يكلف أحدًا بمراجعة التسجيلات.. من؟ بلال اختفى بعد كلام فتحي الغبي، ترى هل صدقه؟ وهل سيرفع الأمر إلى الإدارة في القاهرة؟ على الأقل لم يفعلها حتى الآن فلم يرده ذلك الاتصال من

رقم محجوب يأمره بالتنحي عن القضية. هل يحاول بلال التحقق من الاتهامات من وراء ظهره؟ فليفعل، لن يصل لشيء، الماضي مدفون جيدًا، وحتى لو سأل فاروق، لن يستطيع الربط بينه وبين شاكر. أو فليربط، لن يجد أي دليل ماديٍّ يدينه، سيتصل به ويكلفه بمهمة مراجعة التسجيلات، وسيطلب أيضًا تسجيلات كاميرات الدرون التي كانت تحلق ليلة الحادث، يشعر بالأدرينالين يندفع في عروقه..هل اقترب من الوصول لخط النهاية؟

*

أنهى بلال مكالمة نزار له متشككًا فيه أكثر من أية لحظة مضت، إذ سأله صراحة عما سيفعل مع فتحي بعد أن اعترف بمحو الشريط، فأجابه نزار بنبرة مائعة أنه استنتج من ثقة فتحي المفرطة بنفسه ولغة جسده أنه ليس القاتل، ولذلك فإن أمر الشريط يمكنه الانتظار. ثم كلفه بأن يراجع تسجيلات كاميرات المراقبة في المكان المحيط بالموقع الذي وجدوا فيه سلاح الجريمة، وبمراجعة تسجيلات كاميرات الدرون التي كانت تغطي حفل ختام المهرجان بحثًا عن أية لقطات تشير لمن اقترب من غرفة شاكر وقت وقوع الجريمة، خاصة في الفترة التي ابتعدت فيها ولاء عن الباب. استرجع بلال حواره مع الأصدقاء الثلاثة وكيف اتفقوا على تعليق براءة نزار من عدمها بموقفه من فتحي. الآن الشكوك تحكم قبضتها حول نزار، فهل سيجد فاروق لدى أسرته ما يثبت براءته؟

قرر بلال التركيز في المهمة التي طلبها منه رئيسه لربما يدرأ انشغاله الأفكار المغرضة عن رأسه. ذهب إلى كافيتيريا الجامعة

وطلب كوبًا من القهوة من شاب باهت يقف متثائبًا خلف نافذة العرض شبه الفارغة. سأله الشاب عن تفاصيل قهوته مرتين قبل أن يشرع بإعدادها في بطء السلحفاة دون أن يكلف نفسه عناء رفع يده لتغطية فمه المتثائب. تثاؤب الشاب المتتالي جعل بلال يتثاءب بدوره، لاعنًا حالة الـ«ايكوبراكسيا» التي جعلته يقلده في التثاؤب، ثم تذكر ما قرأه سابقًا أن تلك علامة تدل على أنه ليس «سيكوباثي» فابتسم. استلم بلال قهوته أخيرًا فوجد الكوب فاترًا، همّ بالشكوى للشاب، ولكن نظرة إلى فمه المفتوح وعينيه الناعستين جعلته يصرف نظرًا عن الأمر. اتجه صوب ركن منعزل وأخرج حاسوبه اللوحي من حقيبته ووضع فيه الذاكرة الرقمية التي تحوي كافة التسجيلات وفتح الحافظة. وجد أمامه ملفًّا لتسجيلات طائرات الدرون وآخر لكاميرات المراقبة. قرر البدء بالدرون ففتح الفيديو الأول، جعلته زاوية التصوير من أعلى يستغرق بعض الوقت ليميز دروب المهرجان ومنشآته كي يحدد موقع غرفة شاكر. أنهى قهوته الباردة واستمر في المشاهدة لقرابة الساعة دون أن يلاحظ ما يستحق عناء التّتبُّع. بوغت بكف توضع على كتفه فرفع رأسه عن حاسوبه ليجد فاروق يجلس بجواره ويسأله:

- مشغول؟

- لا بأس، أحتاج لاستراحة قصيرة أجدد بها نشاطي. هل لديك جديد؟

- اتصلت بوالدتي.. أخبرتني بالقليل ثم أصرت على إعطائي رقم رضوى زوجة نزار للتأكد منها.

- اتصلت بها؟

- لم أفعل بعد..

تنفس بلال الصعداء،

- جيد أنك لم تفعل، التحقيق كان سيتعرض لعرقلة شديدة إن علم نزار أننا نبحث خلفه.

- نزار ليس غبيًا، سيتوقع أنك تفعل.

- التوقع غير التأكد.. قل لي ماذا أخبرتك والدتك؟

- نزار بريء.

- أخبرني بالمعلومات واترك لي التقدير.

- نزار كان هنا في أجازة مع أسرته بالفعل، أصر رئيسه على أن يأخذها للترويح عن نفسه بعد أن أنهى قضية معقدة بنجاح، ثم فقد والدته بعدها بأيام معدودة. ليلة الجريمة لازم نزار ابنه في المستشفى الدولي بالمدينة لإصابته بنزلة معوية حادة.

- وكيف لوالدتك أن تكون متأكدة من تلك المعلومات؟

- والدتي صيدلانية، اعتادت السيدة نجوى والدة نزار، ومن بعدها رضوى زوجته اللجوء لها عند أي طوارئ صحية. وبالفعل اتصلت بها رضوى قرب الساعة الثانية ظهرًا يوم الحادث وأخبرتها أن ابنهما لديه حالة قيء وإسهال، فوصفت لها والدتي دواء بالفم ثم حقنة بالصيدلية، ولكن القيء استمر فنصحتها بالذهاب إلى مشفى قريب

خوفًا من دخول الطفل في حالة جفاف. وصلوا قسم الطوارئ بالمستشفى الدولي قرب السابعة مساء، وظلت والدتي تتابع مع رضوى حالة الطفل على الهاتف حتى أخبرتها بأن نزار قد جاءه استدعاء للعمل وأنه سيعيدهم إلى الفندق أولًا.

- عظيم.. ولكن كيف نتأكد أنه لم يغب عن المشفى ليقتل شاكر؟ المشفى لا يبعد عن ساحة المهرجان سوى خمس عشرة دقيقة.

- ابنه كان في حالة صحية دقيقة.

- نزار ضابط ذكي ذو خبرة، إن خطط لجريمة قتل فلن يتهاون في حبك كافة التفاصيل. لا أستبعد أن يكون قد أعطى لابنه ما سبب له القيء كي تكون لديه حجة غياب لا يمكن دحضها.

تفاجأ فاروق من كلام بلال فقال مدافعًا:

- نزار روحه في ابنه، لن يؤذيه أبدًا.

- من قال سيؤذيه؟ جرعة محسوبة تتسبب في أعراض محدودة وتحت السيطرة، من في المشفى سيركز مع الأب إن استأذن لإجراء مكالمة تليفونية أو لتدخين سيجارة بالخارج؟

لم يستطع فاروق تحديد ما إن كان بلال يعني ما يقوله، أم فقط يبحث الاحتمالات المختلفة. ولم يدر هو نفسه بماذا يعتقد.. هل قتل نزار شاكر؟ لن ينس صرخته ليلة موت مازن، فهل تكفل الزمن بإخماد بركان انتقامه الثائر؟وماذا عنه هو نفسه؟ هل أخطأ حينما أخفى ما أخفاه؟ ليته ما فعل، يشعر أنه شريك للقاتل بشكل ما.. وبتقصي نزار

وبلال وراء كل صغيرة وكبيرة بات كشفه وشيكًا.. ماذا سيفعل حينئذ وكيف سيدافع عن نفسه؟

*

استأنف بلال مشاهدة التسجيلات بكثير من الملل وقليل من التركيز إذ كان باله مشغولًا بما قاله فاروق عن نزار، بينما ظل فاروق جالسًا بجواره غارقًا في أفكاره حتى انتزعه من شروده صوت صفير حاد ومفاجئ صدر من الحاسب اللوحي، فاقترب من الشاشة ناظرًا في فضول، قال بلال:

- لا شيء مهم..

- من الذي يتحرك هناك؟

دقق بلال إلى حيث أشار فاروق ثم قال:

- في الأغلب هذا كريم، يتخلص من ملابس سفيان في القمامة.

- ولكن... أعد المشهد من فضلك.

أعاد بلال المشهد فانطلق الصفير الحاد مجددًا ليوقظ ذكرى خامدة في تلافيف ذاكرة فاروق. أغمض عينيه وحاول استرجاع اللحظة ثم فتحهما على اتساعهما هاتفًا في انفعال:

- كريم.. إنه يكذب!

***

(31)

لماذا كذب كريم؟

أوقف بلال الفيديو وسأل فاروق مرتابًا:

- ماذا تقصد؟

- ذلك الصفير.. لقد سمعته ليلة الجريمة.. لم يكن بعد اكتشافها، بل كان في بداية حفل الختام.. سمعته وأنا أقتفي آثار الدماء نحو غرفة شاكر.

شحذت عبارة فاروق حواس بلال فأعاد المشهد ثانية محاولًا ربط ما يراه ويسمعه بالخط الزمني لليلة الحادث. تبين سريعًا أن فاروق على حق، وأن اللحظة التي تخلص فيها كريم من ملابس سفيان في القمامة سبقت كثيرًا لحظة اكتشاف الجثة وإعلان ذلك. لماذا إذن كذب كريم؟

نحّى بلال شكوكه المرتبكة في نزار، واتجه صوب غرفة التحقيق حاملًا حاسوبه اللوحي مفتوحًا بين يديه. وجد نزار يحملق في دفتره، رحب به باقتضاب دون أن يرفع رأسه فوضع بلال الحاسوب على طاولة المكتب وحكى لرئيسه باختصار ما اكتشفه هو وفاروق. لمعت عينا نزار وأعاد المشهد عدة مرات قبل أن يزفر في ارتياح قائلًا:

- استدعِ كريم فورًا، يبدو أننا أوشكنا على إغلاق القضية.

*

دلف كريم إلى غرفة التحقيق وقد ازداد شعره البرتقالي هيشانًا وهو لا يعلم لماذا تم استدعاؤه. حشر جسده الضخم في المقعد أمام نزار الذي فضل أن يجلس في المقعد المواجه له لا خلف طاولة المكتب كالمعتاد في تكتيك يمكّنه من تثبيت نظره في عيني المشتبه به كنوع من المحاصرة أثبتت جدواها مع أمثاله من المتهمين. لاحظ نزار ازدياد ضراوة الحبوب والحفر في وجه الشاب المكتنز فأومأ برأسه دون أن يتفوه بشيء، مرت لحظة وبدأ كريم يتململ في مقعده، نتف شعرة ثم أعاد ذراعه إلى جانبه ثم عاد فنتف شعرة أخرى..

بادره نزار بنبرة لطيفة:

- كريم.. لقد قلت في التحقيق أنك لم تدخل غرفة والدك.

ازدرد كريم ريقه وأومأ برأسه ناتفًا شعرة جديدة، أردف نزار:

- قلت أيضًا أنك توترت حينما سمعت بوقوع الجريمة فقمت بخلع ملابس سفيان والتخلص منها.

- نعم. هذا ما حدث..

- حسنًا، أنت كاذب.. لقد دخلت غرفة أبيك وقت وقوع الجريمة ثم خرجت منها وتخلصت من ملابس سفيان في القمامة قبل اكتشاف الجريمة بعدة دقائق.

قذف نزار عبارته في وجه الشاب بحدة وسرعة جعلته يهتز في مقعده. وبعد أن حاول الفتى الهروب من نظرات نزار بالنظر في

أنحاء الغرفة وجد نفسه ينكس رأسه ويهمس في يأس:

- ولكنني لم أقتله.

عاد نزار في مقعده إلى الوراء وهو يفرك يديه قائلًا:

- أخبرنا بروايتك وسنرى..

نتف الشاب شعرة وتفرس فيها، وكأنه يبحث عن شيء ما، ثم تركها ورفع رأسه قائلًا بنبرة مستسلمة:

- كنت كما أخبرتك قد اتخذت قراري بمواجهة أبي، ولا أعرف كيف، ولكن زي سفيان أمدني بشجاعة مفاجئة فشرعت أتحرك به بثقة وكأنني غير مرئي، وكأن قبعته المطرزة هي «طاقية الإخفاء» التي ستخفيني عن العيون، وسترته الصفراء الفاقعة هي بذلة «سوبرمان» المنيعة التي ستذود عني غضب أبي. اتجهتُ صوب الغرفة سريعًا وفتحت الباب ودخلت.. وهناك.. رأيت..

صمت وأغمض عينيه وتغضَّن وجهه وكأنه يسترجع ذكرى مؤلمة..

- ماذا؟

- رأيت أبي.. رأيته ملقى على الأرض.. تنزف الدماء من رقبته في هدوء. أبي الضخم المهيب صار جثة هامدة لا حول لها ولا قوة. تجمدت أطرافي، وكدت أتقيأ ثم سمعت صوت حفيف مفاجئ أيقظ حواسي وجعلني أستوعب الموقف. أيقنت أنهم لو وجدوني مع جثته متخفيًا في ملابس سفيان وبالنظر لشجارنا الشهير سأكون المتهم المثالي لذلك.. لذلك..

بدأ جسده يهتز إلى الأمام وإلى الخلف في حركة متكررة، فأكمل نزار عبارته قائلًا بقسوة:

- لذلك تركت أباك غارقًا في دمائه ولُذْتَ بالفرار.

لم يستطع بلال تمالك نفسه فتدخل قائلًا:

- طبيعي أن يشعر بالخوف ويهرب يا نز... أقصد يا سيادة المقدم.

أجابه نزار مستنكرًا:

- وما أدرانا أن المجني عليه لم يكن حيًّا حينها؟ ربما كان يستطيع إنقاذ والده باستدعاء الإسعاف في الوقت المناسب لولا جبنه وخِسّته، هذا إذا صدقنا أنه ليس القاتل.

بدأ الشاب يمسح دموعه عن وجنتيه بكفيه في حركة عصبية، قبل أن يهتف بصوت مفعم بالمرارة:

- كيف أُنهي حياته وأنا الذي كنت أنتظر منه نظرة رضا، بموته ضاعت فرصتي في أن أكون مقبولًا ومحبوبًا من أهم شخص على وجه الأرض بالنسبة لي. ألا تفهم؟ لم أكن لأقتله أبدًا.

تفاجأ نزار بكلام كريم وأرتج عليه القول، لاحظ بلال ارتباك نزار فالتقط حبل الكلام:

- نحن لا نتهمك بقتله يا كريم، وإنما نريد مساعدتك، أنت أول من رأى الـ.. الجثة.. صف لنا ما رأيت. هل كان باب الغرفة مفتوحًا؟

- نعم.. طرقته فلم أسمع ردًّا فأدرت المقبض ودخلت. لم أتبين

محتويات الغرفة فور دخولي بسبب شدة الإضاءة بالخارج، حينما اعتادت عيناي إضاءة الغرفة الخافتة رأيت الأريكة فارغة، ثم رأيته على الأرض.

- أسفل المنضدة؟

- أي منضدة؟ لم تكن هناك منضدة، فقط هو، ممدد على الأرض.

تبادل نزار وبلال النظرات، أخرج بلال صورة ووضعها أمام كريم قائلًا:

- هذا هو مسرح الجريمة.

أشار كريم إلى المنضدة التي أخفت الجثة جزئيًّا قائلًا:

- هذه لم تكن موجودة. أعني لم تكن هنا، أظنها كانت هناك، بجوار الحائط، نعم أنا متأكد، لأنني رأيت مطفأة السجائر على الأرض وحولها الأعقاب فقلت لنفسي لا بد أنها سقطت من على المنضدة أثناء شجار. وهنا..

أشار إلى بقعة صغيرة من الدماء على السجاد لها شكل مدبب قائلًا:

- هنا كان يلمع ويعكس الضوء على عيني.

- ما الذي كان يلمع؟

- السكين.

***

(32)

السكين!

جعلت كلمة «السكين» نزار يقفز من على مقعده، بينما أخرج بلال صورة جديدة ووضعها أمامه سائلًا في لهفة:

- هذا السكين؟

- نعم..

- رأيته على الأرض بجوار الجثة؟

تسللت الدهشة إلى صوت كريم وهو يجيب بنبرة فيها من السؤال أكثر ما فيها من الإجابة:

- نعم!

تبادل المحققان النظرات مجددًا وكريم ينقّل نظراته بينهما في فضول فقرر بلال تغيير الموضوع:

- هل رأيت أحدًا في محيط الغرفة أثناء دخولك أو خروجك؟

- لا...

- هل كنت ستلاحظ لو مر أحدهم بجوارك؟

نتف الشاب شعرة وتفكر للحظة قبل أن يجيب:

- وأنا متجه إلى غرفة أبي كنت مسكونًا بأفكاري ومخاوفي من المواجهة وأتمرّن في ذهني على ما سأقوله له، وعند خروجي كنت

مسكونًا بالرعب، اتجهت مسرعًا نحو أول صندوق قمامة فألقيت بالملابس ثم ابتعدت... أنت محق في سؤالك، لم أكن لألاحظ أي شخص في هذه الحالة.

ساد الصمت الغرفة بعد عبارة كريم الأخيرة. أراد نزار الاختلاء بنفسه كي يرتب الأوراق ويسطر الكلمات الأخيرة في القضية، تبقّت سويعات قليلة على انتهاء المهلة الممنوحة إليه وهو لا ينتوي أن يترك القضية بين يدي آخرين مهما كان الثمن. أما بلال فكان مأخوذًا بمسألة رؤية كريم للسلاح في مسرح الجريمة ثم اختفائه، يتفكر في الخطوة التالية لكشف غموض تلك المسألة. انتظر كريم أن يوجه له أحدهما المزيد من الأسئلة إلا أن كلًّا منهما شرد في وادي أفكاره الخاص مبتعدًا، فتنحنح وسأل:

- هل يمكنني الذهاب؟

تفاجأ نزار بسؤاله، لم يكن قد اتخذ قراره بخصوصه، هل سيصدقه ويخلي سبيله مؤقتًا؟ أم سيتهمه بالجريمة ويتحفظ عليه. رفع رأسه إلى بلال، رمى الكرة في ملعبه قائلًا:

- ما رأيك يا سيادة الرائد؟ هل يمكنه الذهاب؟

لم يفهم بلال غرض نزار، هل يورطه بسؤاله أم حقًّا يريد رأيه؟ فالثقة بينهما قد اهتزت كثيرًا بعدما قاله فتحي وموقف نزار منه وظنونه فيه. نظر إلى الشاب البائس الذي لم تُتَحْ له الفرصة أن يحزن على أبيه كما يجب في خضم تلك الأحداث، فقال:

- أرى أن نخلي سبيله مؤقتًا يا سيادة المقدم.

ابتسم نزار ابتسامة جانبية وأومأ للشاب بالذهاب، فرفع جسده الثقيل من المقعد في سرعة لافتة وولى خارجًا دون أن يعقب. همَّ بلال بسؤال نزار عن أمر ما حينما سمعا طرقًا على الباب الذي انفتح لتظهر من فرجته كتلة ضفائر كثة. أعلن مارلي في جذل:

- لقد عرفت لماذا سرق اللواء فتحي الشريط.

*

قبل أن يعقب نزار دخل مارلي وفي أثره فاروق وجو، رؤية فاروق أضاءت لنزار بقعة كانت مظلمة في التحقيقات.. بقعة صغيرة لها شكل مدبب، أخذت تتسع حتى ابتلعت الجريمة بأسرها. تفكّر للحظة، ثم قرر اللعب بطريقته الخاصة لكشف المستور!

جلس ثلاثتهم، وسأل بلال مارلي:

- قلت أنك اكتشفت سبب سرقة فتحي للشريط.. وهل يوجد سبب سوى التستّر على قاتل شاكر؟

- بلى يوجد: تستّر من نوع آخر، لا على القاتل وإنما نستطيع القول بأنها كانت تغطية على عصفوري حب.

- عصفورا حب؟

- عاشقان اختلسا بضع قبلات مستتران بالظلام خلف أحد الأعمدة، ولسوء حظهما وحظ العشق أنهما اختارا عمودًا قريبًا من الغرفة التي قتل بها شاكر.

ظل وجه نزار ثابتًا بينما ارتفع حاجبا بلال في فضول قائلًا:

- ومن هما هاذان العاشقان اللذان تكبد من أجلهما فتحي هذا العناء؟

- صدقني حينما أقول لك أنهما يستحقان العناء.. وأكثر!

ضرب نزار سطح طاولة مكتبه في انفعال مفاجئ قائلًا:

- من أين أتيت بهذا الكلام؟ أخبرني..

تفاجأ الجميع بردة فعله واتجهت الأنظار إليه، أدرك نزار أنه أثار انتباههم وربما.. شكوكهم، فاستدرك قائلًا بنبرة أرادها هادئة فخرجت لأول مرة مرتبكة:

- هل لديك دليل على ما تقول؟

في صمت، أخرج مارلي هاتفه وفتحه على صورة ما وأعطاه لنزار قائلًا:

- يمكنك التحرك يمينًا ويسارًا في الصور.

ظل الهاتف وقتًا أطول مما ينبغي بين يدي نزار يتفرس في كل صورة طويلًا حتى أعاده أخيرًا إلى مارلي وعاد بظهره إلى الوراء في مقعده وأغمض عينيه متفكرًا.. أخيرًا تمت الإجابة عن السؤال الأهم في الجريمة من وجهة نظره: «كيف تمكن القاتل من محو الشريط الصحيح في الوقت المناسب؟» ويا لسخرية القدر، أتت الإجابة بعيدة كل البعد عن توقعاته، وعن الجريمة، والأمر الذي ظن أنه مفتاح الوصول للقاتل اتضح أنه لا يمت إليه بصلة. لم يعرف

أيغتاظ من فساد تحليله، أم يشعر بالامتنان لأن ذلك العنصر المشتت قد خرج من المشهد هو الآخر.. ماذا تبقى إذن؟

استفاق من أفكاره على صوت بلال الذي لم يستطع كبح فضوله أكثر فسأله:

- ها؟

- مارلي على حق..

أجاب نزار بفتور، ثم أضاف وهو يشير للهاتف:

- وبالنظر لهوية العاشقين فليس غريبًا أن فعل فتحي من أجلهما ما فعل.

أخذ بلال الهاتف من مارلي ليطّلع على الصور ثم لم يلبث أن أطلق صفيرًا طويلًا أتبعه بقوله:

- نائب وزير الإعلام المتزوج من ابنة مدير أحد أهم الأجهزة في البلد على علاقة غير شرعية بالفنانة العربية الشهيرة التي هي الزوجة الثانية لرجل المال والأعمال الأشهر، يا له من صيد ثمين.

- ربنا أمر بالستر.

- ماذا؟

التفت بلال إلى نزار غير مصدق أنه من تفوّه بالعبارة الأخيرة، فأردف نزار في صرامة:

- الأمر ليس له علاقة بالجريمة، أي ليس له علاقة بنا، فلنركّز على

الجريمة وعلى المعلومات الهامة التي أدلى بها كريم في شهادته.

لم يستطع بلال درء شكوكه المتصاعدة في نزار وموقفه الذي يزداد غرابة، إلا أنه لم يعارضه، مؤجلًا ذلك إلى أن يختلي بنفسه ويضع الأمور في نصابها الصحيح، قال في هدوء:

- معك حق، ما قاله كريم عن سلاح الجريمة يجب أن يكون على رأس أولوياتنا.

- سلاح الجريمة والمنضدة.. هناك من دخل الغرفة بعد وقوع الجريمة وقبل اكتشافها وغيّر معالمها.

- ربما هو القاتل، نسي السلاح فعاد لالتقاطه، ثم قام بتحريك المنضدة لتغطية الجثة لكي يرجئ اكتشافها، وهو ما حدث بالفعل، فلم تر أنجي الجثة المسجاة أرضًا حينما استعادت حقيبتها..

- آه أنجي!

قالها نزار بنبرة ذات مغزى جعلت فاروق يتململ في جلسته وبلال يتساءل:

- ما بها؟

- لا شيء.. أكمل.

- ما يثير حيرتي هو كيف يمكن للقاتل أن يكون محظوظًا بهذا القدر.. يدخل الغرفة ويخرج منها مرتين دون أن يراه أحد أو يلحظه!

لمعت عينا نزار وهو يقول:

- امم.. مطلوب قاتل لا يلاحظه أحد! لا يمكن أن يكون قد ارتدى «طاقية الإخفاء» كما قال كريم، البديل أن يكون قد انتحل شخصية لا تلاحظها الأعين بسهولة.

- شخصية أحد العاملين.. أو.. أحد منظمي المهرجان.

- ها قد عدنا إلى ولاء وبوسي رغمًا عنا.

- ألم تصر على تبرئتهما بعد معلومة الطول وزاوية جرح السكين؟

سأل بلال في حيرة فأجابه نزار بنبرة قاطعة:

- إحدى الفتاتين شريكة للقاتل في جريمته، اقترفها هو وخرج سريعًا فولجت هي الغرفة من بعده تخفي آثاره. إنها ولاء.

- ولاء!

- اتصل بوكيل النائب العام واطلب منه إصدار أمر بالقبض عليها وعلى أنجي.

- أنجي!

- أنجي هي القاتلة، طولها مناسب، وولاء تسترت عليها..

- ماذا عن الدافع؟

أجاب نزار بصرامة:

- سلاح الجريمة هو المهم وهو حل اللغز، وبدلًا من أن يغطي إخفاؤه على آثار القاتلة.. أشار إليها باقتدار.

عقد بلال حاجبيه غير فاهم موقف نزار، همّ بأن يعارضه لولا ارتفع صوتٌ يقول بنبرة مرتعشة:

- أنا من أخذت سلاح الجريمة..

- أنت!

***

(33)

منذ أربعة أشهر

يونيو 2020

وقف على سطح اليخت يتأمل جسدها الممشوق الذي لوحته أشعة الشمس فتوهج ببريق ذهبيّ بهيّ سحر عينيه وألهب فؤاده. رفعت ذقنها إلى السماء فتتطاير شعرها إلى الوراء في حرية جعلته في حالة تخبط.. يحلو له أن يرسل نظراته تتجول على مفاتنها كيفما تشاء، وفي نفس الوقت يخشى أن تلحظ هي نظراته فتتقوض علاقتهما المبنية على المهنية في المقام الأول.

أمالت رأسها نحوه فجأة فاحمرّ وجهه، وضحكت هي.

*

عاد بذاكرته عدة أيام إلى الوراء، حينما لمح اسمها على شاشة هاتفه المحمول، لم يصدق أنه بعد أشهر من التجاهل هي التي تتصل به!

- آلو.. فاروق.

أصوت هذا أم جملة موسيقية عذبة.. بحّته المميزة تجبر أعتى القلوب على الميل والانصياع.

- كيف حالك أنجي؟

- بخير.. أحتاج منك خدمة.

أراد أن يخبرها أن قلبه وحياته كلها تحت أمرها.. ولكنه صمت.

- ألا زلت معي؟ هل أنت متاح يوم الجمعة القادم؟ أحتاجك في جلسة تصوير خاصة... على يخت.. في مدينة السخنة... من السادسة صباحًا وحتى السادسة مساء..

كاد قلبه أن يتوقف عن الخفقان.. بعد ثلاث سنوات من المحاولات البائسة كي يحظى بصحبتها في لقاء لا يتعدى الساعتين يعمل فيهما على اللوحة.. تتصل هي به وتدعوه لقضاء يوم كامل في جنتها!

- أيوافقك هذا؟

- بالتأكيد.

- جيد.. سألتقي بك في الرابعة والنصف صباحًا عند البوابات.. تعرف سيارتي أليس كذلك؟

- نعم..

- إلى الملتقى.

انتهت المكالمة، وظلت بحة صوتها تتردد في مخيلته، جالبة له ذكريات لقائهما الأول منذ عدة سنوات، حينما كانت تعمل كموديل للأغاني المصورة وإعلانات التلفاز. وكان هو يحمل كاميرته على كتفه استعدادًا لتصوير بعض اللقطات الثابتة أثناء تصوير إحدى الأغنيات لكي تستخدم في الدعاية على وسائل التواصل الاجتماعي. وقف أمام جمالها مدهوشًا وهي تستأذنه في خجل أن يلتقط لها بضع لقطات خاصة وتمليه رقم هاتفها كي يرسلها لها.. تفنن يومها

في التقاط عشرات الصور لها بخلفيات وأوضاع مختلفة.. ثم قضى ليلة كاملة في تعديل الإضاءة ووضع الرتوش الجمالية على الصور مما جعلها تهاتفه فور استلامها للصور واصفة إياها بأنها أجمل ما التقط لها. وبالفعل ظلت لأشهر بعدها تستخدم تلك اللقطات على مواقع التواصل الاجتماعي الخاصة بها والتي كان يتابعها كلها يوميًّا منذ ذاك اليوم.

لا يعلم بالتحديد ما الذي جذبه إليها.. عيناها اللتان تسكن وراء زرقتهما ظلال بنفسجية ذكرتاه بعيني «إليزابيث تايلور» الساحرتين. أم براءتها التي جعلت قلبه يذوب كلما أطرقت برأسها وأرخت أهدابها على وجنتيها في خجل. أم بحة صوتها الموسيقية التي يرقص فؤاده على أنغامها.

لم تكن له علاقات نسائية تُذكر.. حتى حينما كان طالبًا بكلية الفنون الجميلة، كان دومًا منطويًا على نفسه.. يضع سماعات الأذن ويحلق في آفاق السيمفونيات العالمية، وهو يعمل على لوحاته الواحدة تلو الأخرى في انعزال تام عن باقي أفراد دفعته. وحينما حاولت «ملك» زميلته التقرب منه واقتحام خلوته في عامهما الأخير بالكلية، واستجاب لها مجربًا لأول مرة مشاعر دافئة واهتمامًا خاصًّا، اكتشف أن غرضها كان مساعدتها في إتمام لوحات مشروع تخرجها بعد أن أزف الوقت. ربما كان عمر أخوه الأكبر على حق: هو لم يخلق للحب، سيعيش ويموت وحيدًا.. سكنت تلك العبارة وجدانه من كثرة تكرارها.. حتى رأى أنجي...

التقت عيناهما فخفق قلبه وانقبضت أحشاؤه،

وعلم أنها هي..

كان لديه من الخوف والصبر ما جعله يعرض عليها أن يرسم لها لوحة زيتية عوضًا عن أن يعترف لها بمشاعره!

تحمست هي، وبدآ في التلاقي مرة كل شهر أو اثنين، يضع الرتوش ببطء متعمّد على اللوحة مسحورًا بجمالها المحير الذي مزج بين الشرق متمثلًا في شعرها الداكن وعينيها الواسعتين المسحوبتين إلى أعلى كعيني نمرة شرسة، والغرب متمثلًا في لون عينيها وأنفها المستدق في شموخ وعظام وجنتيها العالية البارزة. لم يكن يعلم حينها أنها ستصبح ممثلة صاعدة في غضون سنتين وأن لقاءات اللوحة المزعومة ستتباعد حتى تنقطع تمامًا بالتزامن مع ترشيحها للفيلم الجديد. اضطر هو أن يكمل اللوحة من خياله.. وأن يحتفظ بها مغطاة في ركن غرفة نومه، ويضع لها صورة رقمية كخلفية لهاتفه المحمول.. متصبرًا باللقاءات العامة التي تجمعهما بصفتيهما المهنية، ممثلة صاعدة ومصور.

حتى التقيا اليوم.. على يخت السخنة.

قضى معها يومًا تليق تفاصيله بالحواديت الخيالية والجنيات. التقط لها العشرات، بل المئات من الصور على سطح اليخت، وتحت رذاذ الماء، وفي غرف اليخت السفلية المبطنة بالخشب الماهوجني المصقول، مستغلًا الإضاءات الطبيعية المختلفة من الشروق وحتى الغروب. بدلت ملابسها عدة مرات، وفي كل مرة تضع مساحيق تجميل جديدة وإكسسوارات متناغمة، وعاش هو الحلم أنها تتزين له

وحده في كل مرة.

أفاق من أحلامه على صوتها المتذمر وهي تحاول فتح عبوة مشروب غازي استعصت عليها، اقترح عليها أن تستبدلها بأخرى، ولكنها أصرت على فتحها في عناد طفولي أحبه. أخرجت من حقيبتها مطواة فضية صغيرة، محفور عليها اسمها، وكررت المحاولة، فمد يده وأخذهما منها، تلامست أصابعهما وسرت رعشة كهربائية في أوصاله أخفاها بمحاولة فتح العبوة. نجح فصاحت في جذل وتناولتها منه تتجرعها في سرعة، بينما احتفظ هو بالسكين في راحته يتدفأ بأثر صاحبته الكامن فيه قليلًا، قبل أن تنتبه له وتأخذه وتعيده إلى الحقيبة قائلة:

- أخاف أن أنساه، لن يسامحني مروان إن فعلت.

أتى ذكرها لغريمه فأفسد عليه الأجواء الحالمة وذكره بموقعه على خريطة حياتها. اقترب منهما قائد اليخت يسحب الهلب استعدادًا للعودة إلى الميناء، معلنًا انتهاء يوم لن ينساه.

***

(34)

اعتراف!

- أنت!

هتف بلال في عدم تصديق وهو ينظر لقائل العبارة، بينما اندلعت ضحكة نزار الجزلة لتملأ الغرفة!

*

نقّل ثلاثتهم النظرات بين ابتسامة نزار وعينيه اللتين ضاقتا في استمتاع، وبين فاروق الذي حاكى وجهه شحوب الموتى. قطع نزار الصمت قائلًا:

- أعترف أنك خدعتني في البداية، ولكن هل ظننت أنك ستخدعني طويلًا؟

نكس فاروق رأسه ولم يعقب فيما سأل بلال:

- ما الأمر؟

- كما اعترف هذا العاشق، أخذ السكين من مسرح الجريمة، ثم على الأرجح حينما علم بأمر التفتيش الذاتي خرج مسرعًا للتخلص منها. أليس كذلك؟

أومأ فاروق برأسه، فأردف نزار:

- كدت تفسد لنا القضية برعونتك وحبك الساذج، ولولا معزة

والدتك لدى أمي الراحلة وزوجتي لكنت اتخذت ضدك الإجراءات القانونية المناسبة فما فعلته يعد خرقًا للقانون. لقد عبثت بالأدلة وأفسدت مسرح الجريمة وأعقت العدالة بما فعلت.

- لذلك استدرجته كي يعترف بنفسه بدلًا من أن تتهمه وتحقق معه؟

سأل بلال وقد بدأت الصورة تتضح أمامه..

- هذا صحيح.

أجابه نزار قبل أن يردف في ارتياح:

- حيرني أمر السلاح كثيرًا.. لم أستطع وضع نمط مقنع لخط سيره. لا أنكر أنني فكرت بفاروق، ولكن شكوكي لم تثبت إلا بعد أقوال كريم، حينها أدركت أنني كنت مصيبًا بشكي في فاروق منذ البداية، وأصبح السؤال هو: هل ينحصر دور فاروق في أخذ السلاح فقط؟ أم أنه القاتل؟

شهق فاروق وتبادل النظر مع زميليه في قلق، بينما أكمل نزار:

- بحثت وراءه جيدًا، فلم أجد أي دافع محتمل سوى حبه لأنجي، ولكن إن كان الأمر كذلك، كان عليه قتل مروان لا شاكر، فمروان هو الغريم الأكثر احتمالًا، لذلك تراجعت عن شكوكي فيه كقاتل.

تنفس فاروق الصعداء بينما لم يتمالك جو نفسه فالتفت إليه وسأله بنبرة مدهوشة:

- لماذا ورطت نفسك هكذا؟

- أحبها..

أجاب فاروق في مرارة قبل أن يضيف:

- وحينما دخلت الغرفة ورأيت السكين على الأرض علمت على الفور أن هناك من يحاول إلصاق الجريمة بها وإيقاعها، فالسكين معروف للجميع ولن يطول الأمر حتى يلقوا القبض عليها. لم أستطع تصور جمالها البريء وهو يذوي خلف القضبان حتى تظهر براءتها. لم أفكر كثيرًا، مددت يدي إلى السكين وأخفيته في ملابسي وخرجت مسرعًا.

- ألم تخش أن يقوموا بتفتيشك؟ في النهاية أنت من اكتشفت الجثة.

- أخفيته في حقيبة الكاميرا فور خروجي من الغرفة.

سأله بلال في حنق:

- ألم يخطر ببالك أنك تفسد التحقيق بفعلتك تلك؟ بل ألم يخطر ببالك أنها قد تكون هي القاتلة.. وأنك ساعدتها على الإفلات بجريمتها فيلتفّ حبل المشنقة حول رقبة بريء!

- قلت لك تصرفت بسرعة دون أن أفكر، ومنذ ذلك الحين والأمر يعذبني ويؤرقني.

أجابه فاروق في انفعال بائس جعل بلال يخفف من حدته وهو يردف:

- لذلك اعترفت حينما اختلق نزار أمر القبض على ولاء وأنجي.

أومأ فاروق برأسه بينما قال نزار بجدية:

- اتهامي لولاء كان مختلقًا.. أما اتهامي لأنجي، فهو أمر آخر..

اتجهت العيون كلها صوب نزار، فأردف:

- منذ البداية وأنا أفكر فيها وأتساءل.. أهي حقًّا صدفة أن تدخل الغرفة والقتيل موجود فيها، ثم لا تلاحظه وتخرج وقد شرب ذيل ثوبها من دمائه؟ وهل هي صدفة أن تكون قد دخلت الغرفة قبل مقتله بدقائق ثم خرجت وكأن شيئًا لم يكن؟ لم أملك أي دليل لاتهامها، لا دافع ولا سلاح، فقط الفرصة المتمثلة في تواجدها في مسرح الجريمة وقت وقوعها. ثم ظهر السلاح، واتضح أنه سكينها الخاص!

توقف نزار لحظة ثم أكمل:

- عدت أتساءل: هل اختلقت مسألة نسيانها للحقيبة في الغرفة كي تدس أمامنا احتمالًا بأن يكون القاتل قد دخل الغرفة واستل السكين من حقيبتها؟ لا بد أنها فتاة شديدة الذكاء.

قاطعه بلال قائلًا:

- لم أشعر أنها كذلك، بل الانطباع الذي وصلني منها هو البراءة إن لم تكن السذاجة.

- ذلك لأنها ممثلة بارعة يا عزيزي، وربما كان الدور الذي تلعبه الآن هو أفضل أدوارها على الإطلاق.

احمر وجه فاروق وهو يسأل:

- كيف حكمت عليها يا نزار وأنت لم تلتق بها إلا قليلًا؟

- صوتها، نظراتها، لغة جسدها.. هناك شيء مزيف بها، وكأنها تلعب دورًا. والأهم هو مسيرتها الفنية؛ بدايتها المتواضعة ثم تسلقها السريع لسلم الفن والشهرة، وإجادتها التامة للعب دور بنت الذوات على الجميع، بينما هي ابنة حارس عقار رقيق الحال.

- حارس عقار!

هتف فاروق في دهشة، بينما عارض بلال رئيسه قائلًا:

- هذه ليست أسباب كافية لاتهامها..

- بالطبع لا، لذلك كنت مترددًا، فقررت الاستمرار في إجراءات التحقيق واستجواب الآخرين وجزء من عقلي مشغول بها يفكر فيها، وفي السلاح الذي ظهر فجأة. اختفاء السلاح من مسرح الجريمة ثم ظهوره بعيدًا هو الفتق الذي ظل يؤرقني في نسيج الاتهام، كيف ومتى تخلصت منه؟ وقد أثبتت شهادة الشهود والكاميرات أنها لم تخرج من غرفتها بالفندق بعد الاستجواب ولم تتواجد بالقرب من مكان اكتشاف السلاح. حينها شككت بوجود شريك لها، ولكن من؟ فكرت في المخرج مروان عناني، وفي صديقتها الممثلة ميرال الطوخي، خاصة وأن لكل منهما مصلحة في التخلص من شاكر، ولكنها ليست مصلحة مشتركة مع أنجي. ثم سألت نفسي: هل يمكن أن يكون الذي تخلص من السلاح ليس شريكًا لها؟ وأن الأمر تم عن

طريق الصدفة؟ مَنْ مِن المشتبه بهم توافرت لديه الفرصة والدافع لفعل ذلك؟ فلم أجد غيرك يا فاروق. وتأكدت حينما أخبرنا كريم عن رؤيته للسلاح على أرض الغرفة.

- ثم أوقعتني بسهولة.

ابتسم نزار لتعليق فاروق ثم عاد لجديته وهو يردف:

- الآن لا أحتاج للبحث عن شريك لأنجي كي أفسر لغز السلاح، خاصة وأن طولها بإضافة طول كعب الحذاء الذي ارتدته في حفل الختام يتناسب تمامًا وطول القاتل المقترح من فريق الأدلة الجنائية.

- ولكن ما هو دافعها لقتل شاكر؟

تغير وجه نزار وهو يغمغم:

- لا أعلم يقينًا.. ربما راودها عن نفسها فأَبَتْ.

- ولاء أخبرتنا أنها سمعت ضحكتها حينما انفتح الباب، إن كنت محقًّا في أمر المراودة فيبدو أنها كانت برضاها.

- وأخبرتنا ولاء أيضًا أن مرافقتها السيدة أمينة تراجعت إلى الوراء متفاجئة، ترى ماذا رأت؟

- يجب أن نحقق مع السيدة أمينة ثانية لعلنا نقف على حقيقة العلاقة بين مخدومتها والمجني عليه.

قالها نزار باهتمام فأومأ بلال برأسه قبل أن يوجه سؤالًا لفاروق:

- لماذا حرّكت المنضدة فوق جثة القتيل؟

- أية منضدة؟

- التي كانت فوق الجثة.

- لم أحرك شيئًا، المنضدة كانت في مكانها فوق الجثة حينما دخلت الغرفة.

- ماذا!

هتف نزار مدهوشًا ثم خبط سطح طاولة المكتب متسائلًا في نفاد صبر:

- ما هذه القضية؟ كلما تحركنا خطوة للأمام عدنا خطوتين للخلف. من الذي حرك المنضدة إذن، ولماذا؟

- اهدأ يا سيادة المقدم، ألا يحتمل أن يكون كريم مخطئًا، أو كاذبًا؟

- لماذا؟ لماذا سيكذب؟ وكيف سيخطئ؟ إنها منضدة وليست شيئًا صغيرًا قد يختلط عليه الأمر بشأنه.

نظر بلال إلى فاروق وسأله:

- أنت متأكد أنك لم تحركها؟

أجابه في توتر:

- أقسم لك أنني لم أمس المنضدة، كانت تُخفي الجثة حينما دخلت.

أخذ نزار نفسًا عميقًا مسموعًا، قبل أن يقول بنبرة حاول أن يجعلها هادئة:

- دعونا نفكر معًا، لقد دخل القاتل وقتل شاكر ثم خرج، دخل كريم بعده، وجد الجثة مسجاة على الأرض وبجوارها سلاح الجريمة، انتابه الفزع وولى هاربًا، دخل بعده فاروق، وجد السلاح في المكان الذي رآه فيه كريم ولكنه وجد المنضدة فوق الجثة فأخذ السلاح وخرج. من الذي دخل الغرفة بين كريم وفاروق وحرك المنضدة كي يخفي بها الجثة؟ ثم لم يأخذ السكين! لماذا حاول إخفاء آثاره بتغطية الجثة ثم ترك سلاح الجريمة بجوارها؟ ما هذا الجنون؟!

عقّب مارلي قائلًا:

- أنت مُحِقّ، هناك شيء غير منطقي، قطعة من اللغز ليست في مكانها الصحيح.

صمت خمستهم يفكرون، ثم هتف بلال فجأة:

- وجدتها.. صوت الحفيف!

***

(35)

صوف الحفيف

التفت نزار إلى بلال سائلًا:

- صوت الحفيف! ماذا تقصد؟

- أتذكُر إفادة كريم عن اللحظات التي قضاها في الغرفة؟ ألم يقل أنه سمع صوت حفيف مفاجئ أيقظ حواسه.

لمعت عينا نزار،

- ها.. أكمل..

- ماذا لو كان القاتل موجودًا في الغرفة عندما دخل كريم؟ أتصور أنه ارتكب جريمته ثم فوجئ بباب الغرفة يُفتح فاختبأ سريعًا، وانتظر حتى خرج كريم، فغطى الجثة وولى هاربًا قبل دخول فاروق.

سأل جو في فضول:

- أين اختبأ؟ الغرفة صغيرة ومحدودة الأثاث، فكيف لم يره كريم؟

أجاب فاروق متأملًا:

- صحيح أن الغرفة صغيرة، ولكن أركانها كانت معتمة بسبب ضعف الإضاءة، لا ريب أن مشهد الجثة شلّ حواس كريم فلم ير غيرها حتى انتبه على صوت الحفيف فولّى هاربًا.

قفز نزار من مكانه هاتفًا في حماس:

- هيا إلى مسرح الجريمة..

تسابق خمستهم نحو الغرفة وقد منحهم تدفق الأدرينالين في عروقهم نشاطًا مضاعفًا. عند الباب وجدوا العسكري عبدالمعبود جالسًا على كرسي خشبي وقد تعالى شخيره، وكزه بلال ففتح عينيه في كسل ثم قفز واقفًا لرؤيتهم محاولًا كبح جماح تثاؤبه بيد، وتسوية هندامه بالأخرى، قبل أن يرفعها إلى جبهته ضاربًا تعظيم سلام للضابطين. أشار له نزار بفتح الباب ففعل، رفع نزار ذراعه في طريق الأصدقاء الثلاثة في إشارة لمنعهم من الدخول فانصاعوا له في إحباط مرسلين بصرهم في محاولة يائسة لاختراق العتمة بالداخل. دخل نزار وتبعه بلال في صمت قبل أن يغلق الباب خلفه، وقف نزار في منتصف الغرفة ثابتًا حتى اعتادت عيناه إضاءتها الضعيفة ثم نظر إلى الخطوط الجيرية البيضاء على السجادة القاتمة والتي حددت وضعية الجثة قبل رفعها. أغمض نزار عينيه لهنيهة متفكرًا قبل أن يفتحهما على اتساعهما ويقول لبلال:

- هيا نمثل الجريمة..

أشار نحو الأريكة قائلًا في حماس،

- هنا جلس المجني عليه. دخل القاتل، تشاجرا، قام المجني عليه من مكانه لمواجهة القاتل. استل القاتل السكين وضربه بها.

قالها نزار ثم ضم قبضته وأخذ يسدد بها ضربات وهمية في الهواء قبل أن يردف:

- سقط شاكر أرضًا، انتاب القاتل الرعب وفلت من يده السلاح، وقبل أن يستفيق من صدمته سمع صوت الباب يُفتح، تلفت حوله كالمجنون يبحث عن مكان للاختباء، أين؟

تلقّت نزار حوله بعينين زائغتين وكأن روح القاتل قد تلبسته وهو يتحرك يمينًا ويسارًا قبل أن يشير في انفعال نحو الركن الأبعد من الغرفة والذي انتصبت فيه نبتة بلاستيكية كبيرة هاتفًا في انتصار:

- هناك..

اتجه إلى النبتة وهو يقول:

- المكان الأمثل للاختباء، ولكن يجب أولًا..

قطع عبارته وهو يخرج من جيبه زوجًا من القفازات المطاطية ذات استخدام المرة الواحدة، ارتداها في سرعة قبل أن يقترب من النبتة قائلًا:

- ربما تكون هناك بصمات لم يرفعها فريق الأدلة الجنائية بعد.

حشر نزار جسده بحرص خلف النبتة وألقى أمرًا ما على بلال الذي أومأ برأسه وخرج، ثم عاد برفقة مارلي وأغلق الباب من خلفهما. وقف مارلي لحظة ينظر حوله محتارًا حتى تعالى صوت حفيف فأدار رأسه باحثًا عن مصدره قبل أن يضيّق عينيه وينظر نحو النبتة محاولًا التغلب على العتمة المحيطة بها.

خرج نزار من خلف النبتة يسأله:

- متى رأيتني؟

- عند دخولي الغرفة لم أجدك فتساءلت أين عساك ذهبت ونحن واقفون أمام الباب لم نغادر. ثم رأيتك حينما سمعت صوت احتكاكك بالنبتة.

هتف بلال:

- هذا هو صوت الحفيف الذي سمعه كريم.

فتح نزار إضاءة كشاف هاتفه المحمول وأخذ يتفحص النبتة في صبر وأناة. وجد فرعًا صغيرًا مكسورًا، ووجد.. شعرة!

شعرة طويلة داكنة.. التقطها بخفة ووضعها في منديل صغير وناولها لبلال قائلًا:

- سلمها لفريق البحث الجنائي لتحديد صاحبتها، واطلب منهم رفع البصمات عن النبتة.

قال مارلي:

- هل يمكن أن أراها؟

مد له بلال المنديل وبه الشعرة فسلط عليها كشاف هاتفه ثم قال:

- الأفضل أن يراها فاروق.

خرج ثلاثتهم من الغرفة فوجدوا جو وفاروق بالخارج يتميّزان غيظًا من الانتظار، بادرهم بلال موجهًا قوله لفاروق:

- وجدنا هذه الشعرة متعلقة بالنبتة البلاستيكية التي نرجح أن

الجاني قد اختبأ وراءها حينما دخل كريم.

نظر فاروق إلى الشعـرة طويلًا تحت ضوء كشاف مارلي ثم قال بصوت أجش:

- إنها شعرتها.

- ذلك ما ظننته، فلون شعرها مميز، يبدو داكنًا من بعيد، ثم سرعان ما يظهر بريقه الكستنائي تحت الإضاءة، وبما أنك تعرفها عن قرب، والألوان لعبتك كفنان، توقعت أن تميزه.

قال فاروق في ضيق:

- لقد وضع القاتل شعرتها هناك إمعانًا في إثبات التهمة عليها تمامًا مثلما استخدم سكينها في القتل. يمكن له الحصول على شعرها بسهولة من غرفة التصفيف والتزيّن التي يجتمع بها العشرات من الفنانات والعاملين كل يوم.

- أنت مُصرّ على تبرئتها..

- فكروا معي.. لماذا ستقتله؟ هو من اكتشفها، وهو من وعدها بالشهرة والنجاح، وقد تنبأ النقاد بأن فيلمهما القادم سويًّا كان سيلقى نجاحًا مدويًّا.. يجب أن تجدوا الدافع قبل اتهامها.

- لماذا نحصر دافع القتل في علاقتهما بمجال السينما؟ لشاكر حيوات عديدة، من أدرانا أنها لم تكن بطلة قصة سابقة في حياته؟ ولديها من الغضب المكبوت ما يكفي لكي تضحي بالوعود البراقة والنجاح المرتقب في سبيل تحقيق غايتها بالانتقام منه، مثلها مثل

بوسي، أو أي من النساء اللاتي كن في حياة شاكر.

النبرة التي ألقى بها نزار عبارته الأخيرة جعلت فاروق يتفرس في وجهه وقد انقبض قلبه. ترى هل لدى نزار شيء لا يزال يخبئه عن الجميع؟

ابتعد بلال بالمنديل الذي يحتوي الشعرة فناداه نزار قائلًا:

- استدعِ لي أنجي ومرافقتها للاستجواب.

*

عند باب غرفة التحقيق توقف نزار وانتظر أن يفهم الأصدقاء الثلاثة أنهم غير مرحَّب بهم في الاستجواب المزمع إجراؤه. بادره جو مستعطفًا:

- لا تحرمنا من حضور الفصل الأخير.

وأضاف مارلي:

- لقد ساعدناك في التحقيق لا تنكر.. صوري كشفت لك الكثير.

وقال فاروق:

- ومن يعرف.. ربما نساعدك ثانية.

همَّ نزار بالسخرية من عبارة فاروق ثم توقف، ذكّرته العبارة بقصة الأسد والفأر التي دأبت رضوى تحكيها لابنهما بصوت تمثيلي فتفخّم صوتها في دور الأسد قائلة بتعالٍ:

«أنت أيها الفأر الصغير التافه تساعدني أناااا.. ملك الغاااابة!»

على غير ما توقعه الأصدقاء الثلاثة، فتح لهم نزار باب غرفة التحقيق وسمح لهم بالدخول محذّرًا:

- غير مسموح لكم بالتدخل في التحقيقات وإلا..

ثم أشار إلى الباب فابتلع ثلاثتهم ريقهم وأومأوا برؤوسهم، ثم لووها متطلعين إلى الباب الذي انفتح لتدلف منه شابة ملائكية جميلة بصحبة سيدة عادية من البشر.

***

(36)

حورية أم حرباء

دخلت أنجي من الباب تتهادى في رقة فرأى فاروق أنها أجمل من أية مرة سابقة، ارتدت قميصًا أرجوانيًّا حريريًّا فضفاضًا وبنطالًا بنفسجيًّا ضيقًا، ورفعت جانبًا من شعرها الداكن بمشبك ذهبي رقيق، وتركت الجانب الآخر ينسدل على كتفها في رقة، وقد تدلت من جيدها سلسلة ذهبية رقيقة بها لؤلؤة واحدة تماوجت عليها الإضاءة موحية بدرجات لونية مختلفة تناغمت مع لون عينيها الساحرتين والطلاء الوردي اللامع الذي طلت به شفتيها. ابتسمت في براءة للمحقق قبل أن تجلس في رشاقة. أما مرافقتها السيدة أمينة فظلت واقفة بجوارها كالحارس الحامي، بهيئتها التي لا تتغير: عباءتها البنية وطرحتها البيضاء ونظارتها السوداء. مال مارلي على جو سائلًا في همس:

- أهي كفيفة؟

سمعه فاروق فأجابه في خفوت:

- لا، عيناها حساستان لا تتحملان الضوء.

في هذه اللحظة تلقّى بلال مكالمة سريعة ابتعد من أجلها لركن الغرفة وأجاب هامسًا قبل أن ينهيها ويدوّن على أثرها بضع كلمات على ورقة وضعها أمام نزار. حاول فاروق استراق النظر لما فيها فلم يستطع تبيّن سوى كلمتين خطهما بلال بخط أكبر ووضع تحتيهما

عدة خطوط: «التلوّن الرّمّي»، طافت بذهنه الأسئلة عن فحوى الورقة ومعنى ما قرأ قبل أن ينتبه على صوت نزار وهو يبادر أنجي قائلًا:

- آنسة أنجي.. أتسمحين بانتزاع شعرة من شعرك وتسليمها لمساعدي؟

بهتت أنجي،

- شعرة، لماذا؟

- إجراءات روتينية.

تعجب فاروق من نظرة أنجي الوجلة لمرافقتها، لم تبد السيدة العجوز سوى إشارة خافتة بذقنها، فانتزعت أنجي شعرة، مد بلال كيسًا بلاستيكيًّا صغيرًا لحفظ الأدلة فوضعتها فيها، فأغلقه وخرج.

اتجهت الفتاة لنزار بسؤالها:

- ماذا يحدث؟

- نعيد فحص بعض الأدلة التي وجدناها في مسرح الجريمة.

بدأ القلق يغزو صوتها:

- أدلة! هل تعني أنك وجدت شعرة لي في مسرح الجريمة؟ وماذا في ذلك، لقد كنت مع شاكر في غرفته قبل وفاته بدقائق، ستجدون بصماتي وشعراتي أيضًا.

- وجدنا الشعرة في مكان غير متوقع.

شحب وجهها وهي تكرر:

- غير متوقع؟ ماذا تعني؟ هل هناك من يحاول إلصاق الجريمة بي؟ في البداية سكيني السويسرية والآن شعرتي.

بدأت تفقد تماسكها فربتت المرافقة على كتفها بحنان جعلها تحاول السيطرة على الهلع الذي تسلل إلى نبرتها وهي تقول:

- أنتم تعلمون أن حقيبتي كانت بالغرفة، بإمكان القاتل أن يستل منها السكين بسهولة. وكذلك شعري، يمكن لأي شخص أن يسحب إحدى خصلاته من الأمشاط وأدوات التصفيف في غرفة التزيّن.

- لا تقلقي، لن نتهمك بشيء قبل أن نتأكد، والآن أخبريني عن علاقتك بشاكر.

- أخبرتك من قبل. علاقة جيدة جدًّا.. لا يوجد أي سبب يدعوني لقتله. شاكر رحمه الله فتح أبواب المجد والشهرة على مصراعيها أمامي.

- قدّري موقفي.. لا أستطيع اعتبار دخولك الغرفة مرتين متتاليتين ليلة الحادث مرة قبل مقتله ومرة بعدها، ثم عدم رؤيتك للجثة برغم ذيل ثوبك الذي تشرّب بدمائها، لا أستطيع اعتبار كل ذلك من قبيل الصدفة.

ثم أشار للمرافقة كي تجلس، ترددت ثم انصاعت فجلست على الكرسي المقابل لأنجي وبدت هزيلة ضئيلة الحجم مقارنة بها. وجه سؤاله للمرافقة:

- حينما ذهبتِ لاستدعاء أنجي تفاجأتِ، ما الذي فاجأك؟

أجابته السيدة بصوت خافت أجش:

- لا أدري عم تتحدث.

- لقد رأيتِ شيئًا فاجأك حينما فتحت باب الغرفة.

- لا أتذكر شيئًا بعينه.

- ربما رأيتهما في وضع مخلّ...

اقترح نزار بحذر فاربدّ وجه السيدة ولم تجبه، بينما هتفت أنجي قائلة في انفعال:

- ماذا تريدون مني، تارة تتهمونني بالقتل، وتارة تسيئون إلى سمعتي. من دفعكم للتشهير بي، أهي منة البكري.. بالطبع ومن غيرها.. أم سهيلة الرفاعي تريد التنكيل بي لأن شاكر فضلني عليها.. أم أنها..

رفعت المرافقة يدها في حركة بسيطة فصمتت أنجي على الفور. سألها نزار:

- أليس من الطبيعي أن تقومي بطرق الباب قبل فتحه؟ لماذا فتحت الباب على أنجي والمجني عليه دون طرق؟

- هل فعلت؟

سألت السيدة في حيرة بدت صادقة..

- وماذا رأيت حينها؟

- لا شيء..

- نعم كنت بين أحضان شاكر..

فاجأتهم أنجي باعترافها قبل أن تستدرك:

- وماذا في ذلك؟ وعدني بالزواج فور انفصاله عن سهيلة، كانا قد اتفقا على الطلاق بسبب علاقته بتلك الفتاة بوسي..

زمت السيدة أمينة شفتيها فصمتت أنجي على مضض. تعالى جرس هاتف نزار، نظر في شاشته فرأى اسم بلال، أجاب على الفور، استمع للحظة ثم أنهى المكالمة قائلًا:

- الفحص المبدئي أثبت أن الشعرة التي وجدناها في مسرح الجريمة هي لك يا آنسة أنجي.. أنت الآن متهمة بقتل شاكر شحاتة الشهير بشاكر الغندور.

- ماذا؟ لا.. هذا غير صحيح.. لم أقتله.. أقسم بالله لم أقتله. لم أؤذه أبدًا.

- فريق المعمل الجنائي رفع بصمة عن النبتة الصناعية بالغرفة، وهو المكان الذي اختبأ فيه القاتل للحظات بعد الجريمة. سيتم تحليل البصمة وتحديد صاحبها خلال ساعات.

- ليست لي.. لم أقترب من النبتة.. صدقوني..

هتفت الفتاة مستجدية ثم لما لم تجد أي تراجع من نزار أجهشت في البكاء...

أراد فاروق أن يقوم من مكانه، أن يخفي رأسها الجميل في صدره ويحميها من العالم، فهو يعلم أن فتاته ليست بقاتلة.

انفتح الباب ودخل منه بلال ومن ورائه ظهر عبدالمعبود يحمل بين يديه أصفادًا معدنية اصطكت ببعضها البعض في صوت مخيف. نظرت الفتاة نحو الأصفاد ثم نحو العسكري، ثم وقفت صارخة ثم أغشي عليها. انتفضت السيدة أمينة وركعت على ركبتيها بجوار أنجي تمسح وجهها بكفيها وتنظر إليهم ملتاعة وتصرخ:

- أين الطبيب.. الإسعاف؟..

أشار بلال لعبدالمعبود أن يستدعي مساعدة طبية فخرج مسرعًا. وفجأة..

اندلعت عبارة مزقت هواء الغرفة كطائرة تخترق حاجز الصوت:

- أنا من قتلت شاكر.

اتجهت الأنظار جميعها للفم الذي أطلق العبارة غير مصدقين..

وانهمرت الكلمات مختلطة بالدموع في اعتراف بما حدث.

***

(37)

25 دقيقة على الحفل

ليلة الحادث – الساعة 8:35

تلفتت السيدة أمينة حولها للمرة الأخيرة قبل أن تنسلّ في هدوء إلى غرفة المنتج الشهير وتغلق الباب وراءها. وجدته مستلقيًا على الأريكة وقد خرج قميصه من بنطاله وتعالى صوت أنفاسه وكأنه ينهج.. ميزها حالما رآها فبادرها:

- أنجي ليست هنا.

- لقد أتيت من أجلك.

- أنا؟

اقتربت منه..

- كيف حالك يا شهبندر؟

اعتدل في جلسته،

- يااااه.. لم أسمع هذا الاسم منذ سنوات.. من أنتِ؟

سألها في حيرة، فرفعت نظارتها السوداء عن عينيها قائلة:

- ها! عرفتني؟

تفرس في وجهها، ثم احتلت الدهشة صوته وهو يتمتم:

- هاتان العينان.. أعرفهما. أنتِ..

- أنا نانا يا شهبندر..

- نانا!!

ألجمته المفاجأة لهنيهة قبل أن يقول بنبرة مُتعبة:

- ظننتك متِّ يا نانا. لقد بحثت عنك في كل مكان، ولم يهنأ لي عيش منذ هربت مني.. لماذا تركتني ورحلتِ؟

تفاجأت من رد فعله. كانت تتوقع هياجًا وشجارًا كأيامه الخوالي. تمالكت نفسها وقالت في جفاء:

- هذا ليس وقته. اترك الماضي مدفونًا كما كان.

- ماذا تريدين إذن؟

- أن أحمي المستقبل.. ابتعد عن أنجي..

- وما شأنك أنت؟

- ابتعد عن الفتاة يا شهبندر.. لديك العشرات، بل المئات غيرها يرتمين تحت أقدامك..

- ولكنني أريدها هي..

- مستحيل.

بدأ الغضب يحل محل تعبه فضاقت عيناه واتسعت فتحتا أنفه وهو يقول بنبرة كالفحيح:

- من أنتِ كي تحشري نفسك؟ ما أنت سوى دادة حقيرة أشتري منك ألف. غبية.. كنت تعيشين معي في عز.. وكانت تنتظرك حياة رغدة.. ولكنك وش فقر... لطالما كنتِ.

- قلت لك لم آت هنا لكي أتكلم عنا وعن الماضي.

بدأ يفقد صوابه..

- لن أبتعد عن أنجي.. بل سأتشبث بها أكثر إن كان ذلك سيغيظك.. كي أذيقك ولو رشفة.. من كأس المر الذي تجرعته بسببك لسنوات.. لم يفارق طعمه فمي منذئذ. تهربي مني أنا! الشهبندر!

قال عبارته الأخيرة بصوت هادر اهتزت له المرأة فأجابته مصطنعة التلطف:

- كنت صغيرة.. وغبية كما قلت.. أما الآن فكلانا كبير.. اترك أنجي تتزوج بشاب من سنها.. ذلك المخرج مروان.. إنه يحبها وهي تستلطفه..

- أنجي فتاة لعوب.. وأنت تعلمين ذلك.. تعد كل من يقترب منها بالحب والرفقة.. لكن مبروم على مبروم لا يلف.. أنا أفهمها.. وأقدر جيدًا شهوتها للشهرة والمال. لن أنالها عنوة.. بل سأتزوجها لعدة أشهر.. أقضي منها ما أريد.. وأعطيها ما تريد.. ثم يا دار ما دخلك شر.. ستجد مروان في انتظارها لاهثًا.. لا تقلقي.. هي تجيد التلاعب به.. ليست غبية مثلك لتضيع أحدنا من بين يديها..

- ابتعد عنها يا شهبندر..

- وإلا ماذا؟

سألها بابتسامة ساخرة تتلاعب على شفتيه..

- سأقتلك.

- ماذا؟

ظلت ملامحه متجمدة للحظة.. قبل أن ينفجر في ضحك صاخب:

- أنت يا حشرة يا حقيرة.. تقتليننني أنا.. الشهبندر!!

ثم تغضنت ملامحه فجأة وصرخ:

- أنا من سيفعلها.. جئت لقضائك يا نانا.

نهض من على الأريكة ومد كفيه نحوها محاولًا خنقها. اجتاحتها رائحة أنفاسه المشبعة بالكحول فارتعبت وتراجعت خطوة للوراء جعلته يخطئها ويفقد توازنه ليقع على ركبتيه. توقعت أن يعاود محاولته ولكنه بدأ يبكي بغتة:

- لماذا تركتني يا نانا.. كنت أحبك.. كنتِ تذكريننني بها بعد أن رحلَت وتلاشت ملامحها من ذاكرتي.. وأنجي.. أنجي ذكرتني بك.. لذلك تعلقت بها..

أخذت نانا تنقّل عينيها بين وجهه المحتقن الذي أصبح عند مستوى كتفيها، وبين حقيبة أنجي الفضية الصغيرة التي انعكست صورتها في المرآة من خلفه.

- ماذا تريدين مني؟ أن أتوسل إليكِ كي تعودين لي؟ هأنذا راكع

أمامك..

أدركت أنه سكران، وأن فقرة الانكسار هذه مؤقتة سرعان ما سينقلب بعدها إلى وحش كاسر.. وستصبح النتيجة: إما قاتلًا.. وإما مقتولًا..

لم تكن حياتها تهمها كثيرًا، إلا أنها تعلم حقيقة لا مراء فيها: إن ماتت.. سيعبر من فوق جثمانها إلى أنجي، ويحصل عليها... وهذا لا يمكن أن يحدث أبدًا.

نظرت إلى الحقيبة نظرة أخيرة.. واتخذت قرارها..

تركته يهذي ومدت يدها ببطء فاستلت السكين السويسري الصغير.. و..

انقضت عليه..

*

لم تدر كم طعنة احتاجت أن تسددها لرقبته حتى أطلق خوارًا كالثور وسقط جثة هامدة تنساب الدماء منها في هدوء. أصابها الذعر.. رمت السكين من يدها وأخذت تتلفت حولها ذاهلة.. سمعت صوت مقبض الباب يتحرك.. قفزت إلى ركن الغرفة وحشرت جسدها الضئيل خلف الشجيرة البلاستيكية التي تزينه. انفتح الباب ودخل شاب يعتمر قبعة غريبة. شاهد الشاب الجثة فتسمّر في مكانه..

توقّعت السيدة أمينة أن يصرخ.. أو أن ينهار.. ولكنه ويا للغرابة.. وقف لحظة ثم تراجع في بطء وهدوء، حتى أغلق الباب من ورائه

كأن شيئًا لم يكن!

كانت هذه فرصتها للهروب. شدت المنضدة ذات العجل حتى أخفت بها الجثة على أمل أن تؤخر اكتشافها أطول وقت ممكن ثم مسحت موضع يديها سريعًا بطرحتها. تذكرت السكين، انحنت تبحث عنه في العتمة. تناهى إلى مسامعها صوت ثم رأت مقبض الباب يتحرك ثانية فعادت إلى مخبئها مسرعة.. ضحكات أنثوية ثم صوت أنجي تقول:

- ها هي حقيبتي..

- بسرعة.. سيفوتنا العرض.

دخلت أنجي وسحبت الحقيبة. وقفت لحظة تنظر لوجهها في المرآة. طالت اللحظة حتى ظنت السيدة أمينة أنها رأت شيئًا ولكنها خرجت مسرعة وتركت الباب مواربًا.

انتاب الرعب السيدة أمينة فقفزت من مخبئها إلى الباب وخرجت مهرولة دون أن تنظر وراءها. وصلت إلى غرفة التجميل وتصفيف الشعر دون أن تلفت نظر أحد. لم تكن الغرفة مزدحمة كعادتها.. فالغالبية العظمى من الفنانات قد خرجن ليلحقن بعرض السجادة الحمراء والقلة الباقية كن في سباق محموم للانتهاء من الرتوش الأخيرة. لم يلحظ أحد التوتر البادي عليها خاصة وأن عينيها مختبئتان خلف نظارتها السوداء. جلست وارتشفت بضع رشفات من الماء وهي تحاول تنظيم أنفاسها.

ثم تذكرت شيئًا..

السكين!

*

(38)

الاعتراف سيد الأدلة

انتهت السيدة أمينة من حكايتها وهي تجفف دموعها من تحت نظارتها بيد وتقبض بأصابع اليد الأخرى على ملابسها ثم ترخيها في حركة عصبية متكررة. كانت أنجي التي استفاقت من إغماءتها تستمع إلى اعتراف مرافقتها وقد بدا عليها الذهول. قال نزار للسيدة بصوت حاول أن يجعله رؤوفًا:

- لا داعي لاختلاق الأحداث وتوريط نفسك في هذا الأمر لإنقاذ ربيبتك. النيابة لن تأخذ إلا بالأدلة.

- ولكن أليس الاعتراف بسيد الأدلة؟

هتفت السيدة مترجية.

- حينما يتعارض الاعتراف مع الأدلة لا يكون سيدها، بل قد تعتبره النيابة شهادة زور أو إعاقة لسير التحقيق.

- ولكنها الحقيقة..

- لقد وجدنا شعرتها معلقة بالنبتة حيث اختبأت.

- لا بد أنها علقت بملابسي حينما ساعدتها في تصفيف شعرها قبل الحفل. صدقني أنا القاتلة.

- حسنًا.. ما هو دافعك للقتل؟

سألها نزار مجاريًا، فأجابت:

- أردت لأنجي حياة طبيعية، تتزوج بمن هو في سنها وترزق بأطفال. مروان أسرَّ لي بحبه لها، وكان يعتزم خطبتها في غضون أيام قليلة، حينما رأيتها بين أحضان شاكر خفت عليها. أخبرتها برأيي، وأن شاكر معروف بالتلاعب بالفتيات مثلها واستغلال أحلامهن بالثراء والشهرة حتى يضيع العمر وتضيع السمعة، ولكنها لم تستمع إليّ وأخذت الأمر باستخفاف. كان لا بد أن أتدخل.

- اعذريني ولكن أليست قصة عسيرة على التصديق؟ أن تقتل سيدة رجلًا من أجل الفتاة التي تعمل عندها كمرافقة..

- إنها.. إنها بمثابة ابنتي!

تعالى نشيج أنجي فجأة. نقّل بلال نظراته بينها وبين مرافقتها، ثم تحرك من مكانه تحت نظرات نزار المتسائلة، واقترب من السيدة أمينة، وباغتها بخلع نظارتها. طرفت بعينيها الزرقاوَيْن الواسعتين المسحوبتين إلى أعلى وحاولت تغطيتهما بكفيها إلا أن نزار رأى في عينيها عينين أُخرَيَيْن يعرفهما جيدًا، عيني ربيبتها..

هتف نزار:

- أنت أمها.

نكست أمينة رأسها.

خبأت أنجي وجهها بين كفيها وتعالى نحيبها، بينما سأل نزار مدهوشًا:

- ولكن لماذا، لماذا انتحلتِ شخصية مرافقة لابنتك؟

- حكاية طويلة يا سيادة الضابط.

- أريد أن أسمعها..

تنهدت السيدة أمينة تنهيدة طويلة ثم قالت:

- أنا أرملة حارس عقار بسيط، لا أستطيع مجاراة عالم الفن والمظاهر المطلوبة فيه. حينما بدأت أنجي تحترف الإعلانات شعرت بقلق شديد عليها، فهي ابنتي الوحيدة والشيء الجميل الذي خرجت به من حطام الدنيا.. أردت مرافقتها في كل مكان، فأنا أعرف هذا الوسط جيدًا بما يكفي لكي أخاف على ابنتي من التواجد فيه بمفردها. رفضت هي مرافقتي لها متعللة بأنها ليست طفلة كي ترافقها أمها، كما وأن مظهري البسيط سيكون محرجًا لها.. كنا نشاهد معًا حوارًا تليفزيونيًا للممثلة المعتزلة «موناليزا»، والتي أحبتها أنجي كثيرًا بعد أن أخبرها أكثر من منتج أنهما تتشابهان في الملامح الأوروبية المميزة. استمعنا لموناليزا وهي تحكي عن الدادة التي رافقتها في التصوير، حينها تراءى لي الحل المناسب لنا: أرافق أنجي بصفتي دادتها لا أمها. مانعت في البداية حتى أقنعتها أن ذلك سيطمئنني عليها وفي نفس الوقت سيضفي عراقة وأصالة عليها باعتبارها من الأسر الثرية التي توظف دادة للاعتناء بأبنائها. وافقت في النهاية.. وهكذا حملتنا الأيام.. أنجي والدادة.

- حسنًا يا سيدتي، أتفهم من كلامك مقدار حبك لابنتك، ولكن لن يمكنك إخراجها من الجريمة باعترافك بها. هي القاتلة ويجب أن تنال

جزاءها.

رفعت أنجي وجهها صارخة:

- لم أقتله. والله العظيم لم أقتله.

اندهش نزار من قولها ثم تملكه الغضب،

- إنكارك لن يفيد، إن كنت ابنة عاقة لا يهمك أن تدفع أمك ثمن جريمتك فاعلمي أن ذلك غير ممكن. الطب الشرعي أثبت أن طول القاتل يتراوح بين 175 سم و185 سم. مستحيل أن تكون أمك القاتلة.

- إذن مَن.. من؟

صرخت الفتاة بصوت حائر.

صوت به لمحة صدق جعلت نزار ينظر إليها ويفكر في الأمر ثانية.. هل هناك خطأ ما؟ تذكر الرسالة التي وضعها بلال أمامه والتي أفادت بأن الطبيب الشرعي قد أبلغه عبر الهاتف أن هناك تلون رمّي واضح بركبتي القتيل، تلون رمّي! ماذا يقصد؟ أمسك بهاتفه واتصل بالطبيب الشرعي:

- لم أفهم رسالتك، ماذا تعني بالتلون الرمي؟

- .....

- وكيف سيفيدنا هذا في القضية؟

- ....

- ماذا؟ هل أنت متأكد؟

- .....

أنهى نزار المكالمة ووضع الهاتف من يده ذاهلًا، نكس رأسه لحظة قبل أن يستجمع شتات أمره وينظر إلى السيدة أمينة قائلًا في أسى:

- لماذا قتلتِه؟

- أخيرًا صدقتني..

ظهر الارتياح على وجه السيدة أمينة، والهلع على وجه أنجي، ودهشة على باقي الوجوه..

- قلت لك.. راود ابنتي عن نفسها، ذهبت إليه كي أثنيه عنها ولكنه رفض، بل وهددني بالقتل.

- قتلتِه يا أمي؟ لا أصدق.. أنت كاذبة، وأنا لم أقتله، من تحمين إذن؟

- لا أحد.. أنا قتلته.

- لماذا؟ لقد أخبرتك من قبل بخطتي للزواج منه فلم تعارضيني، وتعرفين جيدًا أن ابنتك ليست غريرة كي تسلمه نفسها بدون عقد زواج. ألم تنصحيني أنت نفسك بمبدأ «شوّق ولا تدوّق» كي أوقعه في حبالي؟ ما الذي حدث إذن؟

أثارت عبارة أنجي ريبة نزار، هل كانت السيدة أمينة تعرف حقًّا ما يدور بين ابنتها وبين شاكر؟ أعاد رسم المشهد بتفاصيله في مخيلته؛

كلام الفتاة منطقي يفسر دخول أمينة الغرفة بدون طرق الباب كما شهدت ولاء، لقد اتفقت أمينة مع الفتاة أن تفتح الباب فجأة كي تباغتها مع شاكر في وضع مخلّ، منها تحقق مبدأ التشويق دون أن يطول منها مراده، ومنها وسيلة ضغط كي يتزوجها.. فما الذي فاجأها إذن؟

- ما الذي فاجأك حينما فتحت باب الغرفة؟ لماذا قتلته طالما علمت بخطة ابنتك مسبقًا؟

زمّت السيدة شفتيها ولم تجب، فقال فاروق بنبرة حزينة متمهّلة:

- لأنها لم تكن قد رأت شاكر من قبل.

ظهر الخوف لأول مرة على ملامح السيدة، بينما سأل نزار:

- وماذا في ذلك؟

- لم تكن تعرف أن شاكر الغندور المنتج الشهير، هو بعينه شاكر شحاتة الذي تعرفه. لقد كنت محقًّا في ظنونك يا سيادة المقدم.. هذه الجريمة تعود جذورها لسنوات طويلة مضت.

رأى نزار السيدة أمينة تضع كفها على فمها في صرخة صامتة فهتف في نفاد صبر:

- ما هذه الألغاز يا فاروق؟

- انظر لصورته.

قالها وهو يقرب شاشة هاتفه من نزار، ثم أردف:

- الأنف المستدق في شموخ وعظام وجنتيه العالية وجبهته العريضة وشعره الكستنائي الداكن.

أدرك نزار الأمر فرفع عينيه إلى وجه أنجي متفرسًا قبل أن يغمغم في ذهول:

- لهذا قتلته!

تجلى الرعب في عيني السيدة أمينة وهي تنقل نظراتها بين الرجلين هاتفة في تضرع:

- أرجوك..

- لقد عكفت لشهور على رسم لوحة زيتية لأنجي وحفظت ملامحها جيدًا، كما أننا درسنا التشريح في الكلية، التماثل في عظام جمجمتيهما واضح.. لا أصدق أنني لم أنتبه لذلك من قبل!

صرخة ملتاعة انطلقت من حنجرة السيدة أمينة:

- حرام عليكم. لا تسلبوني كل ما ضحيت من أجله.

حدقت إليها ابنتها ثم تمتمت في ذهول:

- ماذا يقول؟ ماذا يعني؟ شاكر هو أبي؟

انهارت السيدة أمينة تقبل كفي ابنتها وتكرر بين دموعها:

- آسفة... آسفة يا ابنتي..

- ولكن كيف؟

(39)

النهاية

بنبرة مرتعشة تخللتها النهنهة، أفضت لهم السيدة أمينة بحكايتها مع شاكر في زمن كان ملقبًا فيه بالشهبندر، ويتاجر في الفتيات الصغيرات متخذًا دار الأيتام ستارًا، وكانت هي فيه: نانا الراقصة. حكت لهم عن قصة الحب الملتهب التي جمعت بينهما رغم زواجه من ابنة عمه، وكيف كانت نانا هي ملاذه والحضن الدافئ الذي يلجأ إليه، حتى نَبتت في أحشائها ثمرة علاقتهما...

سألها نزار:

- كنت حاملًا في أنجي؟

- نعم.. لم أخبر شاكر بحملي لأنني أيقنت أنه لن يرتدع عن طريق الحرام الذي سلكه، وأنا أردت لابنتي حياة نظيفة بعيدًا عن موبقاته. تركت شخصية نانا الراقصة في القاهرة وهربت إلى مدينة الإسكندرية، حيث عدت لأكون «أمينة»، آواني حارس عقار طيب يكبرني بأعوام كثيرة، ثم وافق على سَتر عرضي والزواج مني. ربينا أنجي بالحلال، حتى مات وتركني في مهب الريح وحدي. تفتّح جمال أنجي سريعًا وأخذ الجميع يصبون في أذنيها عبارات الغزل ويكررون أنها تستحق أن تكون أميرة. صدّقتهم وباتت تحلم بالشهرة والمال. رآها مخرج إعلانات في أحد المراكز التجارية بالإسكندرية وطلب منها الظهور معه في إعلان. وهكذا بين ليلة وضحاها وجدت ابنتي الحبيبة واقفة على أعتاب السينما تداعب عينيها أحلام

الشهرة.

سألتها ابنتها باكية:

- لماذا لم تخبريني أنه كان أبي؟ لماذا لم تخبريه هو بدلًا من قتله؟

- لم يكن ليصدقني.. أنا أعرفه جيدًا وأعرف طريقة تفكيره الملتوية وشكه المرضي فيمن حوله، كان سيظن أنني أكذب عليه وأتلاعب به كي يبتعد عنك، وكان ليزداد عنادًا وتشبثًا بك. لقد هددني بالقتل إن لم أبتعد عن طريقكما وكان سيفعلها لولا أن سقط سقطة كانت لي طوق النجاة حينما لمحت حقيبتك في المرآة وعرفت أن فيها خلاصي.

نظرت أنجي لنزار وسألته باكية:

- والآن ماذا ستفعلون؟

- سيتم القبض على السيدة أمينة بالطبع وتقديمها للنيابة.

قالها نزار وهو يشير لعبدالمعبود الذي اقترب بالأصفاد المعدنية فتعالى رنينها المقبض، ثم أردف في اقتضاب:

- ابحثي لها عن محامٍ بارع، سيدافع عنها بالدفاع عن النفس وربما لا تنال عقوبة مطلقًا بنص المادة 245 من قانون العقوبات.

*

أُسدل الستار على التحقيقات بوضع الأصفاد في يدي السيدة أمينة التي خرجت منكسة الرأس تتبعها ابنتها متهدلة الأكتاف،

وكأنها اكتسبت عمرًا فوق عمرها. وتلاحقها نظرات فاروق الصامتة ودقات قلبه التي لا زالت متعلقة بذيل ثوبها الأسود الذي لم يبارح خياله. أعاد نزار ظهره إلى الوراء في مقعده وأغمض عينيه.. ولأول مرة منذ بداية التحقيق ابتسم ملء شفتيه.

*

بعد قليل.. اجتمع المحققان مع الأصدقاء الثلاثة في كافيتريا الجامعة والتي امتلأت بضيوف المهرجان على خلاف اليومين السابقين. بدا الارتياح على الجميع بعد إعلان القبض على القاتل، وساد المرح الأجواء فاقتربت رؤوس النساء في جلسات نميمة عالية المستوى، وتعالت ضحكات الرجال وقد بدأت مراسم الوداع استعدادًا لمغادرة ساحة المهرجان نحو القاهرة. اقترب جو من نافذة العرض الزجاجية التي تزخر عادة بالمخبوزات اللذيذة فوجدها فارغة، عزا الأمر لشهية الضيوف التي انفتحت على مصراعيها بعد الأخبار المسائية، فكّر أن يطلب القهوة إلا أن نظرة منه تجاه الشاب الهزيل المتثائب جعلته يعدل عن رأيه. عاد إلى المجموعة فوجد مارلي يسأل نزار السؤال الذي حيره:

- ما المقصود بالتلون الرمّي؟ وكيف ثبتت التهمة على أمينة برغم قصر قامتها.

- إجابة السؤالين مرتبطة. التلوّن الرمّيّ يعني تجمع الدماء عند الموت في الأوعية السفلية للجسد بسبب الجاذبية مما يسبب كدمات تزداد وضوحًا عندما تتحول إلى اللون النفسجي بعد مرور

12 ساعة على الوفاة. وعادة ما يشير التلوّن الرمي إلى وضعية الجسد لحظة الوفاة. وفي حالتنا فإن التلون الرمي ظهر في ركبتي القتيل مما جعل الطبيب الشرعي يرجح أنه قتل وهو راكع على ركبتيه فتجمعت الدماء فيهما. وبهذا انتفت صحة معلومة الطول الأولى، وتم احتساب طول القاتل بناء على طول المجني عليه وهو على ركبتيه. هذا ما جعل قامة السيدة أمينة القصيرة مرجحة بعد أن كانت مستبعدة.

- قضية غريبة..

علق فاروق فقال نزار:

- منذ البداية شغلني هاجس بأن دافع القتل ينتمي إلى ماضي القتيل لا حاضره، وكنت على استعداد لسبر أغوار ذلك الماضي وصولًا إلى طفولته.

أمن فاروق على قوله:

- أتوقع أنه عاش طفولة قاسية، وربما هجرته أمه صغيرًا، فعلاقاته المتعددة بشكل مرضيّ مع النساء تشير إلى علاقة متوترة مع الأم، ولا أستبعد أن عينيها كانت ملونة وكأنه كان يبحث عنها فيهن.

- ربما أنت محق.

قال جو:

- فليخبرني كل منكم من كان يظنه القاتل؟ عن نفسي.. حينما رأيت كريم منتحلًا شخصية سفيان ويدخل إلى الغرفة في صور

مارلي أيقنت أنه هو.

- مسكين كريم..

قالها فاروق متنهدًا ثم أردف:

- شعور بائس أن تُرفض من أبيك دونًا عن كل الناس. عقدة تظل ملازمة للشخص تقنعه أنه غير جيد بما يكفي إذ لم يكن جديرًا بحب أقرب الناس إليه، فيقبل أسوأ ما قد تأتي له الحياة به دون مقاومة.

- ترى ما سر العداء بين شاكر وابنه؟

- ربما تكون عقدة متوارثة، إن صحت ظنوننا بخصوص هروب والدة شاكر فهذا يجعله كارهًا لنفسه ورافضًا لها دون وعي منه لظنه بأنها تركته وهربت بسبب عدم حبها له وعدم اكتراثها به. الحب الذي لم يناله من أمه لم يستطع أن يخرجه من قلبه ليمنحه لابنه، حرمانه من الحب جعله شحيح المشاعر يحمل بين جوانحه خصومة لا تنضب مع نفسه ومع العالم من حوله.

أمَّنَ جو على تحليل فاروق بهزة من رأسه ثم أضاف:

- وهذا يفسر شخصيته النازعة للإجرام ورغبته الدائمة في إشباع شهواته التي لا تنطفئ، خاصة نحو النساء، وعدم ثقته بمن حوله، حتى نانا رغم حبه لها كما قالت.

لاحظ نزار التزام بلال بالصمت منذ جلوسهم فقال له ممازحًا:

- وأنت يا سيادة الرائد؟ على من كان رهانك؟ أعلم أنك شككت بي، وأحييك على القيام بمهام وظيفتك دون أن تسمح لعلاقتنا أو

رئاستي للتحقيق بأن تحيد عن الطريق.

ابتسم بلال قائلًا في حرج:

- أعترف أن شكوكي فيك تأججت حينما عرفت أن أخاك رحمه الله قضى نحبه بسبب شاكر.

قالها بلال في حذر قلقًا من ردة فعل نزار ثم حينما رآه هادئًا أردف:

- وخاصة بعد موقفك من فتحي، توقعت منك أن تلاحقه وتحاول كشف السبب الحقيقي وراء محوه للشريط بعد أن كررت كثيرًا أن حل لغز محو الشريط هو مفتاح القضية.

- خبرتي بالقتلة جعلتني أستبعد فتحي من المشتبه بهم بعد اعترافه المتبجح بمحو الشريط، أما الدافع لما فعل فلم يكن يهمني في حينها، انحصر هدفي في تنحية مسألة الشريط عن المشهد للوصول للقاتل، كنت في صراع مع نفسي، ومع الغضب، ومع ثلاثة عشر عامًا من الرغبة المكبوتة في الانتقام. هذا التحقيق كان بمثابة الجولة الأخيرة في معركتي، إما أن أنتصر لقيمي والقسم الذي أقسمته وأجلب العدالة لشاكر الذي أكرهه، وإما أن يتحد شيطاني مع نفسي الأمارة بالسوء وينتصران عليّ فأستسلم للتشفّي في قتل شاكر وأفسد القضية كي يهرب القاتل بفعلته التي لا أنكر أنها أثلجت صدري.

أراد بلال أن يقوم من مكانه ليربّت على كتف نزار بحرارة ولكنه أحجم مخافة أن يبدو مبتذلًا فاكتفى بابتسامة، ثم همّ بالتعليق فأوقفته لمعة غامضة توهجت فجأة في عيني نزار. لمعة لم ير مثلها

في عينيه من قبل..

كان نزار يرمق الأفق بنظرة امتزج فيها الحنان والامتنان والشوق..تتبع بلال نظرة رئيسه فرأى عن مبعدة شابة رقيقة تمسك بطفل صغير يبدو في الخامسة من عمره يشدها من يدها ويستحثها للإسراع نحو نزار الذي قام من مكانه وهرول بدوره نحوهما حتى التقوا فرفع الفتى واحتضنه بشدة ثم أمسك بيد زوجته وابتعدا معًا خارج أضواء ساحة المهرجان...

شكر وعرفان

شكرًا للقراء الأعزاء الذين لا يزالون يشاركونني رحلتي حتى أصبحنا معًا في الصفحة الأخيرة من روايتي الثامنة. لكم أكتب.. وإمتاعكم أرتجي..

شكرًا لكل من ساعدني بعلمه وخبرته في تفاصيل الرواية الجنائية والفنية:

- العقيد نديم عادل

- العقيد محمد معتز مالك

- المصورة وصديقتي الفنانة الجميلة أفنان مصطفى

- المهندس أحمد محمد بياض

- الكاتب والصحفي د/ياسر حماية

شكرًا لقراء الرواية الأوائل الذين لم تكن لتصدر في هذه الصورة لولا نصائحهم القيمة:

- زوجي العزيز إيهاب راتب

- الكاتب طارق بدر

- المهندس محمود منير

- بنات عائلتي العزيزات وحائط سدي المنيع: رضوى داود، فاطمة توفيق، شذى حسن، مريم داود، سمية توفيق

وشكرًا للدار المصرية اللبنانية وناشرتي العزيزة أ. نرمين رشاد على كل الدعم، والرحلة الممتعة، والأحلام التي لا تنتهي.